

د . عباس الحراري

استاذ الأدب العربي والأدب الشعبي
بكلية الآداب - جامعة محمد الخامس

الأمير الشاهر

أبو الربيع سليمان الموحدة

عضره
حياته وشعره

دار الثقافة

2 / 32 شارع . فيكتور هيكو

الدار البيضاء - المغرب

جمادى الثانية 1394 هـ - يونيو 1974

الأمير الشاعر
أبو الربيع سليمان الموحي

د. عباس الجراري

استاذ الأدب المغربي والأدب الشعبي
بكلية الآداب - جامعة محمد الخامس

الأمير الشاه

أبو الربيع سليمان الموحدة

عصره
حياته وشعره

شبكة كتب الشيعة

منشورات

دار الثقافة

2 / 32 شارع فيكتور ميكو
الدار البيضاء - المغرب

جمادى الثانية 1394 هـ - يونيو 1974



shiabooks.net

رابط يديل < mktba.net

جميع حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في صباح يوم السبت سابع مايو 1965 ناقشت الرسالة التي تقدمت بها (1) للحصول على درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة القاهرة . وكان موضوع هذه الرسالة هو ديوان الأمير الشاعر أبي الربيع سليمان الموحدي . وكانت مقسمة إلى جزئين :

أحدهما : دراسة عصر أبي الربيع وحياته وشعره (وهو القسم الذي أنشر في هذا الكتاب) .

والثاني : تحقيق ديوانه (وسأنشره مستقلاً فيما بعد) .

ولم يكن هذا البحث عن أبي الربيع غير تجربة أولية في دراسة أدبنا ، حاولت فيها أن أقدم تحليلاً جديداً لعصر الموحدين من حيث سياسته ومذهبيته ، وأن أعرض الحياة الفكرية والأدبية ، وأن أطرح أدباء هذا العصر من خلال تصنيف تابع من مختلف التيارات والاتجاهات التي كان يسير فيها أولئك الأدباء .

(1) أمام لجنة مكونة من السادة الأساتذة :

أ - الدكتور عبد العزيز الأهواني مشرفاً

ب - الدكتور شوقي ضيف عضواً

ج - الدكتور يوسف خليفة عضواً

ولم يكن وقوفي عند أبي الربيع بالأمر السهل، إذ صادفت كثير من الصعوبات بسبب قسلة الأخبار التي وصلتنا عن الشاعر نتيجة عدم اهتمام مصادر عصر الموحدين والعصور التي بعده بالحديث عنه، وعلى الرغم من أنه كان أميراً من أبرز أمراء الدولة لما كان يتمتع به من ثقافة واسعة وحسنة طويلة ولما أسند إليه في هذه الدولة من مناصب مسؤولية عالية، وعلى الرغم من أن شعره لم يضع كما ضاع شعر كثير غيره من الشعراء، حيث جمع ديوانه أحد كتابه وهو بعد على قيد الحياة.

وقد تسنى لي بما جمعت من أخبار عن أبي الربيع أن أفحص هذه الأخبار وأحللها وأنقدها وأستنتج منها ما يمكن استنتاجه وأفسرها بما يجعلني أنفذ إلى أعماق حياة الرجل، بالتفسير النفسي آنأً والتفسير الاجتماعي والتاريخي آنأً أخرى، سعيًا إلى سد ما بين الأخبار من ثغرات، وبالتالي إلى تشكيل ملامح صورة هذه الحياة. كذلك لجأت إلى شعره أحاول من خلاله سبر أغوار الشاعر فوجدته صورة لنفسيته قد انعكست عليها بعض ملامح عصره ومجتمعه. كما حاولت بدراسة شعر أبي الربيع في مضامينه وخصائصه أن أنتهي إلى أن شعر العصر وأدبه عامة لم يكن منعطاً ولا دائراً فقط في فلك المذهبية الموحدية كما ظن الباحثون أمداً طويلاً يظنون.

وإني إذ أضع هذا البحث التمهيدي أمام الطلاب والدارسين، آمل أن تتاح لي قريباً فرصة لإخراج الديوان الذي ما يزال في حاجة إلى نشر علمي بحقق (2). والله ولي التوفيق والسداد.

الرباط - الجمعة 7 جمادى الثانية 1394

موافق 28 يونيو 1974

ع. الجراري

(2) على الرغم من أنه نشر على يد جماعة من الاساتذة الفضلاء بعد حوالي سنة من تقديمي للرسالة.

الباب الأول

عصر أبي الربيع

الفصل الاول

ثورة سياسية ومذهبية

لكل ثورة إرهابات تمهد السبيل لظهورها ، ومقدمات تهتئ النفوس لتقبل مبادئها وأهدافها . وإرهابات الثورة الموحدة ومقدماتها كامنة في الانحلال الذي أصاب دولة المرابطين في عنفوان شبابها ، والذي يبدو من حقائق التاريخ أنه يرجع إلى الأسباب الآتية :

أولاً : ضعف شخصية علي بن يوسف بن تاشفين(1) الذي كان - على الرغم من صلاحه وزهده - عاجزاً عن تدبير قيادة الدولة وتسيير شؤونها ، وما نتج عن هذا العجز من فوضى جعلت ولاية القبائل يستبدون بالأقاليم ويستقلون بها ، وما نتج عنه كذلك من انتشار الفساد وظهور المرأة في ميدان السياسة تلعب بمقول الحكام ، تحوّل المؤامرات وتقدس المكاييد . فقد « اختلف حال أمير المسلمين وظهرت في بلاده مناكر كثيرة ، وذلك لاستيلاء أكابر المرابطين على البلاد ودعواهم الاستبداد وانتهوا في ذلك إلى التصريح فصار كل منهم يصرح بأنه خير من علي أمير المسلمين وأحق بالأمر منه ، واستولى النساء على الأحوال وأسندت إليهن الأمور وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور . وأمير المسلمين في ذلك يتزايد تغفله ويقوى ضعفه وقنع باسم إمرة المسلمين وبما يرفع إليه من الخراج وعكف على العبادة والتبتل ... وأهمل أمور الرعية غاية الإهمال(2)» .

1 (بوبع سنة خمسائة وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وتوفي سنة سبع وثلاثين وخمسة

1106 - 1143 م) . أنظر أخباره في الحلل الموشية ص 68-84 وأعمال الاعلام

ص 253 - 256 والقرطاس ص 109 - 115 والاستقصا ص 2 ص 55 - 62 .

2 (المعجب ص 177 .

ثانياً : الإنهاك الذي أصاب الدولة ، وخاصة في عهد علي بن يوسف ، بسبب الحروب الكثيرة التي واجهها في فتح بلاد الأندلس وما كانت تلاقيه جيوشه غير ما مرة من هزائم كانت تضطر القواد إلى أن يطلبوا من العدو وقف القتال ورفع الحصار . فمئذ سنة ثلاث وخمسمائة ، وهي السنة التي جاز فيها ابن يوسف إلى الأندلس للجهاد ، حتى سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وهي السنة التي بدأت فيها حرب المرابطين للمهدي ، جهزت الدولة ما ينيف على عشرة جيوش لفتح هذه البلاد، لاشك أنها أرهقت اقتصاد البلاد وأنهكت معنوية الشعب والحكام (3).

وقد زاد الوضع سوءاً ما عانت الدولة في صراعها مع الموحدون حيث أنه « في أثناء مدة هذه الحركة الطويلة الأعوام اتصلت الحروب ببلاد أهل اللثام وغلّت الأسعار براكش حتى وصل فيها الربع من الدقيق بمثقال حشمي ذهبي . وتوالى هذا الجذب حتى جفت في الأرض مذاربها واغبرت جوانبها وقلت المجاني بهذه الفتن وكثرت اللوازم على الرعايا بالعدوتين وألح العدو النصراني بالضربات على جميع جهات الأندلس حين علموا عجز الإمارة بالمغرب واشتغالها بحرب الثائرين المهيجين للفتن .. واستولى الروم في هذا الوقت على كثير من البلاد والحصون » (4)

ثالثاً : عجز فقهاء الدولة في عهد علي بن يوسف عن تطوير المذهب المالكي الذي كان محور حركة المرابطين الإصلاحية ، حتى يسائر الوضعية التي أصبحت عليها دولتهم بعد أن اتسعت رقعتها وتضخم نفوذها ، وبالتالي عجزهم عن توجيه الرأي العام في إطار المذهب ، مما جعلهم يتهيبون كل انفتاح ويتوقعون في نطاق طبقة لا تسمى إلى غير حماية مكاسبها ومصالحها وما حققت من امتيازات . وترتب عن ذلك ظهور قيود فكرية بدا أن الدولة فرضتها تعصباً للفقهاء المالكي

3 (أنظر تفاصيل هذه الحروب في الاستقصا ج 2 ابتداء من ص 59 .

4 (البيان المغرب ج 3 ص 12 - 13 .

وشكليات الدين . وقد استغل هذه الظاهرة مؤرخ كالراكشي موال للدوحدين فضخم حقيقتها وزاد في أبعادها حيث ذهب إلى أنه لم « يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع أعني فروع مذهب مالك ، فنفتت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها . وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ ، فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في شيء من علوم الكلام ... ولمادخلت كتب أبي حامد الغزالي (5) رحمه الله المغرب أمر أمير المسلمين بإحراقها وتقديم بالوعيد الشديد من سفك الدم واستئصال المال إلى من وجد عنده شيء منها » (6) .

ومثل هذه القضية تؤكد لا شك سيطرة الفقهاء وخضوع الأمير لما يفتون به من آراء . فهم يرون كتاب الإحياء مغالفاً للشريعة والعقيدة ويحكمون بإحراقه على الرغم من العلاقات الطيبة التي كانت بين مؤلفه وأمراء الدولة وخاصة يوسف بن تاشفين (7) الذي كان الغزالي يوالي دولته ويدعو له مقدراً شجاعته وجهاده في نشر الإسلام وتثبيت دعائمه . ومع ذلك فن الإنصاف أن نسجل أن الذين ناروا ضد الإحياء هم فقهاء الأندلس ، وعلى رأسهم ابن حدين قاضي قرطبة ، وأن نسجل كذلك أن بعض فقهاء المغرب - كأبي الفضل بن النحوي - كان لهم موقف مخالف حيث انتصروا للغزالي وأفتوا بعكس ما أفتى به الأندلسيون .

(5) يعني كتاب إحياء علوم الدين .

(6) المعجب ص 172 - 173 . وانظر كذلك في احراق الاحياء نظم الجمان ص 14 والاستقصا ج 2 ص 67 .

(7) يوبع سنة 453 وتوفي سنة 500 وعمره تسعون عاماً . وهو أول من تلقب بأمير المسلمين . أنظر أخباره في الحلال ص 13 - 68 وأعمال الاعلام ص 283 - 252 والقرطاس ص 93 - 109 والاستقصا ج 2 ص 21 - 55 .

رابعاً : المنافسة التي كانت بين قبيلة صنهاجة المرابطية وقبيلة المصامدة الجبلية على زعامة البلاد واستغلال المهدي لهذه المنافسة ولجوءه إلى القبيلة المصمودية التي آمنت به وناصرته ، يدعوا لمذهبه وينشر فكرته في كثير من الأمن والاطمئنان (8) .

* * *

كان لا بد لهذه الأسباب وما نتج عنها من ضعف وانحلال ظهرت بوادرها في مختلف مجالات السياسة والاقتصاد والحياة الفكرية والاجتماعية - أن تجعل الناس يضيعون بالوضع ويصرفون النظر عن هذه الدولة ويتوقون إلى من يخلصهم من برائن طغيانها وفسادها ، وبالتالي ينضمون للمهدي ويصفون لدعوته التي كانت تنتشر بسرعة أفلقت السلطات ، واضطرت الأمير ابن يوسف - بعد استدعائه وفشل الفقهاء في مناظرته - (9) إلى إرسال حملة تأديبية فشلت في القضاء على حركته التي أخذ يتسع نطاقها . وتوالى الجيوش والحملات ، ودخل المهدي في حرب منظمة كان قد هيا لها العدة والرجال ، سواء في المجال العسكري أو الفكري ، حيث كان العلماء المبالون إلى الحكمة والفلسفة أسبق من غيرهم إلى

(8) أنظر التفاصيل في القرطاس ص 124 والاستقصا ج 2 ص 68 .

(9) أنظر ما دار بين المهدي والفقهاء المرابطين في أخبار المهدي للبديق ص 67 وأعز ما يطلب ص 4 والمعجب ص 184 - 185 والسكامل لابن الأثير ج 8 ص 295 - 296 ووفيات الاعيان لدى ترجمة المهدي في الجزء الثاني والقرطاس ص 121 - 122 وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 227 والاستقصا ج 2 ص 75 - 76 والاعلام لابن ابراهيم ج 2 ص 360 ودائرة المعارف الاسلامية م 2 ص 451 - 453 ومراكش لدوفردان Deverdun ج 1 ص 151 وتاريخ أفريقيا الشمالية (من الفتح إلى 1830) لجوليان Tulien ص 92 .

الاتفاف حول المهدي لفتح باباً كان مغلقاً بسيطرة الفقه المالكي ، حتى من كان منهم لا يؤمن بكل ما جاء به مذهب ابن تومرت . ولكن المنية عاجلت المهدي فتوفي قبل أن يتم له الانتصار (10) . وخلفه صديقه عبد المؤمن (11) فواصل محاربة المرابطين (12) إلى أن تمت له الغلبة والنصر فاتسم بالخليفة وتلقب بأمير المؤمنين . ولم يقنع بذلك ، فصرف عزمه إلى توسيع حدود دولته ، وخرج سنة أربع وثلاثين وخمسمائة في حملة دامت سبع سنوات لم يرجع منها إلا بعد أن تم له فتح المغرب الأقصى والأوسط . وتناقت نفسه لتوحيد المغرب العربي الكبير ، خاصة وقد ضعف أمر دولة بني زيري (13) التي كان قد استقر لها الحكم في المغرب الأوسط ، فوجه حملة برية وبحرية سنة أربع وخمسين وخمسمائة مكنته من فتح تونس وليبيا حيث وصلت فتوحاته إلى حدود مصر (14) . ففي

10 (توفي المهدي سنة 524 وكانت الحرب قد بدأت سنة 515 . انظر أخبارها في تاريخ البيدق ص 74 - 77 والحلل ابتداء من ص 90 .

11 (هو عبد المؤمن بن علي الكرومي بويع سنة 524 وتوفي سنة 558 ، أنظر خبر اتصاله بالمهدي في تاريخ البيدق ص 55-57 والدعوة الموحدية ص 88-96 . وانظر أخباره عند البيدق حتى ص 121 وفي الحلل ص 117-131 ومغرب ابن عذاري ج 3 ص 12 - 58 وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 229 - 238 وتاريخ أفريقيا الشمالية لجوليان ص 193 وكتاب مراکش لدوفردان ج 1 ص 157 .

12 (انظر تفاصيل حروب المهدي وعبد المؤمن مع المرابطين في المعجب ص 192 - 194 والقرطاس ص 123 - 125 والاستقصاء ص 78 - 84 .

13 (اسم أسرتين بربريتين حاكمتين أحدهما بالمغرب - وهي المعنية - والثانية بالأندلس ، وهي فرع من الأدرى ، وكانت لها إمارة مستقلة عاصمتها غرناطة ، وذلك بعد تفكك أوصال الخلافة الأموية في قرطبة .

14 (أنظر انتشار كلمة الدعوة الموحدية وترقب الناس لها في مصر عند ابن جبير في رحلته ص 22 - 23 - 49 - 50 .

المعجب أنه « تم لعبد المؤمن رحمه الله ملك أفريقية كلها منتظماً إلى مملكة المغرب فملك في حياته من طرابلس المغرب إلى سوس الأقصى من بلاد المصامدة وأكثر جزيرة الأندلس ، وهذه مملكة لم أعلمها انتظمت لأحد قبله منذ اختلت دولة بني أمية إلى وقته » (16) . وفي الحلال أنه « قد كل له بملك أفريقية مسيرة أربعة أشهر من المشرق إلى المغرب ومن طرابلس إلى أقصى السوس ومن الجنوب إلى الشمال في أعرض المواضع من قرطبة إلى سجلماسة خمسة وعشرين يوماً » (16) وكان لا بد لعبد المؤمن أن يولي اهتماماً كبيراً لأُمُور الأندلس - وكان الأعداء قد اغتبنوا ظروف الانقلاب الموحدوي وأغاروا منها على بلاد كثيرة - فأرسل إليها جيشاً قضى على هذه الأطماع ، وجاز إليها سنة ست وخمسين وخمسمائة ليشرف بنفسه على أحوالها ، وعاد وقد تم له إخضاع غرب هذه البلاد (17) . وقصد الأندلس مرة أخرى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة لاستكمال فتوحاته فيها ولكن المرض فاجأه فتوفي وهو في طريقه للجهماد ، فخلفه ابنه يوسف (18) الذي استطاع أن يحافظ على هيبة الدولة ويحفظ مكانها في العدوتين ، بل انه جاز إلى الأندلس مرتين وغزا بنفسه وأحرز انتصارات كثيرة . وتناقت إلى الثورة نفوس بعض الولاة في أفريقية ، لاسيما بعد وفاة يوسف سنة ثمانين وخمسمائة

15 (ص 230 .

16 (ص 130 .

17 (وهو الذي يضم الجزيرة الخضراء ومالقة وغرناطة ورندة وقرطبة واشبيلية .

18 (بوبع سنة 558 وتوفي سنة 580 أنظر أخباره في الحلال 131 - 132 والبيان المغرب

ج 3 ص 58 - 140 وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 238 - 246 ومراكش لدوفردان

ج 1 ص 199 .

ولكن ابنه يعقوب المنصور (19) استطاع أن يخمدها . واغتمم النصارى هذه الفرصة فعاودتهم الأطماع واستولوا على عدة مدن ، فما كان من المنصور إلا أن جهز جيشاً جاز به إلى الأندلس حيث كانت سنة إحدى وتسعين وخمسة مائة معركة الأرك المشهورة التي وطدت لدولة الإسلام في هذه البلاد . ولكن الهزيمة لم تفت في عضد الأعداء فبرزوا مرة أخرى بعد وفاة المنصور عام خمسة وتسعين وخمسة مائة ، فجهز لهم الناصر (20) جيشاً لم يستطع رغم عظمتهم أن يفوز بالناصر ، فقد كانت تنقصه القيادة والتدبير فهزم في وقعة العقاب (21) التي كان لها أكبر الأثر في التعجيل بسقوط الأندلس وبالتالي سقوط دولة الموحدين . فالخليفة الجديد يوسف (22) كان من الضعف بحيث لم يستطع مواجهة الأعداء ، وجاء بعده عبد الواحد (23) وعبد الله (24)

(19) بويص سنة 558 وتوفي سنة 595 . انظره في الحلال 132 - 134 ومغرب ابن عذارى ج 3 ص 140 - 211 وتاريخ شمال افريقيا لجوليان ص 112 ومراكش لدوفردان ج 1 ص 208 وكتاب عصر المنصور لمحمد الرشيد ملين .

(20) هو أبو عبد الله الملقب بالناصر بويص سنة 595 وتوفي سنة 610 أنظر فيه مغرب ابن عذارى ج 3 ص 211 - 243 وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 246 - 250 وتاريخ شمال افريقيا لجوليان ص 116 .

(21) كانت هذه الوقعة سنة 609 .

(22) هو أبو يعقوب يوسف بن محمد الملقب بالمستنصر بويص سنة 610 وتوفي سنة 620 أنظر أخباره في مغرب ابن عذارى ج 3 ص 243 - 247 وانظر أخبار الموحدين أثناء ولايته فما بعد في تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 250 - 262 .

(23) هو أبو محمد عبد الواحد بن يوسف بويص سنة 620 ولم يستقر له الأمر غير شهرين ثم خلع وقتل وهو أول مخلوع ومقتول في الموحدين وكان مقتله سنة 621 أنظر أخباره في ابن عذارى ج 3 ص 247 .

(24) هو أبو محمد عبد الله بن المنصور الملقب بالعاقل بويص سنة 621 وطلب منه منافسوه =

. . . والمأمون (25) والرشيد (26) والسعيد (27) والمرضى (28) وادريس (29) ،
وكلهم إخوة أو أولادهم ، شغلوا بأنفسهم ومحاربة بعضهم ، فضاقت مصالح
الدولة وتفككت أوصالها (30).

* * *

وإذا كان بعض الباحثين يرون أن الحركة الموحدية بدأت دينية لا تطمع في شيء وأن المهدي « كان مخلصاً في دعوته أشد الإخلاص وأنه لم يكن يهمه ملك ولا دنيا إلا بلوع قصده في محاربة الفساد وتجديد الدين . . . وأنه كان صاحب فكرة إصلاحية عمل لتنفيذها بالوسائل المألوفة قبل أن يكون طالب ملك يرتكب كل محظور للحصول عليه » (31) فإننا نرى أنها بدأت أشبه ماتكون بالحزب السياسي أو التنظيم الثوري الذي يدفعه الطمع في السيطرة والحكم إلى النعمة على الأوضاع والتخطيط لمحاربتها وتقويضها . حقاً ان المتتبع لحياة المهدي

= التنازل فرفض وقال لهم : « اصنعوا ما بدا لكم فوالله لا أموت إلا أمير المؤمنين »
فوضعوا رأسه في فسقية ماء حتي مات مخزوقاً وذلك سنة 624 .

(25) هو أبو العلاء ادريس بن المنصور انقلب بالمأمون ببيع سنة 624 وتوفي سنة 629 انظره
في الحلل 136 - 139 .

(26) هو عبد الواحد الرشيد بن المأمون ببيع سنة 630 ومات غريقاً في أحد صهاريج
بستانه بمراكش سنة 640 .

(27) هو أبو الحسن علي المدعو السعيد والمتلقب بالمعتضد ببيع سنة 640 ومات مطعوناً
سنة 646 .

(28) هو أبو حفص عمر المرضى ببيع سنة 646 وقتل سنة 656 .

(29) هو أبو العلاء ادريس ولقبه أبو دبوس الواقق بالله المعتمد على الله ببيع سنة 665 وقتل
سنة 674 وبقتله انقضت دولة الموحدين .

(30) أنظر أخبار نزاعات الموحدين في مغرب ابن عذارى ج 3 ابتداء من ص 248 .

(31) النبوغ ج 1 ص 100 .

وما صاحبها من حوادث وأحداث لا يرى من خلال تسلسلها غير عالم مصلح حفزته أهداف دعوته الدينية إلى خوض غمار السياسة ، ولكن قليلاً من التعمق في حياة الرجل ومحاولة الربط بين مقومات دعوته والتنظيم الدقيق لاتباعه والاستعداد الكامل لمحاربة جيش الدولة ، كل هذه أشياء تجعلنا لا نشك في أن المهدي بدأ حركته وقد وضع مخططاً ثورياً لنسف حكم المرابطين وإقامة حكم جديد على أنقاضه . فمن تنظيماته أنه صنف أتباعه طبقات ، فالعشرة الذين بايعوه أول الأمر وخرجوا معه من مراکش يسميهم الأصحاب والجماعة ، ويتبعهم في الرتبة أهل الخمسين ، وهم خمسون رجلاً يؤلفون مجلساً يمثلون كافة القبائل . وهكذا تستمر السلسلة على حد ما نقرأ في الحلل من أنه حين أخذ أتباعه يتأهبون للحرب جعل على كل عشرة منهم نقيباً وصنفهم أصنافاً فالصنف الأول أصحاب العشرة والصنف الثاني أهل الخمسين والصنف الثالث أهل السبعين والصنف الرابع الطلبة والصنف الخامس الحفاة وهم صغار الطلبة والصنف السادس أهل الدار والصنف السابع أهل هرغة والصنف الثامن أهل تينال والصنف التاسع جدميوة والصنف العاشر أهل جنفيسة والصنف الحادي عشر أهل هنتاتة والصنف الثاني عشر الجند والصنف الثالث عشر الغزاة والرماة . ولكل صنف من هذه الأصناف رتبة لا يتعداها غيرهم لا في سفر ولا في حضر لا ينزل كل صنف إلا في موضعه لا يتعداه فانضبط مراده وأقاموا على ذلك مدة حياته (32) . »

ومن تحليل هذه السلسلة يبدو أن التنظيم الموحد في الميدان الإداري والعسكري كان قوياً ومتأسكاً ، وأنه سار في اتجاهين : أحدهما فكري نخبوي للعمل المذهبي والثاني جماهيري للعمل المسلح .

(32) ص 89 وانظر أتباع المهدي وأصنافهم مفصلة قبائلهم وبعض أسماهم في القبتيس 32 - 48 وأخبار المهدي 73 والمعجب 188 وأعمال الاعلام 268 - 269 وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 470 والدعوة الموحدة 178 - 179 .

وكان لابد للمهدي أن يلجأ إلى الدين وإلى أصول الشرع ليهاجم حكم المرابطين ويقوض دعائه الفقهية القائمة على علم الفروع . وكان لابد كذلك أن يتصل مباشرة بجمهير الشعب يعمبها ضد المرابطين (33) ويكون منها قاعدة لحرركه ، يساعده في ذلك إتقانه للعربية والبربرية معاً ومخاطبته للناس بما يفهمون حيث « كان أفصح الناس في اللسان العربي واللسان البربري ينقل به إليهم المواعظ والأمثال ويضرب لهم المقاصد فجذب نفوسهم واستجلب قلوبهم وسهل عليهم التعلم بنفسه وبأعيان أصحابه (34) » .

ويتضح لنا إلحاح الجانب السياسي علي المهدي في أمرين :

أولهما لجوءه إلى البربرية وسيلة للاتصال بالجمهير ، مما نشأت عنه ظاهرة الازدواج اللغوي كما سنرى في فصل لاحق .

والثاني اعتماده - للإقناع بشرعيته والتثبيت لها - على مبادئ الشيعة المتصلة بالمهدوية والعصمة . وقد استغل المهدي - حين أدار مذهبه في الجانب السياسي على هذه المبادئ - حب المغاربة القوي وارتباطهم القديم بآل البيت ، كما استغل عدم جدة الأفكار الشيعية عليهم .

على أن المهدي لم يكن يتردد - عند عجز منطق دعوته - في اللجوء إلى حيل الشعوذة والتدجيل ، على حد ما فعل حين أمر صاحبه عبد الله الونشريسي بكتهم علمه وفصاحته وفضله وإظهار الجهل واللكن والتعري عن الفضائل « لتتخذ الخروج عن ذلك - كما يقول المهدي - واكتساب العلم والفصاحة

(33) أنظر ماكتبه المهدي في « أعز ما يطلب » تحت عنوان (باب في بيان طوائف المبطلين والمثمين والجسمين وعلاماتهم) ص 258 .

(34) الحلال ص 90 .

دفعه واحدة ليقوم ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا إليه فنصدق فيما نقول (35)». كما أنه لم يكن يتردد في اللجوء إلى اتباع أساليب القسوة والعنف . فقد ذكر ابن الأثير (36) أن أصحاب المهدي كانوا يقدمون له لوائح سوداء بأسماء الأشرار المناوئين يختار منها ومن لائحة يضعها بنفسه من يقدمون يوم التمييز . وعند البیدق أنه أمر بالميز في آخر أيام غزوه « فكان البشير (37) يخرج المخالفين والمنافقين والخبثاء من الموحدين حتى امتاز الخبيث من الطيب ورأى الناس الحق عياناً وازداد الذين آمنوا إيماناً وذاق الظالمون النار فظنوا أنهم مواقعوها وما لهم عنها من محيص . وكان تمييز البشير للخلق من يوم الخميس إلى يوم الجمعة بعد أربعين يوماً (38) » .

والمتتبع في عمق حياة المهدي لا يلبث أن يلاحظ أن هذه الحياة تدرجت في خمس مراحل :

أولاً : بدأ آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يتلمس طريقه ويحاول الاحتكاك بالجاهل .

ثانياً : برز فقيهما يفرض وجوده بمجادلة فقهاء المرابطين بمراكش .

ثالثاً : أصبح أستاذاً في أغيات يلتف حوله الطلاب الذين منهم كان يختار الأتباع .

رابعاً : أخذ يكون من تلاميذه ومريديه خلايا كانت نواة حزب سياسي .

(35) وفيات الأعيان ج 2 ص 38 وانظر في القرطاس 128 بعض حيله الإجرامية .

(36) في حوادث سنة 514 .

(37) صاحب المهدي .

(38) تاريخ البیدق ص 78 وأنظر كذلك الحديث عن عملية التمييز في الدعوة الموحدية ص 221

خامساً : أعلن عن زعامته .

* * *

وإذن فلم تكن دعوة المهدي مجرد دعوة دينية وإنما كانت حركة ثورية سياسية منظمة عملت بمختلف الوسائل على قلب الحكم المراتبي ، ولم يكن انتصارها مجرد انتصار مذهب ديني على مذهب آخر بل كان انتصار نظام حكم على نظام مقبوض قامت على أنقاضه دولة بلغت ذروة مجدها على عهد عبد المؤمن وابنه يوسف وحفيده يعقوب المنصور الذين استطاعوا بحنكتهم وقوة شخصيتهم أن يوسعوا رقعة الثورة الموحدية وأن يبنوا هذه الثورة ويثبتوا دعائمها بما يقوي مركز الدولة . فعبد المؤمن يعنى بالجيش وينشئ صناعة الأسلحة ويأمر بأن تنشأ في جميع سواحل البلاد أساطيل حربية بلغ عددها أربعمئة قطعة (39) . أما يوسف فقد عرفت الدولة على عهده ازدهاراً مالياً كبيراً تمثل في الدينار اليوسفي حيث « استغنى الناس في أيامه وكثرت في أيديهم الأموال (40) » . وأما المنصور فقد قوى إنشاء الأساطيل في أيامه وكثرت مصانعها ومدارس التدريب عليها لدرجة أن صلاح الدين الأيوبي استغاثه واستنجد بأساطيله في محاربة الصليبيين بالشام (41) . وقد نشطت على عهد المنصور جميع فروع الصناعة إلى حد كان في مدينة فاس وحدها اثنا عشر مصنعاً لسبك النحاس وثلاثة آلاف مصنع نسيج وسبعة وأربعون مصنع صابون وأحد عشر مصنعاً للزجاج وأربعمئة مصنع للكاغذ وعشرات غيرها من المصانع المختلفة التي تكشف عما

(39) القرطاس 141 .

(40) المعجب 238 .

(41) انظر مقدمة ابن خلدون ص 222 والاستقصا ج 2 ص 162 ،

بلغته الدولة من تفوق حضاري كان يسير جنباً إلى جنب مع تقدم الإنشاءات الحربية التي تجلت في استعمال البارود وصناعة المجانيق والدبابات (42) .

وبهذا يتضح لنا أن عهد الموحدين - وخاصة في ظل الخلفاء الثلاثة - شهد ازدهاراً اقتصادياً (43) تجلّى في هذه المظاهر الأربعة :

أولاً : كثرة المصانع سواء في المغرب أو الأندلس .

ثانياً : التبادل التجاري مع مختلف أقاليم حوض المتوسط حيث كانت للموحدين مكاتب تجارية «فنادق» في بعض مدن فرنسا وإيطاليا ، أهمها مرسيليا وجنوة والبندقية .

ثالثاً : عملة قوية (44) .

رابعاً : اسطول تجاري بحري تعززه صناعة السفن .

ولكن بواذر الانهيار لم تلبث أن ظهرت على دولة الموحدين وهي بعد في أول الطريق ، ومن أسباب هذه المظاهر :

أولاً : استبداد الأشياخ والولاة بالحكام .

ثانياً : الحروب في الأندلس وانهزام الموحدين في وقعة العقاب وما نتج عنه

(42) أنظر تفاصيل هذه النهضة الصناعية بالقرطاس ص 28 وتقدم العرب ص 147 - 166 - 250

(43) انظر في الحالة الاقتصادية لمراكش على عهد الموحدين كتاب دو فردان ج 1 ص 278 -

. 287

(44) انظر بحثاً حول الدراهم الموحدية في مجلة هسبرس 1 - 2 Fas 1933 trim 3 o 1

Hespérís

من تقلص ظلهم في الأندلس إلى حد استنجد الخلفاء (45) بالأمراء
الاسبان ضد منافسيهم في الحكم وقبولهم لشروط هؤلاء الأمراء
ومساوماتهم (46) واستعانتهم بجنود مسن المرتزقة المسيحيين في
جبهتهم لمواجهة الفتن والثورات التي كانت تقوم ضدهم وخاصة
في افريقيا .

ثالثاً : ضعف الجوانب الاقتصادي نتيجة تقلص الطرق التجارية وحركة
المراكز والموانئ .

رابعاً : الأزمة المالية المتمثلة في انهيار العملة .
خامساً : فتور الروابط بالشعب نتيجة سياسة القمع المتجلية في الأحكام
التي كان يصدرها الخلفاء بإعدام منائهم ومخالفهم دون تردد .

سادساً : انهيار الايديولوجية الموحدة التي كانت العمود الفقري للدولة ،
في وقت كان الفقهاء المالكيون يقومون بتحركات سواء في المغرب
أو الأندلس . فحركة المنصور ثم المأمون - كما سنرى بعد- لا يمكن
أن تفسر إلا بأنها عملية رد النفس للدولة ، وكان يمكن لها أن تنجح
لو توفرت لها الأطر مثلما توفرت لدعوة المهدي .

كل هذه أسباب جعلت أوصال الامبراطورية الموحدة تتفكك وتتحلل
لترتها دويلات هي :

أولاً : المرينية في المغرب الأقصى (47) .

(45) يعتبر المأمون أول من فعل ذلك .

(46) أنظر القرطاس ص 178 - 179 .

(47) 674 - 869 هـ (1275 - 1464 م)

ثانياً : الزناتية في الجزائر أو المغرب الأوسط (48) .

ثالثاً : الحفصية في تونس أو افريقية (49) .

* * *

نعود إلى التيار المذهبي الذي سلك المهدي في ثورته ضد المرابطين فنرى أن الحديث عنه يقتضي منا أن نلقي نظرة على الحركات الدينية السابقة وما كانت تدعوله من أفكار - وفدت من المشرق في أغلبها - عسى أن نكشف من خلالها مدى تجاوب المغاربة مع أحداث الشرق الدينية ومدى تقبلهم للتيارات المذهبية التي كانت تصاحب هذه الأحداث .

والإسلام حين دخل إلى المغرب (50) أول الأمر على يد عقبة بن نافع (51) كان بسيطاً خالياً من كل خلاف أو تعقيد ، مما جعل البربر يتأثرون بمبادئه ويقبلون عليه . وكذلك كان حين استقر بعد ذلك في عهد موسى بن نصير واسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر ، وبدأ يتغلغل في نفوسهم لما رأوا من يسر مبادئه وسموها ، ومن عدل القائمين على شؤونهم ، وكانوا قبل ذلك - على حد قول ابن أبي زيد القيرواني - قد « ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس إلى طنجة ولم يستقر إسلامهم حتى أجاز موسى بن نصير إلى الأندلس بعد أن دوح المغرب وأجاز معه كثيراً من رجالات البربر وأمرهم برسم الجهاد ، فاستقروا هنالك من لدن الفتح

(48) 633 - 737 هـ (1236 - 1337 م)

(49) 626 - 981 هـ (1228 - 1574 م)

(50) أنظر أخبار الفاتحين والولاة الأول في الاستقصا ج 1 ص 78 - 136 .

(51) قائد الجيوش العربية إلى افريقيا في خلافة معاوية من سنة 50 إلى 55 ثم في خلافة ابنه يزيد من 60 إلى 64 .

فحينئذ استقر الإسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردة(52) .

وكان نتيجة لهذا الاستقرار أن اطمأن المغاربة للدين الجديد ، وزال موقنا ما كان في قلوبهم ضد العرب من نفور ، وزاد الاتصال بالشرق الذي أخذت أصداء أحداثه تتردد في المغرب ، وبدأت فئات الخوارج المنهزمة في المشرق ، وخاصة منها الإباضية والصفورية(53) تفقد عليه من العراق تحاول الترويج لمذهبها الذي وافق مزاج البربر وناسب وضعهم السيامي والاجتماعي ، حيث كانوا يعارضون به كل من يحاول أن يفرض عليهم سيادة عنصرية أو مذهبية .

ولعل الدور الذي لعبه الخوارج في بقية بلاد الشمال الافريقي كان أكثر قوة وفعالية من دورهم في المغرب ، لاسيما في ليبيا وتونس (طرابلس وافريقية) حيث كاد صراع الإباضيين مع العرب السنيين أن يزعزع كيـان الخلافة ويحث على الاستقلال . وكان بالفعل أن تأسست دولة في تاهرت بالجزائر (المغرب الأوسط) تحت لواء الأسرة الرستمية التي أستطاعت أن تحفظ لهذه الدولة كيـانها طوال قرن ونصف إلى أن هزمها الفاطميون بقيادة أبي عبيد الله الشيعي فتشتت الإباضيون في مناطق مختلفة من تونس والجزائر وما زالوا يعيشون بها حتى اليوم .

وربما كان عدم تسرب المذهب الخارجي إلى المغرب بمثابة هذا المد العنيف يرجع فيما نعتقد إلى الدولة الادريسية التي عاصرت الدولة الرستمية والتي كان لها من القوة ما مكنها ليس فقط من بسط نفوذها في المغرب ، وإنما كذلك من مزاحمة جيرانها بني يفرن لدرجة أنها أستطاعت أن تنزع منهم مدينة تلمسان .

(52) تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 110 .

(53) اتباع عبدالله بن اباض، وهم اكثر فرق الخوارج اعتدالا، والصفورية أتباع زياد بن الأصفر .

كذلك بدأ المذهب الشيعي يتسرب إلى قلوب البربر ويجد بعض الإقبال ، ولكنه إقبال غير ناتج عن اقتناع فكري بالمذهب وإنما هو ناتج عن عطف على العلويين وإشفاق عليهم مما أنزل بهم الامويون والعباسيون من نكبات كانت تتردد أصدائها في المغرب فتجد لها مكاناً رحباً في نفوس البربر ، لاسيما وهم ما يزالون حديثي عهد بالإسلام . وليس هذا بغريب ، فالمغاربة كانوا دائماً يحبون آل البيت ويحلون علياً وابنيه ، وربما فضلوهم على من سبقه من الخلفاء .

وتتجلى مظاهر حب المغاربة لآل البيت واضحة في الترحيب الذي لقيه المولى ادريس اثر فراره من وقعة فح سنة 169 هـ على عهد الهادي العباسي وتنازل عبد الحميد بن اسحق الأوربي عن أمارته له في وليلي ودعوته للقبائل أن يبايعوه . وليس مستبعداً أن يكون المولى ادريس - وهو علوي مناضل - قد حمل بعض مبادئ الشيعة إلى المغرب مما قد يدل على اتصال الحركة الشيعية بالمغرب قبل ظهور الداعية الاسماعيليه أبي عبيد الله المهدي مؤسس دولة العبيديين في الشمال الافريقي . وليس مستبعداً كذلك أن يكون قد وجد القبيلة الأوربية تتمذهب بالاعتزال الذي يبدو أنه تسرب للمغرب في هذا الوقت ، مما قد يستنتج منه انتشار المذهب الاعتزالي قبل حركة المهدي بن تومرت ، ان كانت تعتبر هذه الحركة اعتزالية كما سنبين بعد . ولكن الذي لاشك فيه أن الادارسة لم يكونوا من المعتزلة ولا من الامامية أو الاسماعيليه ، ولم يكن لهم مذهب معين في الشيعة وانهم لذلك لجأوا إلى السنة وإلى المالكية خاصة .

والواقع أنه قبل انتشار مذهب مالك وفي الوقت الذي كانت تتسرب مبادئ الشيعة والخوارج إلى المغرب والشمال الافريقي ، كان الاتجاه غالباً لفقه أبي حنيفة . فقد ذكر ابن خلكان في ترجمة المعز بن باديس أن مذهب أبي حنيفة كان أظهر المذاهب في المغرب إلى أن جاء المعز «فعمل جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الامام مالك بن أنس رضي الله عنه وحسم مادة الخلاف في

المذهب (54) . وفي مقدمة كتاب الفقه على المذاهب الأربعة أن « افريقية كان الغالب على أهلها السنن إلى ان قدم اليها عبد الله بن فروح أبو محمد الفارس فنقل إليها مذهب أبي حنيفة (55) » . وفي ترتيب المدارك يقول القاضي عياض : « وأما افريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد وابن اشرس والبهلول بن راشد وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس ولم يزل يفسو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه وفض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده في اصحابه فشاع في تلك الأقطار (56) » .

ومها يكن فقد تعرض المغرب في هذه الفترة ، ومع بداية تأسيس الدولة الادريسية ، لصراع بين الشيعية والخارجية والسننية وصراع آخر بين الحنفية والمالكية انتهى بانتصار المذهب المالكي في جزء كبير من المغرب وانتصار الامامية في بقية بلاد الشمال الافريقي . ومن المؤكد أنه حين أخذ ينتشر في المغرب على هذا العهد ، كان وافداً إليه من الأندلس حيث ظهر أول الأمر وحيث كان مذهب الاوزاعي سائداً . فعند القاضي عياض أن أهل الأندلس كانوا منذ الفتح « على رأي الاوزاعي إلى أن رحل الى مالك زياد بن عبد الرحمن وقرعوس بن العباس والغاز بن قيس ومن بعدهم فجاءوا بعلومه واثبتوا للناس فضله واقتداء الامة به فعرف حقه ودرس مذهبه (57) » .

ويرجع انتشار المذهب المالكي في المغرب والأندلس لأسباب نستطيع أن نذكر منها :

(54) وفيات الأعيان ج 1 ص 137 .

(55) ص 27 .

(56) ج 1 ص 25 - 26 المغرب

(57) المصدر السابق .

أولاً : ما ذكره ابن خلدون من أن رحلة المغاربة والأندلسيين « كانت غالباً الى الحجاز وهو منتهى سفرهم ، والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق ، ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة وشيوخهم يومئذ وامامهم مالك ... فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته (58) » .

ثانياً : ما ذكره ابن خلدون كذلك من أن البداوة « كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق فكثروا الى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غصاً عندهم ولم يأخذوا تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب (59) » .

ثالثاً : ماورد في النفح لدى ترجمة الفقيه يحيى بن يحيى الليثي من أن ابن حزم قال : « مذهبنا انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة ، فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق الى أقصى عمل افريقية ، فكان لا يولي الا أصحابه والمنتسبين لمذهبه ، ومذهب مالك عندنا بالأندلس ، فإن يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاء وكان لا يلي قاض في اقطار الأندلس الا بمشورته واختياره ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه (60) » .

(58) المقدمة ص 375 .

(59) نفس المصدر .

(60) النفح ج 1 ص 328 .

رابعاً : طبيعة المذهب نفسه ، فهو من جهة لا يعتمد المنطق والقياس بقدر ما يعتمد على النص والنقل مما يجعله يتفق ومزاج المغاربة الذي ينفر من الفلسفة والتفريع ويتمسك بالاثار والرواية ، وهو من جهة أخرى يدعو الى العزوف عن السلطة - واعني السلطة الأجنبية وأما الوطنية فإنه يتعاون معها إلى اقصى حد كما يشهد عهد المرابطين - وهو في هذا يوافق الطبيعة المغربية التي تميل إلى الاستقلال وعدم الخضوع لأية سيطرة خارجية . وقد يكون في هذا الجانب كذلك بعض التبرير لانتصار المالكية على الحنفية التي كانت على عكس المالكية وإلى جانب قولها بالرأي تنقرب للحكم وتقبل تولي مناصب الفتيا والقضاء (61) .

وإذا كان المذهب المالكي قد انتقل إلى المغرب في عهد الأدارسة فإن انتشاره قد عم في عهد المرابطين وعلى يد داعيتهم عبد الله بن ياسين الذي أوفده أبو عمران الفاسي بطلب من أحد زعماء صنهاجة هو يحيى بن ابراهيم الجدالي ليهدي الناس ويرشدهم إلى أمور الدين . وربما يكون ابن ياسين قد اتصل فقط بالفقيه المالكي المغربي وجاج بن زلو الذي يبدو أن شيخه أبا عمران قد انتدب لتفقيه داعية المرابطين في المذهب . وزاد في انتشار المذهب وتغصن المرابطين له كراهيتهم للشيعية وخاصة يوسف بن تاشفين الذي كان لا يعترف بدولة الفاطميين في مصر والشام في الوقت الذي يمد يده لاعدائهم العباسيين (السنين) .

(61) مما قد يدخل في نطاق الأسباب ما ذكر المقدسي في أحسن التقاسم من أن فريقين من الحنفية والمالكية تناظرأوا يوماً أمام السلطان فقال لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا : من الكوفة . فقال : ومالك ؟ قالوا : من المدينة قال : عالم أهل المدينة يكفيها وأمر باخراج أصحاب أبي حنيفة ، وقال : لا أحب أن يكون في عملي مذهبان .

وحق هذا العهد ، كان ما يزال للروافض بعض المراكز والأتباع ، فقد « كان بتارودانت قوم من الروافض يقال لهم البجلية منسوبين إلى عبد الله البجلي الرافضي الذي كان قدم إلى السوس حين قدم عبد الله الشيعي لأفريقية فأشاع هناك مذهبه فورثوه بعده جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن لا يرون الحق إلا ما في أيديهم ، فقاتلهم عبد الله بن ياسين حتى فتح مدينتهم عنوة ، وقتل بها من الروافض خلق كثير فرجع من بقي منهم إلى السنة (62) » ، ومعروف أن الروافض من شيعة الكوفة الغالين ونستطيع أن نضمهم مع الإمامية ، وكانوا قد رفضوا بيعة زيد بن علي بن الحسين ولم يرضوا أن يخرجوا معه سنة 121 هـ بعد أن تبين لهم أنه ينهى عن الطعن في الصحابة وأنه لا يبرأ من الشيعيين .

ولعل الحركة البجلية هذه كانت آخر آثار المذهب الشيعي في المغرب حيث يبدو أن اختفاءه منه يرجع لعدم استعداد المغاربة الفكري للافتناع ببدعه وغيبياته ولعقليتهم الثورية التي كانت لا ترضى عن وسائل العنف التي كان يسلكها الفاطميون في نشر مذهبهم . وإذا كان المذهب قد اختفى من المغرب فهو قد انتقل إلى الأندلس وظل يعمل في الحفاء إلى أن نهض على عهد المحمديين في قرطبة . ولكن المحمديين — كالأدارسة ويرجع نسبهم إليهم — لم يكونوا يحاولون نشره بالمعنى المعروف عند المشاركة ولم يكن لهم مذهب معين في الشيعة .

* * *

ظل المغرب طوال عهد المرابطين يحمل لواء المذهب المالكي إلى أن ظهر ابن تومرت (63) يدعو لمذهب جديد . وابن تومرت — وأصله من قبيلة هرغة

(62) القرطاس 88 .

(63) في الحلل أنه « كان يقال لوالده تومرت وأعمار وأسافر ومعناه بلسان البربرية الضياء لإفادة الضياء في المسجد » ص 85 .

المصمودية - يسمى محمد بن عبد الله . ويستمر البيدق في ذكر سلسلة نسبه فيقول انه « ابن وگليد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله بن ادريس بن الحسن بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله صلعم (64) » . بدأ دراسته في المغرب ثم رحل (65) طالباً للعلم في الأندلس والمشرق « حيث انتهى إلى بغداد ولقي أبا بكر الشاشي فأخذ عليه شيئاً من أصول الفقه وأصول الدين وسمع الحديث على المبارك بن عبد الجبار ونظرائه من المحدثين (66) » واجتمع « بالكيا الهراسي والطرطوشي (67) » وغيرهم من العلماء والأئمة (68) الذين جالسهم وأفاد مما كانت

(64) المقتبس ص 21 وأنظر نسب المهدي في نظم الجمان 34 . وإذا كان البيدق وكذلك المراكشي يميلان نسبه فإن ابن ابي زرع وابن خلدون يشكان فيه . أنظر أخبار المهدي في الكتب التي تحدثت عن الموحدين وأنظر ترجمته خاصة في كتاب البيدق وجزء من نظم الجمان والقسم الثالث من أعمال الاعلام ص 266 - 271 وفيات الاعيان ج 2 وأزهار البساتين ص 77 - 134 والدعوة الموحدية . ويعتبر تاريخ البيدق من أوثق مصادرنا عن المهدي ولكن ما وصلنا منه لا يتحدث فيه عنه إلا ابتداء من وصوله إلى تونس في طريق العودة . وهذا ما يجعل كثيراً من الغموض يتصل بحياته ابتداء من تاريخ ميلاده الذي لم تشر إليه كثير من المصادر المهمة مثل المعجب والقرطاس . وإذا كان ابن خلكان يؤرخ لولادته في سنة 485 فإن ابن الأثير يراها بين عامي 469 و 473 على أساس انه حين توفي سنة 524 كان عمره ما بين 51 و 55 عاماً .

(65) انظر رحلة المهدي إلى المشرق في المصدر السابق ص 3 ولعل خروجه من سوس كان سنة 501 .

(66) المعجب 178 .

(67) وفيات الاعيان ج 2 ص 37 . والهراسي هو أبو الحسن علي محمد بن علي الفقيه الشافعي ، كان يدرس بالنظامية في بغداد . توفي سنة 504 اما الطرطوشي فهو أبو بكر محمد بن الوليد صاحب كتاب « سراج الملوك » ولد في طرطوش سنة 451 ورحل إلى المشرق في طلب العلم سنة 476 فدرس في بغداد والبصرة ودمشق والقاهرة وانتهى به المطاف في الإسكندرية فأقام بها إلى ان توفي سنة 520 .

(68) انظر شيوخ المهدي المشاركة في الحلل 85 وانظر دراسة عامة في الدعوة الموحدية ص 57-80

تزخر به حلقاتهم من جدل عقلي ودراسات فلسفية لم يكن له عهد بها من قبل ، وعاد إلى وطنه وقد صمم العزم على الثورة والإصلاح ومناهضة الفروع والفقهاء يدعو لمذهب هو مزيج من الأشعرية ومبادئ الشيعة الإمامية . فهو يعتقد في العصمة والإمامية وينتصر للعقائد السلفية والدفاع عنها بالحجج العقلية ويحلل فكرة تنزيه الله وابعاد أية شبهة عن ذاته توحى بالتشبيه (69) ويدعو إلى تأويل المتشابه من الآيات (70) والأحاديث (71) حتى لا يقع في التجسيم الذي يرمي به المرابطون ، يقصد تشبيه الذات الإلهية بالحدوث مما يضيء صفة الوجود المادي على هذه الذات باعتبارها واقعا ماديا مجسما ملموسا له حيز في المكان . ومن هنا سمى أتباعه بالموحدين ، قصده من التسمية انهم ينزهون الله تعالى عن مشابته لخلقه في الذات والصفات . يقول ابن خلدون متحدثا عن المهدي : « وكان قد لقي بالمشرق ائمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقتهم في الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة في صدر أهل البدعة وذهب الى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والأحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه ، اقتداء بالسلف في ترك التأويل وقرار المتشابهات كما جاءت . ففطن أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد وأعلن بإمامتهم ووجوب تقليدهم . وكان رأيهم القول بعصمة الإمام على رأي الإمامية من الشيعة وألف في ذلك كتابه في الإمامية الذي افتتحه بقول : أعز ما يطلب ، وصار هذا المفتوح لقبا على ذلك (72) » .

(69) على طريقة المعتزلة .

(70) كقوله تعالى : ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام (الرحمن 27) الرحمن على العرش استوى (طه 5) يد الله فوق أيديهم (الفتح 10) .

(71) على طريقة الأشاعرة .

(72) العبر ج ، ص 226 .

وعلى الرغم من أشعرية المهدي فإنه قد اتخذ موقفاً سلفياً من قضية الصفات حيث أعطاهما بعداً بسيطاً جعله يربطها بأسماء الله الحسنى لا يحيز فيها أي قياس أو اشتقاق أو اصطلاح . فعنده أن « أسماء الباري سبحانه موقوفة على إذنه لا يسمى إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه لا يجوز القياس والاشتقاق والاصطلاح في أسمائه ، يسمى الخلق فقيهاً سخياً لعلمه وكرمه ولا يقاس عليه الخالق سبحانه ويسمى الخلق رامياً قاتلاً لرميه وقتله ولا يقاس الخالق سبحانه ، ويسمى الخلق زيداً وعمراً يولد ليس له اسم فيصطلح عليه اسمه ، وليس المخلوق أن يتحكم على خالقه فيسميه بما لم يسم به نفسه في كتابه ، ما نفاه عن نفسه في كتابه نفاه عنه وما أثبتته لنفسه أثبتته له ، من غير تبديل ولا تشبيه ولا تكييف ، يسميه بأسمائه الحسنى ويدعوه بها » (73) . وهذا على عكس الأشاعرة الذين يعتبرون أن صفات الله قديمة وموقوفة على الذات الإلهية وقائمة عليها .

وربما كانت الدعوة الموحدية في بعض مبادئها ، وخاصة في تنزيها الذات الإلهية وإبعادها عن كل شبهة تدنيها من التشبيه والتجسيم ، قد تأثرت بآراء الاعتزال . فعند المراكشي أن المهدي « كان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها » (74) . ومع ذلك فقد يقال بأن الأشعرية شيء والاعتزال شيء آخر وبأن القول بالتأويل والتنزيه من صميم آراء الأشعرية ، وإن المهدي ما دام أشعرياً لا يمكن أن يكون معتزلياً وأنه متأثر في دعوته بثلاث تيارات ، هي :

الأشعرية والإمامية وآراء الغزالي .

(73) أعز ما يطلب ص 237 (فصل في أسماء الله تعالى)

(74) المعجب 188 .

وسواء أكان المهدي متأثراً بالاعتزال أم غير متأثر ، وسواء أكان هذا المذهب وارداً على المغرب مع الموحدين أو سابقاً عليهم ، فإن الذي يبدو غير مشكوك فيه أن فرقة من المعتزلة هي الواصلية ، منسوبة لواصل بن عطاء ، كان لها بالمغرب أتباع ، على حد ما يثبت نص وارد عند الشهرستاني - وهو معاصر للموحدين حيث توفي سنة 548 - لدى حديثه عن هذه الفرقة : « وبالمغرب الآن منهم شذمة قليلة في بلد إدريس بن عبد الله الحسيني الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور ويقال لهم الواصلية ، واعتزالهم يدور على أربع قواعد : القاعدة الأولى القول بنفي صفات الباري تعالى من العلم والقدرة والإرادة والحياة ... القاعدة الثانية القول بالقدر ... القاعدة الثالثة القول بالمنزلة بين المنزلتين ... القاعدة الرابعة قوله في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين أن أحدهما مخطيء لا بعينه وكذلك قوله في عثمان وخاذليه أن أحد الفريقين فاسق لا محالة كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا بعينه (75) .. »

والحديث عن المهدي مقترن دائماً بذكر مقابلته للغزالي على اختلاف المؤرخين في قبول هذا القول أو رفضه . فعند ابن الأثير : « ... وقيل انه جرى له حديث مع الغزالي فيما فعله بالمغرب من التملك فقال له الغزالي ان هذا لا يتمشى في هذه البلاد ولا يمكن وقوعه لأمثالنا كما قال بعض مؤرخي المغرب والصحيح أنه لم يجتمع به (76) » . وفي وفيات الأعيان أنه « اجتمع بأبي حامد الغزالي (77) » وعند المراكشي « أنه لقي أبا حامد الغزالي بالشام أيام تزده (78) » . وعند ابن أبي دينار أنه « لازم أبا حامد الغزالي ثلاث سنين

(75) الملل والنحل ج 1 ص 57 - 61 .

(76) الكامل في التاريخ ج 8 ص 294 في حوادث 514 لدى تعرضه للمهدي .

(77) ج 2 ص 37 .

(78) المعجب 178 .

وحصل عليه علماً عظيماً . وكان أبو حامد إذا رأى ابن تومرت يقول لا بد لهذا البربري من دولة (79) . ويقول صاحب الحلل بعد الحديث عن قدوم وفد اشبيلية لتقديم البيعة لعبد المؤمن ، وكان فيه القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري « ثم ان الخليفة عبد المؤمن سأل ابن العربي عن المهدي هل رآه أو لقيه في مجلس أبي حامد الغزالي ببغداد فقال له لم ألقه وإنما سمعت به وان الشيخ كان يقول لا بد من ظهوره (80) » . أما ابن خلدون فعنده أن المهدي « لقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي » (81) .

وعلى الرغم من هذا الخلاف فإن الذي لاشك فيه أن المهدي تأثر بالغزالي وبآرائه في مناهضة كتب الفروع والفقهاء ، وهي الآراء التي بسطها في باب العلم من كتابه احياء علوم الدين (82) . ويبدو أن كتب الغزالي كانت سبيل كل مصلح أو مناهض للأوضاع في هذا العصور في أعقاب دولة المرابطين ، فأبو العباس ابن قسي زعيم طائفة المريدين الثائرة كان يزاوّل تدرّيس كتب أبي حامد الغزالي باشبيلية واتخذ من تلاميذه ورواده هيئة جعلها أركان حزبه وتسمى بالإمام (83) .

والحقيقة أن المهدي باعتماده على مبدئي العصمة والإمامية يختلف مع الغزالي والأشاعرة وسائر أهل السنة حيث يرفضون جميعاً هذا المبدأ ، دون أن ننسى أن الغزالي تلميذ للأشعري كما هو معروف . ويكاد يكون مؤكداً أن قضية العصمة والإمامة تدخل عند المهدي في اتجاهه السياسي وليس في اتجاهه المذهبي

(79) المؤنوس في أخبار افريقية وتونس ص 107 .

(80) ص 122 - 123 .

(81) العبر ج ، ص 266 .

(82) انظر الجزء الأول من الاحياء .

(83) انظر تاريخ البيدق ص 125 والمعجب ص 212 وابن خلدون ج 6 ص 485 والمد بالإمامة

ص 31 والصادر المذكورة .

لأنه كان سنياً سلفياً . وإذا كان ابن تومرت يدخل بهذه القضية في صميم الآراء الشيعة فإن الذي لاشك فيه أنه يخالف جل هذه الآراء وخاصة منها الاعتراف بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان اعترافاً لا يراه من الشيعة إلا الزيدية .

كذلك يبدو المهدي في أخذه بالعصمة والإمامة جبرياً معارضاً للمعتزلة الذين نفوا القدر ورفضوا الجبرية وأثبتوا حرية الإنسان وإرادته في اختيار أفعاله واشتراطوها أساساً للتكليف بالواجبات .

ومهما يكن فمذهب المهدي دعوة للاجتهاد بالرجوع إلى الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، والاعتماد على علمي الكلام والأصول ، وهما من العلوم التي شجع على طلبها . وكان من نتائج انتشار هذين العلمين أن وفق — إلى حد — بين آراء الفقهاء والمتكلمين ، وكان بالتالي أن تخلى فقهاء المالكية عن كثير من التعصب الذي عرفوا به في عهد المرابطين ونظروا في العلوم الجديدة وحاولوا تطويعها لخدمة المذهب الذي زاد تفرعاً وانتشاراً لدرجة دفعت المنصور إلى محاربته وإحراق كتبه كما سنبين بعد .

ثم إن الدولة الموحدية في لجوئها إلى العلم المتفلسف وسيلة للوصول إلى أهدافها ، تعتبر منذ نشأتها منافسة للفاطميين ، وكانت لهم عناية كبيرة بالفلسفة ومذاهب القدماء ، فكان لابد أن تدرس أحوالهم وتتعنى بأمورهم السياسية والعلمية وتتعرف على دعوتهم . وكانت النتيجة أن قابلتهم بالمثل ، فالمهدي يسير على نهج الفاطميين والانتساب لآل البيت واتخاذ لقب المهدي والاعتناء بعلوم الجفر والتنجيم . فالجفر جلد ماعز كان يستعمل في الكتابة ، ويزعم الروافض أن جعفر الصادق كتب لهم فيه ما سيكون من حوادث إلى يوم القيامة . وفي وفيات الأعيان لدى ترجمة المهدي انه قد اطلع في المشرق على كتاب يسمى « الجفر » من علوم أهل البيت ، وأنه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس وهو من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا إلى الله

ويكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب هجاء اسمه ت ي ن م ل ل . ورأى فيه أيضاً أن استقامة ذلك الأمر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه ع ب د م و م ن ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة فأوقع الله سبحانه وتعالى في نفسه أنه القائم بأول الأمر وأن أوانه قد أزف .

عاد المهدي إلى المغرب ونزل في فاس وكان نشر دعوته (84) يقتضي منه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر (85) ، يعلم الناس ويلقنهم مبادئ مذهبه مما أثار ضجة في الأوساط العلمية والشعبية دعت الوالي إلى استدعائه لحضور مجلس الفقهاء « فجرت له مناظرة كان له التفوق فيها والظهور كأنه وجد جواً خالياً وألقى قوماً صياماً عن جميع العلوم النظرية خلا علم الفروع . فلما سمع الفقهاء كلامه أشاروا على والي البلدة بإخراجه لئلا يفسد عقول العوام » (86) . فخرج متوجهاً إلى مراكش وكان الأمير علي بن يوسف قد سمع بخبره فأمر بإحضاره لمناظرة الفقهاء . ولكنه لم يلبث أن هزمهم بعلمه وجدله فأشاروا على الأمير بقتله ، غير أنه ارتأى إبعاده عن مراكش ، حتى لا يثير فيها الشغب والفتنة . وخرج المهدي إلى قبيلته في جماعة من أصحابه (87) فبايعوه سنة 515 في قرية تتمثل (88) التي اتخذها مقراً لنشاطه ونشر دعوته . وفي

(84) عند ابن خلكان أنه قام بدعوته سنة 511 وعند ابن خلدون أنه قام بها سنة 512 . أما المراكشي فجعلها في سنة 514 .

(85) أنظر بعض مظاهر تغييره للمنكر في كتاب أخبار المهدي 60 - 67 .
(86) المعجب 184 .

(87) انظر أصحاب المهدي في نظم الجمان ص 27 . ولقد كان له أصحاب في مصر يؤيدونه ويناصرونه ذكر أسماءهم صاحب المقتبس ص 31 - 32 .

(88) تتمثل أو تيمال كلمة بربرية معناها ذات السطوح المرفوعة . وهي قلمة على بعد =

تتمثل أخذ يدرس العلم لأصحابه ويدعوم لمذهبه ويؤلف فيه بالعربية والبربرية كتباً أهمها « أعز ما يطلب » (89) جمع فيه خلاصة آرائه وجعل لهم فيه الأعشار والأحزاب والسور قال : « من لم يحفظ هذا التوجيه فليس بموحد لاتجوز امامته ولا تؤكل ذبيحته » (90) . وعند صاحب الحلل أن أول ما دبر لهم أنه ألف لهم كتاباً سماه بالتوحيد بلسان البربرية وهو سبعة احزاب عدد أيام الجمعة وأمرهم بقراءة حزب واحد منه إثر صلاة الصبح بعد الفراغ من حزب القرآن . وهو يحتوي على معرفة الله تعالى وسائر العقائد كالعلم بحقيقة القضاء والقدر والايان بما يجب لله تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز وما يجب على المسلم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وآخى بينهم فيه وألف لهم كتاباً سماه بالقواعد وآخر سماه بالأمانة هما موجودان بأيدي الناس إلى هذا العهد ودوتهما بالعربي والبربري » (91) . فلما فهموا معاني تلك العقيدة زاد تعظيمهم له وأشربت قلوبهم محبته وأجسامهم طاعته . فلما استوثق منهم دعاهم إلى القيام معه أولاً على صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وأمر رجالاً منهم من استصلح عقولهم بنصب الدعوة واستمالة رؤساء القبائل، وجعل يذكر المهدي ويشوق اليه، وجمع الأحاديث التي فيه من المصنفات، فلما قرر في نفوسهم

= مائة كم من مراکش في اتجاه فارودانت بنى بها عبد المؤمن مسجداً لا يزال قائماً حتى اليوم . وبها دفن المهدي وعبد المؤمن ويوسف والمنصور . أنظر الادريسي ص 64 والاستقصا ج 2 ص 78 والمشاهد والقلاع لتراس وباسي ص 37 واطلال تتمثل لفريول هــبرس سنة 1922 ص 162 - 163 .

(89) طبع النص العربي في الجزائر سنة 1903 بنشر لوشيماني، قدم له المستشرق جولدتسيهر مقدمة ترجمها من الألمانية إلى الفرنسية الأستاذ جود فراواي مومبيس، وطبع بعد ذلك في مصر ضمن « مجموع رسائل » نشره الشيخ محيي الدين صبري الكردي .

(90) الاستقصا ج 2 ص 83 .

(91) الحلل 89 - 90 .

فضيلة المهدي ونعمته ادعى ذلك لنفسه وقال : أنا محمد بن عبد الله . . . ورفع نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصرح بدعوى العصمة لنفسه وانه المهدي المعصوم ، وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقر عندهم أنه المهدي وبسط يده فبايعوه على ذلك » (92).

واستمر المهدي في دعوته لمذهبه واقامته الحدود بنفسه « يضرب الناس على الخمر بالأكام والنعال وعسب النخل . . . » (93) وينكر على الناس ما يراه مخالفاً لاصول الدين ومبادئه لدرجة انكر مرة على ابنة يوسف بن تاشفين أن تسير سافرة - وكانت عادة المرابطين أن يسفر النساء وجوههن ويتلثم الرجال - فأمرها وجواربها أن يسترن وجوههن ، وضرب هو وأصحابه دوابهن حتى سقطت دابة أخت أمير المسلمين (94) .

وعلى نهج المهدي صار خليفته عبد المؤمن في « تغيير المنكر وتحريق كتب الفروع ورد الناس الى قراءة الحديث » (95) يدعو الولاة في رسائله الى أخذ الناس بعلم التوحيد وحضهم على قراءته وحفظه سواء باللسان العربي أو البربري ويأمرهم بالتشديد في اقامة الحدود ضد بائعي الخمر وشاربيها وأصحاب بدوت الفساد والضللال واللاهين بالآلات والقاعدين عن العمل والجهاد وما اليهم من أهل النفاق والتدليس . وكان يبعث للولاة نسخاً من تأليف المهدي وخاصة كتابه

(92) المعجب 187 وانظر في بيعة المهدي تاريخ البيدق ص 73 . ويعتبر ابن تومرت ثاني مهدي منتظر بعد عبيد الله الفاطمي الذي بويع مهدياً بسجلات سنة 297 أي قبل ابن تومرت بنحو مائة وثلاث وتسعين سنة إذ أن مهدي الموحدين بويع سنة 515 .

(93) المصدر السابق 193 .

(94) انظر الاستقصا ج 2 ص 75 .

(95) القرطاس 135 وانظر الكامل ج 4 ص 295 .

« أعز ما يطلب » يأمرهم باتباعه والتقيد به ، فيه « الملاذ والمعاذ وعليه الاعتماد والاستناد واليه المرجع والمفزع ... فمن عانده أو خالفه أو صاده أو كبره أو عصاه أو ناوأه أو جهله واهمل أمره فقد حاق به الردى ، فالانقياد لما يقضى به واجب والاستمسك بأمره حتم والرجوع اليه في أمر الدين والدنيا فرض لأن قضاءه وأمره هو قضاء ربه واراדתه وحكمه » (96) .

ولكننا لانصل الى يعقوب المنصور حتى نرى الايمان بالمذهب يتزعزع ، فهو اذا كان يتشدد في الامر باحراق كتب الفروع ، تثبيتاً لطريقة المهدي كما يبدو ، فانه يمنع الناس من الخوض في علم الاصول والكلام ويؤلف للأمة كتاباً يلغي به كتاب المهدي يجمع فيه من الكتب الصحاح ما يتعلق بأمور الدين ويشجع الناس على حفظه بالمنح والاموال . ففي المعجب أنه « أمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين يجمع أحاديث من المصنفات العشرة (الصحيحين والترمذي والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي وسنن البزار وسنن ابن ابي شيبة وسنن الدارقطني وسنن البيهقي) في الصلاة وما يتعلق بها على نحو الاحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة ، فأجابوه إلى ذلك وجمعوا ما أمرهم يجمعه » (97) . والقصد من ذلك عند المنصور « محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث » (98) . وأكاد أضيف محو مذهب المهدي وإزالته ، فقد كان يسأل الطلاب والعلماء عما يقرأونه من العلم ويفضّب ممن يحده يقرأ تأليف المهدي ويقول له : « ما هكذا يقول الطالب انما حكّمك أن تقول قرأت كتاب الله وقرأت شيئاً »

(96) من رسالة لعبد المؤمن بعث بها إلى أهل بجاية (أنظر مجموع رسائل موحدية ص 135)

(97) ص 278 - 279 .

(98) القرطاس 138 .

من السنة .» (99) ولا غرابة فهو لم يكن يؤمن بعصمة المهدي وكان يستخف بعقول المؤمنين بها . فقد قال مرة لأحمد بن مطرف المرتضى - وكان شيخاً صالحاً : « يا أبا العباس أشهد لي بين يدي الله عز وجل أنني لا أقول بالعصمة » وقال له يوماً « وقد استأذنه في فعل شيء يفقر إلى وجود الامام : يا أبا العباس أين الامام ... أين الامام » (100) بل انا نجد ابنه المأمون يقول في خطبته المشهورة التي نبتذ فيها المهذوبة : « وقد كان سيدنا المنصور هم أن يصدع بما به الآن صدعنا وأن يرفع عن الأمة الحزن الذي رفعنا فلم يساعده لذلك أمله ولا أجله لزواله إلا أجله فقدم على ربه بنية صدق خالص الطوية » (101) .

ولم يلبث هذا الانكار أن تطور في عهد المأمون إلى ذم المهدي ونبتذ مذهبه عامة ، فهو «الذي أمر بزوال اسم المهدي من السكك» (102) وغيرها ومن الخطبة وأزال اسم جميع الموحدين مما كان العمل به في سائر دولة الموحدين » (103) . ومن خطبته في ذلك : « ولتعلموا أننا نبتذنا الباطل وأظهرنا الحق وأن لامهدي إلا عيسى ... فتلک بدعة قد انزلناها ... وقد اسقطنا اسمه ولم نثبت له

(99) المعجب 292 .

(100) المصدر السابق 291 .

(101) الحلل 137 - 138 .

(102) يبدو من الدراهم الموحدية - وهي ذهبية وفضية ونحاسية ومربعة الشكل ولعلها لم تسك إلا ابتداء من عهد عبد المؤمن - أنها تمثل مرحلتين : الأولى في ظل عبد المؤمن ومن جاء بعده من الخلفاء الذين كانوا يعترفون بإمامة المهدي فقد كان مكتوباً على وجه بعض الدراهم وأنصافها في هذا العهد : الله ربنا - محمد رسولنا - المهدي إمامنا . الثانية بعد رفضه إمامة المهدي أي ابتداء من عهد المأمون وكان مكتوباً عليها : الله ربنا - محمد رسولنا - القرآن إمامنا .

(103) الحلل 137 .

عصمته فلذلك أنزلنا عنه رسمه فيمحي ويسقط ولا يثبت ... وإن كانت العصمة لم تثبت للصحابة فما الظن بمن لم يدر بأي يد يأخذ كتابه ! بل هم ضلوا أو أضلوا وتلقوا في ذلك وزلوا، ماتكون لهم الحجة على تلك الحاجة، اللهم اشهد أننا تبرأنا منهم براءة أهل الجنة من أهل النار ونعوذ بك من أمرهم الرتيب وفعلهم الخبيث لأنهم في المعتقد من أهل النار، وإنا نقول فيهم ما قال نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام رب : لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً « (104) . وفي هذه الخطبة : « أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوي المذموم فإنه لا معصوم إلا الانبياء ولا مهدي إلا عيسى وإنا قد نبذنا أمره النجيس » (105) . وكذلك كان موقف الرشيد ولد المأمون لولا أنه اضطر إلى الرجوع حيث كانت للموحدين « شروط قبل دخولهم وهي إعادة ذكر اسم الامام المهدي في الخطبة واسمه في المحاطبات ونقشه في السكة من الذهب والفضة وإعادة الدعاء بعد الصلاة والنداء عليها بتأصيلت الاسلام - وهي إقامة الصلوات - وما أشبه هذا ... فأسمعوا فيه وسمعت موجبات وصولهم وانتظامهم » (106) .

نعود بعد هذا للمذهب الموحد فنرى أننا - مع بعض التحفظ نستطيع أن نستنتج من دعوتهم للمكتاب والسنة والإعراض عن الرأي والقياس ميلهم إلى المذهب الظاهري واتصالهم به منذ البداية وتطبيقهم لمبادئه ، ليس في أمور الدين فحسب ، بل حتى في مختلف فروع المعارف والعلوم . ولا تخفى حملة ابن مضاء (107) على النحلة المشاركة في كتاب « الرد على النحلة » الذي دعا

(104) الحلال 137 - 138 ، وانظر في البيان المغرب ج 3 ص 267 - 268 .

(195) القرطاس 179 .

(106) البيان المغرب ج 3 ص 305 .

(107) المتوفى سنة 592 .

فيه إلى الاخذ بظاهر النصوص والابتعاد عن جدل المناطقة والفلاسفة (108).

وقد يبدو غريباً أن نتحفظ في القول بميل الموحدين إلى المذهب الظاهري منذ بداية دعوتهم ، على الرغم من إعراض هذه الدعوة عن الرأي والقياس وأخذها بظاهر الكتاب والسنة في وضوح صريح لا يترك مجالاً لأي ظن . وهو استغراب لاسبيل لدفعه لو لم يكن لهذا التحفظ ما يبرره ، اذ لا يخفى أن ابن حزم لا يقول بالعصمة التي يدعيها الموحدون ، ويرى على العكس من ذلك « أنه يقع من الانبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضاً قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب به منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى إلا انه تعالى لا يقرهم على خلاف من هذين الوجهين أصلاً بل ينههم على ذلك ولا يدائر وقوعه منهم ويظهر عز وجل ذلك لعباده ويبين لهم » (109) لذلك لا نرى المنصور يعلن ظاهريته إلا بعد أن أعلن انكاره لعصمة المهدي وامامته ، وغداً جهاراً يستخف بعقول المؤمنين بدعوته .

وإذا كنا - مع وضوح هذه الحقيقة - نذهب إلى امكان دخول الدعوة الموحدية في نطاق مذهب ابن حزم ، فما ذاك إلا لأنسى أن المهدي تعرف على آراء ابن حزم في قرطبة قبل سفره إلى الشرق . ثم اننا لا نرى مانعاً من ان يقتبس منه الموحدون جوانب جوهرية ، وان يختلفوا معه في نفس الوقت حول جانب فرعي ، وان اعتبر هذا الجانب في دعوتهم أساسياً . ولا بدع ، فان كثيراً من الباحثين يؤكدون أخذ الموحدين بالتزعة الظاهرية منذ بداية دعوة المهدي ، على حد ما يرى المستشرق الاسباني آنخل بالنثيا إذ يقول : « وقد مال محمد بن تومرت مهدي الموحدي الى مذهب ابن حزم اذ وجد فيه

(108) أنظر بحثاً للكاتب عن « منهج الأندلسيين في دراسة النحو » (مجلة دعوة الحق 5

س 5 فبراير 1962) .

(109) الفصل في الملل والاهواء والنحل ج 4 ص 2 - 3 .

ما يؤيد دعوته ووصل نفر من فقهاء الحزمية الى كبار المناصب » (110) كذلك يرى جولدتسيهر (111) تأثير المهدي بآبن حزم من خلال شبه كبير يتصل بموقفهما من المذهب المالكي ومن صفات الله واعتمادهما على الظاهر في مسائل كثيرة . والحق أنه إذا كان آبن تومرت يشبه آبن حزم ويبدو متأثراً به في تناول المسائل الفقهية ، وهو ما عبر عنه بالشرع ، وكان فيها لايعمل العقل (112) ، وكأنه يقصد إلى تحطيم فقهية المرابطين وما أعطوها من حرمة وقداة - فإنه في مجال العقيدة كان أشعريا يعتمد العقل أكثر مما يعتمد حرفية النصوص . فعنده أن « بضرورة العقل يعلم وجود الباري سبحانه والضرورة ما لايتطرق إليه الشك ولا يمكن العاقل دفعه » (113) وهو يطعن في رأي من « ذهبوا ... أن الشريعة لا حكمة فيها وأنها ليست على سنن العقل جارية » (114) علماً بأن حاول أن يقرب بين العقل والشرع أو بين الحكمة والشريعة حين قرب بين القياس العقلي والقياس الشرعي (115).

والذي يدعو فعلاً الى الاستغراب هو ما ذهب اليه المستشرق الفرنسي هنري لاوست في حديث عابر عن المنصور الموحي أورده في كتاب

(110) تاريخ الفكر الأندلسي ص 238 .

(111) انظر مقدمة كتاب أعز ما يطلب .

(112) أنظر أعز ما يطلب ص 17 - 146 .

(113) المصدر السابق ص 230 .

(114) المصدر السابق ص 163 .

(115) أنظر في كتاب أعز ما يطلب فصل (الدليل على أن الشريعة لا تثبت بالعقل من وجهه)

ابتداء من ص 163 .

فرق الاسلام ، حيث قال : « ... فبعد أن كان مالكيًا ، انتقل إلى الظاهرية ثم اعتنق المذهب الشافعي واختار كثيراً من القضاة من بين المنتسبين لهذا المذهب » (116) .

فاذا كنا نقبل القول بمالكية المنصور على اعتبار ان الموحدين لم يخرجوا عن نطاق المذهب المالكي في الفقه وان حادوا عنه توحيدا وعقيدة ، وأنهم لم يلجأوا إلى محاربة فقهاء الدولة المرابطية وكتبها الا وسيلة لنسف حكمها وتقويض دعائمه الفقهية القائمة على علم الفروع ، فاننا لا نستطيع ان نقبل القول بشافعيته رأيا مجرداً من كل دليل .

والذي نعلم هو أن المذهب الشافعي لم يصل قط الى المغرب . حقاً ان المهدي لقي في المشرق كثيراً من الشافعية ، وخاصة أبا بكر الشاشي الذي يعد من كبار فقهاءهم ، وحقاً كذلك أن المذهب الشافعي دخل إلى الاندلس في منتصف القرن السادس على يد قاسم بن سيار القرطبي (سنة 276 هـ) حيث سعى بعض العلماء الى نشره أمثال بقي بن مخلد (سنة 272 هـ) وأسلم ابن عبد العزيز بن خالد (سنة 319 هـ) . كما أن رحلة الفقهاء الشافعيين الى الاندلس اثرت الى حد لا يستهان به على انتشار المذهب ، لاسيما على عهد الحكم المستنصر الذي كان يشجع هؤلاء الوافدين أمثال ابي الطيب محمد بن أبي بردة (سنة 271 هـ) وعبيد الله بن عمر بن احمد بن جعفر (سنة 360 هـ) - ولكن سيادة المذهب المالكي في الاندلس من جهة ومحاربة بعض الفقهاء المالكيين لهؤلاء الوافدين من جهة أخرى ، جعلت ظل المذهب الشافعي يقتصر الى حد كبير في الاندلس . ومن يدري فقد يكون بعض شافعية المشرق وصلوا الى المغرب

عائدين من الاندلس، لاسيما اولئك الذين حاربوا واضطروا الى مغادرتها ، أو قاصدين اليها كإبن أبي بردة المذكور، وكان قد سئل في الاندلس عن كتبه فقال « انها ذهبت له مع مال جسيم في المغرب » (117) .

والذي يلفت النظر في رأي المستشرق الفرنسي انه أتبع كلامه عن مذهب المنصور بالحديث عن النجدة التي طلبها منه صلاح الدين الأيوبي ، وكأنه أراد أن يربط بينها وبين شافعية المنصور ، قاصداً من هذا الربط الى جعل اتفاقهما في المذهب عنصراً مشجعاً على طلب النجدة . ومعروف أن المذهب الشافعي كان سائداً في مصر على عهد الأيوبيين وأنت صلاح الدين بنى لفقائه مدرستين هما الناصرية والصلاحية .

كذلك لا ينبغي أن يغرب عن بالنا - ونحن نحاول البحث عن خيط نمسك به- رأي المسيو لاوست ان ابن حزم نفسه كان شافعيًا في بداية حياته ، مما لا يبعد تأثر المنصور به في هذه الفترة ، لاسيما أنه كان معجباً بشخصيته ويعتبره علماً بارزاً من أعلام الاسلام . وكما كنا نتمنى لو أن الباحث أشار إلى مصدر هذا الرأي أو عززه بالحجج المدعمة ان لم يكن مسبقاً اليه ، وأغلب الظن انه كذلك .

وما عيلنا ، فقد سقطت دولة الموحدين ، وكان طبيعياً ، والمرينيون يقضون عليها ، أن ينبذوا دعوتها ويعودوا إلى المذهب الذي تقوى بسبب مناصرتهم له وبسبب إنشاء المدارس العلمية في مختلف المراكز ، إلى جانب الزوايا والرباطات التي تضاعف عددها في هذا العهد والعهود التالية والتي كانت مهداً لترعرع النزعات الصوفية . ويبدو أن الفقه المالكي أتيح له بالاحتكاك المذهبي في عهد الموحدين أن يخرج قليلا عن تزمته والتزامه المثالي الجامد وأن يطرح نفسه وقضاياها من خلال مقاييس جديدة تحاول التوفيق بين النظرية

الشرعية أو الحكم الشرعي من جهة وبين الواقع وتطوره من جهة ثانية في محاولة سلوك منهج جديد يعتمد التصرف إن لم نقل الاجتهاد ، ويسعى إلى التوفيق بين المصلحتين الشرعية والاجتماعية . وكما استقرت المالكية في هذا العصر مذهب المغاربة الفقهي بصفة نهائية ، فكذلك استمرت الاشعرية مذهبهم العقدي ، لا يرون غيره في التوحيد ولا يحيدون به عن رأي أهل السنة والجماعة . وكان نتيجة للضغط الذي فرضه الموحدون على علوم الفروع أن قامت لها في هذا العصر نهضة تمثلت في اقبال العلماء والطلبة على دراستها وفي كثرة التأليف والأبحاث التفريعية التي تناولت مختلف جوانب هذه العلوم . وإذا كان الموحدون قد شجعوا دراسة أصول الفقه ، فإن فقهاء هذا العصر لم يهملوا بحثه ودراسته ، ولكن في اطار المذهب . على أن سيادة المالكية لم تكن لتحول دون حرية اتباع مذهب ما في بعض المسائل وخاصة مذهب أهل الحديث الذي كان يميل اليه كثير من الفقهاء كالحافظ الرحالة محمد بن رشيد السبتي (657-721) .

ويبدو أن فكرة المهدوية (118) التي قامت عليها دعوة الموحدين خلفت آثاراً ظلت تراود بعض النفوس لدرجة جعلت المستشرق الفرنسي جورج مرسيه يذهب - مبالغاً - إلى اعتبار « الاعتقاد في المهدي والامل في عودة ظهوره من تقاليد البلاد . فمن بين جميع اقاليم الاسلام ، يبدو ان المغرب كان هو الأقليم الذي سيطرت فيه على الأذهان فكرة انتظار المهدي . ولأسباب غامضة كانت منطقة سوس المكان الذي تبلورت حوله الآمال الملحة . وحتى نهاية القرن الرابع عشر (الميلادي) كان ما زال ينتظر هناك » (119)

وربما كان الهادي الماسي أول من روادته الفكرة حيث قام على عبد المؤمن ببلاد السوس « وهو محمد بن عبد الله بن هود الماسي وتسمى بالهادي وادعى

(118) انظر فيها مقدمة ابن خلدون ص 274 .

Georges Morisais : da Beslérie musulmane N P'orientl (119
ou m. ùge n. 259 - 260

الهداية اقتداء بالمهدي محمد بن عبد الله بن تومرت وكان قصاراً ببجر سلا فأقبل الناس عليه من كل مكان واجتمعوا عليه اجتماعاً طار به الذكر في الآفاق وقامت بدعوته أمم لا تحصى . واتصلت دعوته في جميع أقطار العدو حقه لم يبق منها إلا مراکش وفاس وخلفت عليه سائر البلاد ورفضوا دعوة الموحدين » (120) . وكان له مع عبد المؤمن جولات عسكرية انتصر عليه فيها الخليفة الموحيدي .

وفي زمن الناصر ظهر العالم الأندلسي عبد الرحيم بن عبد الرحمن الفرس الذي « انتحل الإمامة وادعى أنه القحطاني المراد في قوله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يقود الناس بعصاه يملأها عدلاً كما ملئت جوراً ... فبعث الناصر إليه الجيوش فهزموه وقتل ، وسبق رأسه إلى مراکش فنصب بها » (121) .

كذلك ذكر ابن خلدون رواية عن شيخه محمد بن ابراهيم الأبلبي أنه « خرج برباط ماسة لأول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن يعقوب رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتويزري ... وادعى أنه الفاطمي المنتظر ، واتبعه الكثير من أهل السوس ... وعظم أمره وخافه رؤساء المصامدة على أمرهم فدرس عليه الكسوي من قتله بياناً وانحل أمره . وكذلك ظهر في غمارة في آخر المائة السابعة وعشر التسعين منها رجل يعرف بالعباس وادعى أنه الفاطمي واتبعه الدهماء من غمارة ودخل مدينة فاس عنوة وحرق أسواقها وارتحل إلى بلد المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم أمره » (122)

(120) الحلال 121 وانظر كذلك البيان المغرب ج 3 ص 26 والقرطاس 133 والاستقصا ج 2 ص 99 .

(121) تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 250 .

(122) المقدمة ص 274-275 .

وذكر ابن خلدون كذلك ما أخبره به شيخه المذكور من « أنه صعب في حجه في رباط العباد - وهو مدفن الشيخ أبي مدين في جبل تلمسان المطل عليها - رجلاً من أهل البيت من سكان كربلاء كان متبوعاً معظماً كثير التلميذ والخادم ، قال وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات في أكثر البلدان ، قال وتأكدت الصعبة بيننا في ذلك الطريق فانكشف لي أمرهم وانهم إنما جاءوا من موطنهم بكربلاء لطلب هذا الأمر وانتحال دعوة الفاطمي بالمغرب . فلما عاين دولة بني مرين ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل تلمسان قال لأصحابه ارجعوا فقد ازرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا . ويدل هذا القول من هذا الرجل على أنه مستبصر في أن الأمر لا يتم الا بالعصبية المكافئة لأهل الوقت . فلما علم أنه غريب في ذلك الوطن ولا شوكة له وأن عصبية بني مرين لذلك العهد لا يقاومها أحد من أهل المغرب ، استكان ورجع إلى الحق وأقصر عن مطامعه وبقي عليه أن يستيقن أن عصبية الفواطم وقريش أجمع قد ذهبت لا سيما في المغرب » (123) .

ولعل من الواضح في الخبر السالف أن المغرب لهذا العهد والعهود التالية (124) لم يعد مجالاً لترويج البضاعات المزيفة الوافدة عليه ، حتى ولو تسترت وراء شعارات من شأنها أن تغري العامة وتؤثر على إيمانهم البسيط ، وانه بالتالي قد استقر نهائياً على فقه الإمام مالك مذهباً يهتدي به في مختلف نواحي الحياة تشريعاً وقضاءً وتدريساً وتأليفاً .

(123) المصدر السابق .

(124) نسجل هنا أن أحمد الأعرج السعدي كان يلقب بالهدي (أنظر تاريخ الدولة السعدية ص 5) .

الفصل الثاني

نهضة فكرية وأدبية

ليس من شك في أن الفكر والأدب أثر من آثار اللغة باعتبارها أداة تلقى وتوصيل وباعتبارها الوعاء الذي يغرفان منه ويصبان فيه . وانطلاقاً من هذه الحقيقة ، فإن الباحث في عهد الموحدين لا يلبث أن يقف أمام ظاهرة اعتنائهم باللغة البربرية واعتمادهم عليها . وهي ظاهرة تكاد أن تكون أهم ما يلفت نظر الدارس للعصر بعد فكرة العصمة والإمامة التي دعا لها المهدي في مذهبه ، بل تكاد هذه الظاهرة أن تثير الشك حول واقع اللغة العربية وحقيقة أمر التعريب ، على الرغم من أن اللغة العربية كانت قد انتشرت ونشط نظم مسائلها وحفظ متونها وازدهرت دراستها ودراسة العلوم المتصلة بها كما سيتضح بعد . وبلغ من شيوعها في مختلف الطبقات أن ظهر تأثيرها قوياً في لغة التخاطب إلى حد أن من يتتبع المقابلات التي أوردها ابن هشام في كتاب « لحن العامة » بين الكلمات العربية والكلمات المغربية العامية لا يجد الفروق كامنة إلا في المعنى الجديد الذي اكتسبه اللفظ العربي من خلال انتقاله من بيئة إلى بيئة أخرى مغايرة ومختلفة (1) .

ومهما يكن من انتشار العربية في هذا العصر ، فإن الموحدين قد لجأوا إلى البربرية وسيلة للاتصال بالجماهير والتأثير عليها . فالمهدي يدرس بالبربرية ويؤلف بها كتبه في المذهب ، ويأمر بالنداء للصلاة بها (2) ، وعبد المؤمن يكتب لولاته

(1) انظر (ألفاظ مغربية) من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة للدكتور عبد العزيز الأهواني (مجلة معهد المخطوطات م 3 1957) .

(2) عل حد اتهام المأمون له (أنظر الاستقصا ج ص 212) .

بأن « يؤمر الذين يفهمون اللسان العربي ويتكلمون به أن يقرأوا التوحيد بذلك اللسان » (3) و « كانوا لا يقدمون للخطابة والإمامة إلا من يحفظ التوحيد باللسان البربري » (4) .

وإذا كانت خطة المهدي السياسية اضطرته إلى استعمال اللغة البربرية في الدعوة لنفسه ول مذهبه ، خاصة وأن قبيلة المصامدة التي آوته أول الأمر تعتبر من أهم مراكز البربر ومواطن عصبيتهم ، فإنه كان من المنتظر بعد اتساع رقعة الدولة واستقرار أحوالها أن يوقف خليفته هذا التيار الذي من شأنه أن يحد - ولو بعض الشيء - مدى انتشار اللغة والثقافة العربيتين ، ولكنه لم يفعل وظل يسير على سنة المهدي في استعمال البربرية إلى جانب اعتنائه بالعربية وعلومها على نحو ما سيكشف لنا ازدهار الحركة الفكرية والأدبية في هذا العصر .

وقد يبدو لأول وهلة أن من شأن هذا الاعتناء المزدوج أن يثير تناقضاً في سياسة الدولة ومشاكل من الصعب أن يوفق بينها ، ولكن قليلاً من التعمق في بحث أسباب تمسك خليفة المهدي باللغة البربرية لا يلبث أن يبرر فكرة التناقض أو ما قد ترميه به سياسة الدولة من رجعية على نحو ما يذهب بعض الباحثين(5) ولعلنا نستطيع أن نحصر الأسباب فيما يلي :

أولاً : الرغبة في إبعاد العرب عن مجال الزعامة الدينية والقيادة الفكرية لعدم ثقته فيما يبطنون من نوايا كشفت عنها ثورة محمد بن عبد الله بن هود

(3) رسائل موحدية ص 39 .

(4) القرطاس 46 .

(5) أمثال الاستاذ عبد الله جنون (التبوغ ج 1 ص 117) .

الماسي التي تحدثنا عنها في الفصل السابق. وكان ابن هود هذا قد تسمى بالهادي مدعياً لنفسه الهداية ، ودخل في حرب مع عبد المؤمن لم تكن له فيها غير الهزيمة .

ثانياً : عدم امكان الاعتماد على غير البربر في نشر المذهب ، فقد كان أغلب رجال العلم والدين العرب من السنيين الذين لم يؤمنوا بالعقيدة المهدوية الإمامية وكانوا يعملون على محاربتها كما تشهد بذلك ثورة سبته (6) الدينية بزعامة القاضي عياض الذي رفض الخضوع لبدع الموحدين ، فقد كان من العلماء السنيين. ولكنه لم يلبث أمام قوة جيش عبد المؤمن أن سلّم وطلب الامان وانتقل إلى العاصمة حيث عاش في كنف الخليفة .

ثالثاً : اقتناع البربر بأنهم وحدهم أهل التوحيد والحق ، وأنهم المسؤولون عن تعليم الناس ونشر الدعوة التي تلقوها مباشرة عن المهدي في جبال الاطلس البربرية ، وأن غيرهم مجسمة ومقلدون لم يتلقوا مثلهم تعاليم المهدي ، ومن الخطر على الدولة ترك مجال الوعظ والتعليم لهؤلاء الذين قد يضلون العامة وينحرفون بالمذهب .

رابعاً : اضطرار عبد المؤمن إلى اتباع نفس السياسة التي كان يسير المهدي عليها في نشر دعوته خشية الخطر الذي قد يحدق بموقفه لو فكر في تغيير خطة سلفه . فمؤ على الرغم من قوته لم يكن ليستغني عن العناصر البربرية التي قامت الدعوة الموحدية على أكتافها ، بل كان من مصلحته أن يشجعها ويسلمها قيادة الفكر وزعامه الدين حتى لا تثور عليه ، وحتى يستطيع مواجهة مناوئيه والقيام بفتوحه .. خاصة ، وأن بوادر عدم الثقة في الموحدين أخذت تلوح في الأفق

(6) انظر أخبار هذه الثورة في القرطاس 134 - 135 والاستقصا ج 2 ص 102-154 .

حين أحدث تحويلاً في نظام الخلافة مكنه من فرض ولاية عهد ابنه ، اعتماداً على مساندة أهل كومية له ، واعتماداً كذلك على الهلاليين وغيرهم من الوافدين في الوقت الذي وقف في وجهه أخوا المهدي عبد العزيز وعيسى اللذان دخلا معه في صراع انتهى لهما بالهزيمة والقتل . ولعل كلا منهما كان يرى نفسه أحق بولاية العهد ، علماً بأن المهدي لم يسنها ، وإن كان لا يستبعد أن يكون فكر فيها .

خامساً : مجرد تقليد المهدي حفاظاً على ذكرى صداقته وتقديرأ لعلمه وجهاده وإيماناً بمذهبه واعترافاً بما له من فضل عليه ، إذ لاشك أن عبد المؤمن لم ينسَ أنه حين لقي المهدي لم يكن غير فق غريب يسعى إلى طلب العلم .

ومع ذلك فقد كان مجال اللغة البربرية محدوداً لا يتعدى الدعاية الدينية ، وكانت اللغة العربية لا تنتشارها قد غدت أداة الدولة في جميع المصالح والمراقق .

ومن المعروف أن انتشار اللغة العربية في المغرب سار جنباً إلى جنب مع انتشار الدين ، ولكن في حدود ضيقة ، ذلك أنه لم يكن للعناصر العربية التي صاحبت الفتح الاسلامي - سواء في عهد عقبة أو حسان أو موسى - أن تستقر استقراراً يجعل العرب يحتكون بجماهير الشعب في البوادي والامصار وتنتشر اللغة في نطاق واسع ، بل كانوا في أغلبهم مجاهدين لا هم لهم غير الفتح والغزو . وقد تنبه بعض الولاة إلى ضرورة نشر اللغة والثقافة العربيتين إلى جانب نشر الدين الجديد ، فأمر حسان بتعليم الناس اللغة العربية وأحضر موسى عدداً من الفقهاء والقراء يلقنون الناس مبادئ اللغة والدين مما كان له أثر كبير لاشك في بدء استعرا ب البربر . ولقد كان للأدارة دور كبير في التعريب لاسيما في عهد المولى ادريس حيث قدمت إلى المغرب وفود عربية كثيرة (7) من بلاد افريقية والأندلس فأكرم وفادتهم وقربهم إليه وأناط بهم مهمة تعليم اللغة العربية للبربر ، لدرجة تم

(7) انظر اخبار هذه الوفود في القرطاس ص 14 والاستقطا ج 1 ص 163 - 164 .

نشرها في كل المناطق التي أقاموا فيها . وكانوا يلجأون في تنفيذ مهمتهم إلى فتح الكتاتيب وتأسيس الرباطات ، وكانت هذه وتلك أشبه بمدارس أولية تعد طلابها للجلوس في حلقات جامعة القرويين (8) التي كانت قد ازدهرت فيها الدراسة على هذا العهد وغدت مركز انطلاق اللغة والثقافة العربية في المغرب . وعرف التعريب على عهد المرابطين مزيداً من الانتشار بفضل الوحدة التي تمت بين المغرب والأندلس وبفضل الخط الإصلاحى الذي سارت فيه الدولة على أساس من العلم .

أما في عصر الموحدين فقد استمرت تأثير الوحدة على التعريب ، كما كان لهجرات بني هلال وسليم إلى المغرب أكبر الأثر في نشر اللغة العربية أداة للتخاطب بين الجماهير في مختلف أنحاء البلاد . وقد خرج هؤلاء المهاجرون (9) من الحجاز ونجد - حيث كان مقرهم في أيام بني العباس - وانضموا لجيش القرامطة الذي غزا بلاد الشام ، ثم أنزلهم العبيدية الى صعيد مصر بعد انتصارهم على القرامطة وكان العبيديون بعد انتقالهم إلى مصر قد أقاموا بني زيري ولاة لهم في أفريقية يخطبون ويضربون السكة باسمهم ويؤدون لهم الاتاة والطاعة . غير أن بني زيري لم يلبثوا أن خلعوا ولاءهم للعبيديين وكانوا يرغبون في الاستقلال وفي اتباع مذهب أهل السنة . فأراد المنتصر ، وكان الحاكم اذ ذاك ، أن يعاقبهم فأرسل لهم عرب بني هلال وبني سليم - وكانوا عناصر تخريب وتدمير وفوضى يعمثون فساداً في صعيد مصر - تأديباً لهم على خروجهم عن طاعته وتخليصاً لمصر من فوضى هذه العناصر . وكان له ما أراد فقد انحلت دولة بني زيري وأصبحت تونس مقسمة إلى امارات صغيرة تعيش تحت رحمة هؤلاء العرب الذين كانوا يتربصون للموحدين وينتظرون الفرصة للانقضاض على دولتهم . وقد

(8) انظر الحديث عن القرويين في أعمال الاعلام ص 236 والاستقصا ج 1 ص 175-178 واحد عشر قرناً في جامعة القرويين وجامعة القرويين في ذكرها المائة بعد الألف .

(9) انظر تفاصيل اخبار هاتين القبيلتين في تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 12 والقرطاس ص 154 والاستقصا 2 ص 145 - 158 .

تهيات لهم الفرصة حين ثار ابن غانية على الموحدين فانضموا لحركته . ولكن انضمام ابن غانية أمام يعقوب المنصور جعل مناصريه يقدمون الطاعة للخليفة الموحيدي . فما كان منه إلا أن قبلها وأفسح لهم مجال الدخول الى المغرب . واستقدم معهم جماعة من غز مصر ، (10) وهم طائفة من الموالى أترك الأصل حالفوا بني هلال وبني سليم في انضمامهم لثورة ابن غانية ، كما استقدم معهم جماعة من عرب بني معقل كانوا بدورهم حلفاء لبني هلال (11) .

* * *

ننظر بعد هذا في حالة الفكر فترى أنه كان طبيعياً وقد ثار الموحدون على مظاهر الضعف والانحلال التي أصابت دولة المرابطين ، أن يطلقوا الفكر من القيود التي فرضها فقهاء هذه الدولة المتمسبة للفقهاء وشكليات الدين . والمتبع لسير الحركة الفكرية على عهد الموحدين لا يلبث أن يكشف معالم هذا الانطلاق بارزة في مختلف ألوان العلوم والفنون ممثلة في حياة عقلية واعية ناضجة . ولعلنا نستطيع أن نعزو هذه النهضة الفكرية المتحررة إلى الدعوة التي ثار المهدي بها على فقهاء عصره الذين حرموا العلوم العقلية وأقفلوا باب الاجتهاد وقطعوا كل اتصال بكتب الأصول ، فخارت همهم وخمدت قرائنهم واستسلموا لتيار التقليد وترديد أقوال السابقين .

وتمتبر الدعوة الموحدية منذ نشأتها منافسة لدعوة الفاطميين(12) ، وكانت لهم عناية كبيرة بالفلسفة ومذاهب القدماء وخاصة منها مذهب الأفلاطونية

(10) انظر المعجب ص 288-291 .

(11) انظر الاستقصا ج 2 ص 159-162 وانظر موضوع التعريب في كتابنا : القصيدة ابتداء من صفحة 85 .

(12) انظر العلاقة بين الفاطميين والموحدين في كتاب « ابن رشد » للعقاد .

الحديثة (13) . فكان لابد لها أن تدرس أحوالهم وتعنى بأمرهم السياسية والعلمية وتتعرف على دعوتهم . وكانت النتيجة أن قابلتهم بالمثل (فالمهدي يسير على نهج الفاطميين في الانتساب إلى آل البيت واتخاذ لقب المهدي والاعتناء بعلوم الجفر والتنجيم . ومذهب المهدي — كما رأينا في الفصل السابق — دعوة للاجتهاد بالرجوع إلى الكتاب والسنة واجماع الصحابة والاعتماد على علمي الكلام والأصول ، وهما من العلوم التي شجع المهدي على طلبها . وقد ازدهرت دراسة هذين العلمين لدرجة كان يرحل إلى المغرب لطلبهما ، كما سنرى بعد سطور . وقد كان انتشار هذين العلمين « سبباً في تقريب شقة الخلاف ما بين الفقهاء والمتكلمين والمتصوفة لما يحملان عليه من النظر في الأدلة وعدم المسارعة إلى الإنكار قبل معرفة مدرك الحضم (14) » . وكان نتيجة لذلك أن لان فقهاء المالكية وتركوا التعصب الأعمى لأنتمهم ومالوا إلى النظر في كتب الأصول مما زاد المذهب تفرعاً وانتشاراً لدرجة دفعت المنصور (15) إلى محاربته وإحراق كتبه . وإذا كان موقف المنصور في ظاهره لا يعني غير خنق الفكر وتقييد حرية العلماء ، فهو في واقعه رغبة من المنصور في الإصلاح والرجوع بالدين إلى بساطته وصفائه مجرداً من تعقيد الآراء واختلاف الأقوال . ولا شك أنه وفق إلى أبعد حدود في حفز الفقهاء إلى نبذ التعصب ودراسة الكتاب والسنة حيث ظهر اهتمام كبير بعلوم القراءات والتفسير والحديث . ومع ذلك فقد ظل المذهب المالكي متمكناً من نفوس كثير من الفقهاء كمحمد بن سعيد بن أحمد بن مجاهد الانصاري المتوفى سنة 621 ، صاحب كتاب المعلى في الرد على المحلى والجللى لابن حزم . « وكان فقيهاً مالكياً حافظاً مبرزاً متعصباً للمذهب قائماً عليه حتى امتحن بالسلطان من أجله واعتقل مدة بسببته (16) » .

(13) انظر أدب مصر الفاطمية ص 35-36 .

(14) النبوغ ج 1 ص 122 .

(15) كما أوضحنا في الفصل السابق .

(16) التكلة ج 2 ص 616 ت 1612 .

ويبدو أن المنصور استنتج من تجربته في محاربة المذهب المالكي أن العالم حتى ولو كان مجتهداً ، مضطر أحياناً إلى الاعتماد على إمام يرجع إلى رأيه في بعض الأحكام ، فمال إلى الأخذ بمذهب الظاهرية إعجاباً منه بأبي محمد بن حزم الظاهري . وبلغ من إعجاب المنصور به أنه كان يقول لأشياخ المذهب الكبار بأنهم عيال على ابن حزم (17) .

ولعل أهم مظهر للتحرر الفكري في هذا العصر هو انتشار علوم الفلسفة وازدهار دراستها ، وكانت قبل لا تعني غير الزندقة والاحاد ، يُنظر إلى من يخوض في شيء منها نظرة ازدراء وربما رُمى بالحجارة أو حرق إن زل في شبهة (18) . وبلغ من اشتهاى المغرب بهذا اللون من الدراسات أن كان يلجأ إلى علمائه في حل المشاكل الفلسفية العويصة ، تشهد على ذلك الأسئلة الفلسفية التي وجهها فردريك الثاني (19) ملك إيطاليا إلى علماء سبتة ليحيبوا عليها والتي قام بالإجابة عنها الفيلسوف عبد الحق بن سبعين السبتي (20) الذي ضمن هذه الاجابة كتاباً سماه : « المسائل العقلية (21) » .

(17) انظر النفح ج 2 ص 162 وابن حزم هو أبو محمد بن علي أحمد بن سعيد ، ولد في قرطبة سنة 384 وتوفي سنة 456 . من كتبه المطبوعة : طوق الحمامة ، الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، الفصل في الملل والاهواء والنحل ، المحلى ، نقاط العروس ،

(18) انظر النفح 1 ص 124 .

(19) 1194 - 1250 م

(20) ولد سنة 614 وتوفي سنة 669 انظر ترجمته في عنوان الدراية ص 139 وكتاب ابن سبعين لأبي الوفاء التفتازاني .

(21) توجد منها نسخة خطية في اكسفورد تشتمل على 49 ص وقد اعتمد عليها شرف الدين بالتقاي في نشر الكتاب حيث طبع سنة 1941 في بيروت لحساب المعهد العلمي الفرنسي في اسطنبول .

ولقد عرفت الفلسفة نهضة كبيرة على عهد يوسف بن عبد المؤمن الذي «طمح به شرف نفسه وعلو همته إلى تعلم الفلسفة فجمع كثيراً من أجزاءها وبدأ من ذلك بعلم الطب فاستظهر من الكتاب المعروف بالملكي أكثره مما يتعلق بالعلم خاصة دون العمل، ثم تخطى ذلك إلى ما هو أشرف من أنواع الفلسفة وأمر يجمع كتبها فاجتمع له منها قريب مما اجتمع للحكم المستنصر بالله الأموي (22). ولم يقف اعتناء يوسف بالفلسفة عند جمع كتبها وإنما تعداه إلى تقريب علمائها. وكان ممن صحبه منهم أبو بكر محمد بن طفيل (23) الذي بلغ من شدة شغفه به وحب له أن «كان

(22) المعجب 238. وقد اشتهر الحكم بحب العلم وإكرام أهله وجمع الكتب على اختلاف أنواعها لدرجة بلغ عدد قهارس أسماء كتب خزائنه أربعاً وأربعين فهرساً في كل فهرس عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدراوين. وليس من شك في أن اعتناء يوسف يجمع الكتب ليس إلا مظهراً لمدى انتشارها والاعتناء بها في هذا العهد حيث كانت توجد بسوق الكتبيين براكش مائة مكتبة (انظر وصف افريقيا لليون الافريقي ج 1 ص 194 وكتاب مراکش لدوفردان ج 1 ص 178) كما اشتهرت بعض الخزائن الخاصة مثل خزانة محمد بن أحمد بن محمد القيسي المتوفى سنة 663 وكان «جاءاً للكتب» (الاعلام ج 4 ص 377) وخزانة محمد بن أحمد السبائي المراكشي 659 وكان «شديد المحافظة على كتبه مثابراً على الاعتناء بتصميمها مهتماً باقتناء الأصول التي بخطوط أكابر الشيوخ أو عنوا بضبطها وجمع منها جملة وافرة» (الاعلام ج 3 ص 148).

(23) المتوفى براكش سنة 581 وهو صاحب «حي بن يقظان» وتتلخص فلسفة ابن طفيل في أنه أراد أن يمزج العلم اليوناني بحكمة أهل الشرق لعله يخرج برأي مبتكر في الكون. وقد اهتم - ابن باجه - بالعلاقة بين الفرد والمجتمع. لكن على حين كان ابن باجه يكتفي من عزلة أصحاب الفكر عن سواد المجتمع وشواغل الدنيا، بأن يلتقي جماعة المفكرين معاً في مجتمع صغير يربط بينهم، ذهب ابن طفيل إلى ما هو أبعد من ذلك إذ رصل بتحليله إلى الفرد الواحد باعتباره النواة التي نشأ عنها المجتمع» وهذا واضح في قصة حي بن يقظان. أنظر الموسوعة الفلسفية ص 14 وانظر طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة الجزء الثاني ص 78، وتحفة القادم لابن الأبار رقم 43 والمعجب ص 239، والمغرب في حلى المغرب الجزء الثاني ص 85.

يقيم في القصر عنده أياماً ليلاً ونهاراً لا يظهر (24)» ويحلب له « العلماء من جميع الاقطار وينب عليه ويحضه على اكرامهم والتنويه بهم . وهو الذي نبهه على أبي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد (25) . ويحكى ابو الوليد قصة تعرف الخليفة عليه بعد أن قدمه إليه ابن طفيل فيقول: « فكان أول ما فاتحني به أمير المؤمنين بعد أن سألتني عن اسمي واسم ابي ونسبي أن قال لي : ما رأيهم في السماء ؟ - يعني الفلاسفة - أقديمه هي أم حادثة ؟ فأدر كني الحياء والخوف فأخذت أتعلل وأنكر اشتغالي بعلم الفلسفة ولم اكن ادري ما قرر معه ابن طفيل ، ففهم امير المؤمنين مني الروع والحياء فالتفت إلى ان طفيل وجعل يتكلم على المسألة التي سألتني عنها ويذكر ما قاله ارسطوطاليس وافلاطون وجميع الفلاسفة وبورد مع ذلك احتجاج أهل الاسلام عليهم فرأيت منه غزارة حفظ لم اظنها في أحد من المشتغلين بهذا الشأن المتفرغين له . ولم يزل يبسطني حتى تكلمت ، فعرف ما عندي من ذلك . فلما انصرفت أمر لي بمال وخلعة سنوية ومركب (26) » .

(24) المعجب ص 240 .

(25) المعجب ص 242 .

وابن رشد ، وينعت بالحفيد تميزاً له من جده الفقيه الذي كان له نفس الاسم ، ولد في قرطبة سنة 526 هـ - 1126 م وتوفي في مراکش سنة 595 هـ - 1198 م . ويعرف عند الأوروبيين باسم أفيروس Averroes . وأهم ما يميز فلسفة ابن رشد أنه عمل على التوفيق بين الفلسفة والشريعة فقرر وحدة المقصد لكل منهما وقال « ان كلا منهما للاخرى رفيقة وأخت شقيقة . فالحقيقة واحدة لا تتجزأ كل ما هنالك أننا نسعى إليها ونفسرها على أنحاء مختلفة » (الموسوعة الفلسفية ص 12) وقد وضع ابن رشد إلى جانب شروحه لارسطو كثيراً من الكتب في العقائد والفقه والفلك والطب أهمها « تهافت التهافت » رداً على تهافت الغزالي ، و « فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » و « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » . انظر في ابن رشد كتاب : ابن رشد للعقاد ، و « بين الدين والفلسفة عند ابن رشد » لمحمد يوسف موسى ، وطبقات الاطباء ج 2 ص 75 ، والمعجب ص 242 ، والمغرب في حلى المغرب الجزء الأول ص 104 .

(26) المعجب ص 242-243 .

ويبدو أن ابن رشد وجد في كنف الخليفة ميداناً خصباً لازالة نشاطه ،
ويبدو كذلك ان الخليفة وجد لدى أبي الوليد بغيته في توضيح ما يهمهم عليه من
كتب ارسطو وكان قد تعمق في دراستها وفهمها . وبلغ من احاطته بفلسفة ارسطو
والفكر الاغريقي عامة انه كان يشعر بما في المترجمات من خلل فينبه إليه بالرغم
من انه لم يكن يعرف اللغة اليونانية (27)، مما جعل الخليفة يرشحه لتلخيص كتب
ارسطو وتفسير مذهبه في الفلسفة (28).

وقد تحدث أبو الوليد عن ذلك فقال : « استدعاني ابو بكر بن طفيل يوماً
فقال لي : سمعت اليوم أمير المؤمنين يشكي من قلق عبارة أرسطوطاليس أو
عبارة المترجمين عنه ويذكر غموض أغراضه ويقول : لو وقع لهذه الكتب من
يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهماً جيداً لقرب مأخذها على الناس .
فإن كان فيك فضل قوة لذلك فافعل ، وإني لارجو أن تفي به لما أعلمه من جودة
ذهنك وصفاء قريحتك وقوة نزوعك إلى الصناعة . وما يمنعي من ذلك إلا
ما تعلمه من كبرة سني واشتغالي بالخدمة وصرف عنايتي إلى ما هو أهم عندي
منه (29) قال أبو الوليد : فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما لخصته من
كتب الحكيم أرسطوطاليس » (30) .

وحاول المنصور بعد موت أبيه أن يحفظ لأبي الوليد مكانته ويقربه إليه ،
ولكن الحساد دسوا له وأطلعوا الخليفة على بعض ما جاء في تلاخيصه من
أشياء أغرت المنصور عليه كقوله حاكياً عن فلاسفة اليونان : « فقد ظهر أن

(27) في كتاب ابن رشد ص 27 أنه «لم يكن يعرف اليونانية ولكنه اعتمد على المترجمات التي
نقلت من الشرق إلى الاندلس وعلى أستاذه أبي جعفر هارون الطبيب المشارك في الحكمة»

(28) انظر الحديث عن تلاخيص ابن رشد في المعجب 243 والعلوم والفنون ص 99 - 101
وابن رشد 27 .

(29) كان ابن طفيل وزيراً ليوسف

(30) المعجب 243 .

الزهرة أحد الآلهة » (31) وكقوله عند ذكر الزرافة « وقد رأيتها عند ملك البربر » (32) متحدثاً عنه بغير كلفة ، فلم يلبث أن أمر بإبعاده ونفيه .

وليس مستبعداً أن يكون المنصور إنما تستر وراء هذه الأسباب في نكبة ابن رشد ، وإن يكون السبب الحقيقي كامناً في تضايق الخليفة من الصلة الوثيقة التي كانت بين أخيه أبي يحيى والي قرطبة وبين أبي الوليد . وكأنه كان يشك في مماثله له أو لغيره من منافسيه ، لا سيما وأنه كان مشغولاً إذا ذاك بحروب الأندلس . ويزيد في تأكيد هذا الرأي أن النكبة شملت كثيراً من العلماء وكبار موظفي الدولة ممن كان يخشى الخليفة مشايعتهم لمنافسيه .

ومهما تكن أسباب هذه النكبة فإن المنصور لم يلبث بعد عودته من الأندلس أن « نزع عن ذلك كله وجنح إلى إلى تعلم الفلسفة وأرسل يستدعي أبا الوليد من الأندلس إلى مراکش للاحسان إليه والعفو عنه » (33) وكأنه ندم على ما صدر منه بعد أن اطمان على نفسه وخلافته ، ولكن أبا الوليد لم يلبث بعد حضوره إلى مراکش أن مرض مرضه الذي مات منه . وإذا كان المنصور قد فاتته أن يصحب ابن رشد فهو قد صحب الطبيب أبا بكر ابن زهر (34) الذي استطاع بإيعاز من الخليفة وتشجيعه أن ينهض بدراسات الطب والفلك والحساب .

ولا شك أن تقريب الخلفاء الموحدين لاهل العلم يعتبر من عوامل النهضة الفكرية التي قامت في هذا العصر . وقد بلغ من اعتناء الموحدين بالعلماء أن قسمهم طائفتين ، فقد جرت عادتهم بالكتب إلى البلاد واستجلاب العلماء إلى حضرتهن

(31) المصدر السابق ص 306

(32) المصدر السابق ص 305

(33) المعجب ص 307 .

(34) هو أبو بكر محمد أبو مروان بدأ أبو العلاء بن زهر ولد سنة 507 وتوفي سنة 595 .

على أهل كل فن وخاصة أهل علم النظر وسموهم طلبة الحضرة فهم يكثرون في بعض الأوقات ويقولون ، وصنف آخر ممن عني بالعلم من المصامدة يسمون طلبة الموحدين ولا بد في كل مجلس عام أو خاص يجلسه الخليفة منهم ، من حضور هؤلاء الطلبة الأشياخ منهم ، فأول ما يفتتح به الخليفة مجلسه مسألة من العلم يلقيها بنفسه أو تلقى بإذنه . وكان عبد المؤمن ويعقوب يلقون المسائل بأنفسهم » (35) .

وقد كان هذا الجو العلمي الرفيع يشجع العلماء من سائر أقطار الدولة الموحدية على القدوم إلى مدينة مراکش حيث يقدق الخلفاء عليهم الصلات ويحثونهم على البحث والتأليف في مختلف العلوم والفنون . ومن العلماء الذين وفدوا من الأندلس إلى مراکش وكانوا يشاركون الخلفاء في مجالسهم العلمية : أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري المعروف بابن الصقر (492-569) وأبو بكر محمد بن عبد الله بن الجدة الفهري الأشبيلي (ت سنة 586) الذي « بلغ به العلم إلى مرتبة عالية بحيث أن كان يوسف بن عبد المؤمن ينزل له عن فرسه إذا خرج للقاءه » (36)، ومنهم ابن حنين علي بن أحمد بن أبي بكر الكنانى المتوفى سنة 569 وكان قد تلمذ على الغزالي (37)، وأبو زكريا يحيى بن أبي الحجاج اللبلي (المتوفى سنة 590) ، وأحمد بن عتيق البلسي (554-601) ، وأحمد بن محمد بن هارون بن عات النغري الشاطبي (المتوفى سنة 609) ، ويوسف بن أحمد بن علي المرينى (المتوفى سنة 619) ، وأبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي الباجي (564-635) الذي كان يتولى الإفتاء في مجالس بني عبد المؤمن على الطلبة » (38)

(35) المعجب ص 342

(36) مغرب ابن سعيد ج 1 ص 343

(37) انظر ترجمته في صلة الصلة ص 102 تـ 208 .

(38) التكملة ج 2 ص 638 تـ 1657 هامش 3 وانظر العلوم والفنون ص 40 - 41 .

والحق أن الدولة الموحدية نهضت بالفكر المغربي وحررتة من التعصب والتقليد وكثير من القيود التي كانت تثيره لكل محاولة انطلاق أو تجديد . وإذا كان فقهاء العصر المرابطي قد حرّموا (إحياء) الغزالي وحكموا بإحراقه ، فإن فقهاء هذا العصر رحبوا بـ (فتوحات) ابن عربي (39) « مع عظم الفرق بين محتويات الإحياء ومحتويات الفتوحات بما لا تقره المذاهب الفقهية بأجمعها وربما يتعارض مع جوهر العقيدة الإسلامية في كثير من المسائل » (40) .

* * *

إذا أردنا بعد هذا أن نلقي نظرة على مظاهر الازدهار الفكري لهذا العهد ، فإننا سنجدنا منعكسة على جميع فروع العلم :

أولاً : الفلسفة والتصوف :

بالإضافة إلى ما قد اتضح في بداية هذا الفصل عن نهضة الفلسفة ، فإننا نجد غير قليل من أسماء المتصوفة المغاربة الذين كانت لهم ثقافة وآراء فلسفية طعموا بها الجانب التعبدية من التصوف ، نذكر في طليعتهم :

— أبو محمد صالح بن محمد بن عبد الله بن حرزم « كان قد رحل إلى المشرق وانقطع مدة بالشام فلقي هناك الإمام أبا حامد الغزالي ثم عاد إلى فاس ومات بها » (41) .

(39) هو الصوفي الاشراقي أبو بكر محمد بن عربي المرسي (560-638) يعرف بالشيخ الأكبر وابن أفلاطون . من كتبه : فصوص الحكم ، الديوان ، ترجمان الأشواق ، والفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية والملكية ، وهو أعظم كتبه جيمعاً وأهمها .

(40) النبوغ ج 1 ص 121 .

(41) التشوف ص 71 تـ 8 .

و « كان ... عالماً فقيهاً محدثاً حافظاً مدرساً زاهداً في الدنيا سالكاً في طريق القوم من أهل التحقيق مشاركاً في علوم الشريعة لكنه أميل لعلوم الباطن » (42)

— أبو الحسن علي المسفر الذي قال عنه ابن عربي : « كان هذا الشيخ ... جليل القدر ، حكيماً ، عارفاً ، غامضاً في الناس ، محمود الذكر ، رأيته بسبته ، له تصانيف منها منهاج العابدين الذي يعزى لأبي حامد الغزالي وليس له وإنما هو من مصنفات هذا الشيخ ، وكذلك كتاب النفع ، والتسوية الذي يعزى إلى أبي حامد أيضاً وتسميه العامة المضمون الصغير » (43) . وذكر له (44) أربعة أبيات بدأها بقوله :

يا أيها المبتلى بذمي قد علم الله ما تقول

كما أورد له (45) قصيدة وصفها بأنها مشهورة ، أولها :

قل لإخوان رأوني ميتا فبكوني إذ رأوني حزنا

أتظنون بأنني ميتكم لست ذاك الميت والله أنا

— أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي ، ولد بسبته ، عام 425 وتوفي بمراكش سنة 601 كان ورده القرآن ومذهبه التصديق حيث كان زاهداً يتصدق بما يزيد على قوته وعياله في يومه ، وكان يرى أن « الوجود ينفع بالوجود » وهي قوله لأبي الوليد ابن رشد استخلصها من مذهب السبتي وكان قد بعث له من قرطبة أبا القاسم بن إبراهيم الخزرجي ليتعرف على مذهبه ، وبعد أن أطلعه على رأي الرجل قال تلك القولة . ويذهب أبو العباس في الصدقة

(42) نيل الابتهاج ص 198 .

(43) محاضرات الأبرار ج 1 ص 224 وانظر كشف الظنون ج 2 ص 1876 - 1877 .

(44) المحاضرات 224 - 225

(45) نفس المصدر .

إلى وجوب التصديق على النساء الجميلات قبل القبيحات صوتاً لهن من أن يقعن في برائن الفساد (46) .

— أبو محمد عبد السلام بن مشيش المتوفى سنة 622 أو 23 أو 25 حيث قتله أصحاب المشعوذ المتني ابن أبي الطواجين الكتامي بحبل العلم فدفن هناك . ولا أدل على مكانته في التصوف من أنه شيخ أبي الحسن الشاذلي (591-656) صاحب الطريقة المشهورة (47) .

— عبد الجليل بن موسى الأوسي القصري المتوفى سنة 608 ، وهو آخر من ختم به بالمغرب باب التصوف على الطريقة الواضحة المقيدة بالكتاب والسنة (48) .
— كذلك عرف العصر جماعة من المتصوفين المربين أمثال أبي شعيب أيوب ابن سعيد الصنهاجي المتوفى بأزمور عام واحد وستين وخمسمائة (49) وتلميذه أبي يعزى ابن ميمون المتوفى عام اثنين وسبعين وخمسمائة (50) .

ثانياً : الاصول والكلام :

ومما من العلوم التي شجع الموحدون دراستها ، وكان من نتائج هذا التشجيع أن نبغ فيها كثير من المغاربة إلى درجة كانت تشد الرحلة إلى المغرب لطلبها على حد ما ثبتت الخبر الوارد في التكملة والفائل بأن عبد الله بن باديس بن عبد الله المحصبي المتوفى سنة 622 ، وهو من جزيرة شقر « أجاز البحر إلى

(46) انظر في ترجمة الاعلام لابن ابراهيم ج 1 ص 239-338 و اظهار الكمال لنفس المؤلف ج 1 ص 118-200 والسعادة الابدية ج 2 ص 2-14 وانظر فيه كذلك كتاب مراکش لدورفردان ج 1 ص 272 ودائرة المعارف الاسلامية م 11 ص 230 .

(47) أنظر في ترجمة ابن مشيش الدرر البهية ج 2 ص 102 وواسطة العقدين ج 2 ص 384 .

(48) صلة ابن الزبير ص 31 تـ 44 .

(49) انظر ترجمته في التشوف ص 166 تـ 62 .

(50) انظر ترجمته في التشوف ص 195 تـ 77 .

مدينة فاس فلقني هنالك أبا الحجاج بن نموى وطبقته من أهل علم الكلام وأصول الفقه فأخذ عنهم ... وعاد إلى بلنسية فاجتمع إليه بالمسجد الجامع منها ونوظر عليه « (51) » .

ومن العلماء الذين نبغوا في هذين العامين :

— أبو عمرو عثمان بن عبد الله القيسي القرشي المعروف بالسلالجي المتوفى عام 564 أو 574 (52) وهو تلميذ أبي الحسن علي بن محمد بن خلعين الاشبيلي المتوفى سنة 567 والذي « كان أصولياً ماهراً متكلماً حاذقاً وهو الذي قرر علم الأصول وعلم الكلام بمدينة فاس » (53) وكان تلميذه السلالجي « مرجع الفاسيين في هذا العلم » (54) حيث كان « إمام أهل المغرب في علم الاعتقاد » (55) « وهو منقذ أهل فاس من التجسيم . وله البرهانية ، وضعها لإمرأة أندلسية أسماها خيرونة وهي من الصالحات ... وينشد له في أهل فاس :

خذوا ضماني ألا تغلجوا أبداً ولو شربتم مداد الكتب بالصحف
أنتم صغار كبار عند أنفسكم هل يستوي من يقيس الدر بالصدف »

وقد حظي كتاب العقيدة البرهانية باعتهاء العلماء حيث وضع له أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الاشبيلي شرحاً سماه : إيضاح العقيدة البرهانية (57) .

— أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الغندلاوي المعروف بابن الكتاني المتوفى سنة

(51) ج 2 ص 893 تـ 210/9

(52) كما في جذوة الاقتباس ص 290 .

(53) الصلة لابن الزبير ص 101 تـ 205 .

(54) نفس المصدر .

(55) التشوف ص 178 تـ 69 .

(56) الجذوة 289 - 290 وانظر فيه كذلك القرطاس ص 191 والسلاوة ج 1 ص 183 .

(57) انظر كشف الظنون ج 2 ص 1158 .

596 وهو تلميذ (58) السلاجبي السالف الذكر ، « كان إماماً في علم الكلام وأصول الفقه مدرساً لذلك حياته كلها ... وله رجز في أصول الفقه أخذ عنه وسمع منه » . (59)

— أبو الحسن علي بن محمد الخزرجي الاشبيلي الفاسي المعروف بابن الحصار المتوفى سنة 611 « كان محدثاً راوية ، وولي خطة القضاء ، وألف كتاب المدارك في رفع الموقوف ووصل المقطوع من حديث مالك ، وكتاب البيان في تنقيح كتاب البرهان لأبي المعالي (60) » .

— أبو عبد الله محمد بن عثمان بن سعيد المعروف بابن بقميس « كان مفتياً أصولياً ... توفي سنة 608 أو بعدها بيسير » (61) .

ثالثاً : التفسير والحديث

وقد نشطت علومه في المغرب على عهد الموحدين مستفيدة من دعوتهم للرجوع إلى الكتاب والسنة وإن سار في الخط السني السلفي . ومن أعلامه :

— أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي الحراي المراكشي المتوفى سنة 637 « كان يلقي في التفسير قوانين تنزل في علم التفسير منزلة أصول الفقه من الأحكام ... وعلى أحكام تلك القوانين وضع ... الكتاب المسمى : مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن المنزل » (62) .

— أبو عبد الله محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفاسي المتوفى سنة 622

(58) الجذوة 289 .

(59) التكملة ج 2 ص 681 تـ 1718 وانظر التشوف ص 335 تـ 169 .

(60) صلة ابن الزبير ص 119-120 تـ 242

(61) التكملة ج 2 ص 683 تـ 1723 .

(62) عنوان الدراية 85 - 86 وانظر في الحراي كذلك نيل الابتهاج ص 201

« اختصر الكشاف وأزال عنه الاعتزال » (63) كما « ألف في تفسير الكتاب العزيز وشرح الأسماء الحسنى وفسر مشكل الكتاب والسنة في سفر متوسط وألف كتابه المسمى بشعب الإيمان » (64) .

— محمد بن يوسف المزدغبي المتوفى سنة 655 « الفقيه المفتي كان عالماً بالأصول والكلام ، وله معرفة باللسان وتصرف في جميع العلوم العقلية والنقلية ، محدث حافظ ، ألف تفسيراً انتهى فيه إلى سورة الفتح ... وأنوار الإفهام في شرح الأحكام إلى الأقضية ، ومقالة في الوباء وأخرى فيما يجوز للفقراء المضطرين في أموال الأغنياء » (65) .

— أبو محمد عبد الله بن زغبوش المكناسي « كانت له عناية بتأليف الإمام المهدي وبما أملاهم خليفتهم أبو محمد عبد المؤمن ، وله في إثبات هذه الهداية موضوع استخرجه بالاستقراء من الكتاب العزيز كان شيوخ طلبة الموحدين يسألون أبدأ عن هذا الكتاب ويثنون عليه وعلى واضعه » (66) .

وقريب من عناية الموحدين بالتفسير عنايتهم بالقراآت والتجويد . ومن الذين نبغوا وألفوا فيها أبو عبد الله محمد بن حسن بن محمد بن يوسف الفاسي المتوفى سنة 656 له شرح على الشاطبية (67) . ثم لا ننسى هذه الأرجوزة واسمها « حرز الأماني ووجه الهاني » وقد نظمها إمام القراآت والتجويد في هذا العهد قاسم بن فيرة الشاطبي الضرير (68) كان قد رحل إلى الحجاز ومصر

(63) البغية 77 .

(64) صلة ابن الزبير ص 31 تـ 44 .

(65) نيل الابتهاج 229 .

(66) الروض الممتون ص 12 .

(67) اللآلي الفريدة في شرح القصيدة (مخطوط في جزئين في المكتبة الأحمدية بدمشق)

(68) 538 - 590

حيث أسندت له رئاسة فن الإقراء (69) . ومن العلماء المبرزين كذلك في هذا الفن :

— أحمد بن عبد الله بن أحمد بن هشام بن الخطيئة اللخمي (478-560) ،
وكان « رأساً في القراآت السبع (70) » .

— أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن بقى السلوي « أخذ القراآت والحديث والأدب عن مشيخة بلده ودخل الأندلس ... مولده ... سنة عشر وخمسةائة ، وتوفي بمصرية سنة ثلاث وستين وخمسةائة (71) » .

رابعاً : الحديث

كانت للخلفاء الموحدين عناية خاصة بالحديث والحفظ ، فإلى جانب المهدي الذي أثبت تبريزه في الفن ، كان يوسف يحفظ الصحيحين (72) وكان المنصور يحفظ متون الأحاديث ويتقنها (73) ، وكان المأمون يعد في حفاظ الحديث ، ولم يزل أيام خلافته يسرد كتب الأحاديث مثل البخاري والموطأ وسنن أبي داود (74) . أما الأمير إبراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن فلم يكن في العلماء بعلم الأثر المتفرغين لذلك أنقل منه للأثر (75) .

(69) انظر ترجمته في البغية ص 379 .

(70) وفيات الاعيان ج 1 ص 67 .

(71) الاعلام لابن ابراهيم ج 8 ص 239 وانظر زاد المسافر ص 115 وبغية الملتمس ص 483
تد 1464 حيث وردت له بعض الأشعار .

(72) المعجب 155

(73) النفح ج 2 ص 99 .

(74) القرطاس 161 .

(75) المعجب 207 .

ويكفي للدلالة على إتقان المغاربة لهذا العلم نبوغ محدثين رحلوا إلى المشرق وأدهشوا الحفاظ المشاركة وأسندت لهم مناصب تدريس الحديث وإدارة معاهده . ولعل اسم أبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي أكبر شاهد في هذا المضمار ، فقد بلغ من إعجاب الكامل الأيوبي بحفظه أن أنشأ له المدرسة الكاملة للحديث سنة 622 وتولاها من بعده أخوه أبو عثمان ثم ابنه شرف الدين (76) .

ومن كبار محدثي هذا العصر :

– القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (476-544) (77) الذي كان مبرزاً في الحديث ومشاركاً في جميع علوم عصره ، إلى جانب تجويده في الأدب والشعر . وهو مفخرة المغرب في هذا العصر والذي قبله وفي كل عصر إلى حد قيل : « لولا عياض لما ذكر المغرب » . من مؤلفاته :

كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى .

مشارك الانوار في غريب الحديث والآثار .

ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك .

76) انظر في ترجمة ابن دحية التكملة نـ 1832 (ط مجريط) ووفيات الاعيان ج 1 ص 481 وميزان الاعتدال ج 2 ص 252 نـ 1992 والتعريف الذي كتبه الابياري في مقدمة المطرب . وانظر في أخيه عثمان التكملة نـ 1837 (ط مجريط) ، وللجراري صاحب هذا البحث دراسة عن ابن دحية وكتاب المطرب كان قد قدمها في عرض شفوي قبيل مناقشة رسالته التي قدم لها جستير عن ديوان أبي الربيع والتي يعتبر هذا البحث جزءها التمهيدي .

77) خصه بالتأليف ولده أبو عبد الله في كتاب (التعريف) مخطوط بخزانة الرباط العامة رقم 553 س . وقد عني بنشره في هذه الأيام صديقنا الدكتور محمد بنشره (ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة) كما خصه بالتأليف أبو العباس المقرئ في كتاب أزهار الرياض . وانظر فيه كذلك التقديم الذي كتبه الاستاذ محمد بن تاريت الطنجي في تقديم الجزء الاول من المدارك وخاصة صفحات لد له لو حيث أورد لائحة بمراجع ترجمة القاضي عياض .

— أبو عبد الله محمد بن طاهر الحسني الشريف الصقلي من أهل فاس « كان معتنياً بسماع الحديث ذا كراً لأسانيده ومتونه ، وولي قضاء الجماعة بمراكش ... وتوفي سنة 608 (78) » .

— أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن هارون المرادي « كان أحفظ أهل زمانه لحديث رسول الله ﷺ وأذكرهم للتاريخ والرجال والجرح والتعديل والخلاف العالي ، يقوم على الكتب الخمسة قياماً حسناً ويتكلم على أسانيدها ومتونها ، ويستوفي خلاف الفقهاء ويميل إلى الظاهر ... توفي سنة ثلاث وستين وستائة بسبنة (79) » .

— محمد بن قاسم التميمي المتوفى سنة 604 « رحل إلى المشرق رحلة حافلة أقام فيها خمسة عشر عاماً ولقي نحواً من مائة شيخ أكثر من الرواية عنهم واستوسع في السماع منهم وأجاز له بعضهم ... وجمع في ذلك فهرسة كبيرة سماها (بالنجوم المشرقة في ذكر من أخذ عنه من كل ثبت وثقة) واختصر منها ما اقتصر فيه على مسموعه من أكثرهم دون استيفاء تسميتهم (80) » . وقد ذكر ابن الأبار أنه وقف على هذا المختصر .

— أبو عبد الله محمد بن حماد العجلاني قاضي سبنة المتوفى سنة 609 « كان من أهل العناية بسماع العلم ورواية الحديث ... وهو كان الخصوص بقراءة كتب الحديث ودواوينه على الأمراء (81) » .

— محمد بن أحمد بن مرزوق التعمري السبكي « رحل إلى المشرق وأكثر من لقاء الشيوخ وسماع الحديث (82) » .

(78) التكملة ج 2 ص 683 نه 1722

(79) الجذرة 84

(80) التكملة ج 2 ص 682 نه 1720

(81) المصدر السابق ص 584 نه 1724

(82) المصدر السابق ص 680 نه 1717

— محمد بن ابراهيم بن حزب الله المعروف بابن البقار ، لقي بالأندلس جماعة أجازوه « وحدث عن أبي طاهر السلفي بإجازته العامة لأهل المغرب ... وكان من أهل الفقه والحديث متحققاً بالرواية والحديث عن رجالها عاكفاً على التدريس حافظاً متفنناً (83) » .

خامساً : الفقه

على الرغم من سيطرة مذهب المهدي على العصر ، فقد كان جل الفقهاء مالكيين ، إذا قيسوا بالذين عملوا في إطار المذهب الجديد . ومن أهم فقهاء هذا العهد : — القاضي عياض ، وقد تقدم ذكره .

— أبو عبد الله محمد (ولد القاضي عياض) (84) له (مذاهب الحكم في نوازل الأحكام) وهو كما يدل عليه عنوانه في النوازل ، ولعل والده بدأه ثم أكمله هو .

— أبو زيد عبد الرحيم بن عمر اليزناتي « كان محصلاً لمذهب مالك ولأصول الفقه على طريقة الأقدمين ومن أهل الاجتهاد (85) » .

— أبو الحسن علي بن سعيد الرجراجي « صاحب منهاج التحصيل في شرع المدونة ... لخص في شرحه ... ما وقع للأئمة من التأويلات واعتمد على كلام القاضي ابن رشد والقاضي عياض وتخريجات أبي الحسن اللخمي (86) »

(83) المصدر السابق ص 678 تـ 1714

(84) توفي سنة 575 انظر ترجمته في التكملة ج 2 ص 677 تـ 1712 أما كتابه مذاهب الحكم فمخطوط في المكتبة الملكية بالرباط رقم 4042 .

(85) عنوان الدراية 154 .

(86) نيل الابتهاج 200

— عبد الله بن محمد التادلي « كتب المدونة من حفظه بعد أن أمر الموحدون بحرقها ، كان يبت العلم سنة ثلاث وعشرين وستائة (87) » .

— أبو الحسن علي بن يحيى بن القاسم الصنهاجي المتوفى سنة خمس وثمانين وخمسائة انتقل إلى الجزيرة الخضراء فدرس بها وتولى قضاءها « وله في الشروط مختصر مفيد جداً سماه (المقصد المحمود في تلخيص العقود) كثر استعمال الناس له (88) » .

— اسحاق بن ابراهيم بن يعمر السعيدى الفهاري « كان قائماً على المدونة ... يستظهرها » (89) توفي في وقعة المقاب سنة 609 .

— أبو الحسن الحرالي المذكور آنفاً . له كتاب في علم الفرائض سماه (الوافي) ، قال عنه الغبريني : « مارأيت مثله في ذلك الفن لأنه أعطى الفرائض موصلة مفصلة معللة بأخصر بيان وأوضح تبيان (90) » .

— عبد بن الله محمد بن عيسى التادلي المتوفى بمكناس سنة 597 « ولاء الخليفة أبو يعقوب قضاء فاس (91) » .

ولا ينبغي أن ننسى أن المنصور كان معجباً بالمذهب الظاهري وأنه كان يحاول إدخاله .. وعلى الرغم من أن جل الفقهاء كانوا متعصبين للمالك فإن بعضهم لأن ومال لمذهب الخليفة أمثال أبي اسحق ابراهيم بن احمد بن هرون المرادي الفاسي السالف الذكر وأبي الخطاب بن دحية وأخيه أبو عثمان اللذين كانا يجتهدان في المذهب « باستنباط القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس (92) » .

(87) النيل 138

(88) المصدر السابق ص 200 .

(89) المصدر السابق ص 99 وانظر التكملة ج 1 ص 194 ص 517 .

(90) عنوان الدراية 87-88

(91) التكملة ج 921 ن 2155

(92) وفيات الاعيان ج 2 ص 432 .

والجدير بالذكر أن فقهاء المالكية المتعصبين ما كانوا ليسمحوا بانتشار مذهب ابن حزم ، بل تصدى بعضهم لانتقاده والرد على صاحبه كـ محمد بن سعيد الأنصاري السالف الذكر مؤلف كتاب المعلى في الرد على محلى ابن حزم . ومثله أبو زكريا يحيى بن أبي علي المعروف بالزواوي ، فإنه لما كان من أمر هذا الفقيه « في شأن ابن حزم ما قد اشتهر وتعصب له ناس ورفعوا القضية للخليفة بمراكش اقتضى نظر الفقيه أبو زكريا... أن يتوجه عنه الفقيه أبو محمد عبد الكريم الحسني لمراكش ، فتوجه وحمل تأليف الفقيه ورده على ابن حزم المسمى (حجة الأيام وقدوة الأنام) . ولما وصل حضرة مراكش استحضره أمير المؤمنين بين يديه بمحضر الفقهاء وعرض تأليف الفقيه عليهم ، وكان الفقيه أبو محمد عبد الكريم هو النائب في الحديث فأحسن وأجاد وأطلع أمير المؤمنين ومن حضر من الفقهاء على كلام الفقيه ... مما دلهم على فضله ودينه وعلمه فكان من قول الخليفة : (يترك هذا الرجل على اختياره فإن شاء لعن وإن شاء سكت) وانقلب أبو محمد عبد الكريم وهو المبرور وسعيه المشكور (93) » .

سادساً : العلوم اللسانية

أ - اللغة :

ازدهرت دراستها وعني بمسائلها ، وكان الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من أحفظ الناس للغة وأسرعهم نفوذ خاطر في غامض مسائل النحو (94) . وقد نشط في هذا العهد نظم مسائل العربية في أراجيز يسهل على الطلاب المبتدئين ضبط دقائقها كأرجوزة محمد بن عيسى بن أصبغ المعروف بابن المناصف المتوفى سنة 620 المسماة « المذهب في الحلى والشيات » ونظم ابن معط لصحاح

(93) عنوان الدراية ص 146-147 لدى ترجمة عبد الكريم الحسني وانظر ترجمة الزواوي في

المصدر ص 75-79 .

(94) المعجب 155 .

الجوهري وجمهرة ابن دريد(95). ومما يدل كذلك على هذا الازدهار التحقيقات اللغوية التي أوردها أبو زيد عبد الرحمن السهيلي المالقي في كتابه (الروض الأنف) حيث عمد إلى إيضاح ما في سيرة ابن هشام « من لفظ غريب وإعراب غامض أو كلام مستغلق (97) ». ومن اللغويين البارزين في هذا العصر :

— أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري السبتي « لم يستظهر أحد في زمانه من اللغة ما استظهر، آية تتلى ومثالا يضرب قائماً على كتاب سيبويه(97) ».

— أبو الخطاب بن دحية السالف الذكر و « كان من أحفظ أهل زمانه باللغة حتى صار حوشي اللغة عنده مستعملاً غالباً عليه (98) » .

2 - النحو :

— كبير نحاة المغرب في هذا العهد هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي المراكشي « لزم ابن بري بمصر لما حج وعاد فتصدر للإقراء بالمرية وغيرها ، وأخذ عنه العربية جماعة منهم الشلوبين وابن معط ، وكان إماماً فيها لا يشق غباره مع جودة التفهم وحسن العبارة ... شرح أصول ابن السراج ، وله المقدمة المشهورة وهي حواشي على الجمل للزجاجي وقال بعضهم ليس فيها نحو وإنما هي منطق لحدودها وصناعتها العقلية ... ومات سنة سبع وستمائة(99) ».

(95) انظر البغية ص 416 .

(96) مقدمة روض الانف ص 3 . والسهيلي كان نزيل مراكش وبها توفي سنة 581 وكان قد ولد سنة 509. انظر فيه المطرب ص 230 وزاد المسافر ص 96 .

(97) البغية ص 69 .

(98) عنوان الدراية 159 - 160

(99) البغية 369 وانظر وفيات الأعيان ج 1 ص 498 وذكريات المشاهير عدد 19 .

وتعرف هذه المقدمة بالقانون والاعتماد والكراسة، وتوجد مع بعض شروحيها (100) في مكتبة القرويين بفاس والاسكوريال بأسبانيا .

أما تلميذه ابن معط وهو أبو زكريا يحيى زيد الذين الزاوي (564-628) فكان « اماماً مبرزاً في العربية شاعراً محسناً ... أقرأ النحو بدمشق مدة ثم بصر وتصدر بالجامع العتيق وحمل الناس عنه وصنف الألفية في النحو (101) ... وله العقود والقوانين في النحو وكتاب حواشي على أصول ابن السراج في النحو وكتاب شرح الجمل في النحو وكتاب شرح أبيات سيبويه نظم وكتاب ديوان خطب وله قصيدة في القراآت السبع ونظم كتاب الصحاح للجوهري ، في اللغة ولم يكمل ، ونظم كتاب الجمهرة لابن دريد في اللغة ونظم كتاباً في العروض وله كتاب المثلث (102) » .

ومن نجاة هذا العصر أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن رحمون المصمودي المتوفى سنة 649 « أخذ العربية عن ابن خروف وكان ذا لسانٍ وفصاحة وكان يقرأ كتاب سيبويه (103) » .

- ومنهم كذلك أبو عبد الله محمد بن هشام اللخمي السبتي المتوفى سنة 570 وصفه ابن دحية بأنه « الفقيه الاستاذ النحوي الكبير المتقن الخطير (104) » . وذكر صاحب البغية بأن « له تأليف استعملها الناس ، منها كتاب الفصول والمجمل

(100) شرحها الجزولي نفسه كما شرحها ابن مالك وابن عصفور والشلوبين الذي أكل شرح هذا الأخير وهو شرح كبير ، كما شرحها معاصره أبو العباس أحمد بن خلف البكري صاحب شرح المفصل (انظر البغية ص 156 - 157) .

(101) هي المشار إليها في مقدمة ألفية ابن مالك

(102) البغية ص 416 .

(103) البغية 301 .

(104) المطرب 183 .

في شرح أبيات الجمل ، ونكت على شرح أبيات سيديويه للأعلم ، ولحن العامة وشرح
الفصيح وشرح مقصورة ابن دريد (105) .

وبلغ التفوق في علم النحو « الى وجود مدارس نحوية هنا وهناك انفردت
بآراء خاصة في بعض مسائل الاعراب وغيره ، فهذه مدرسة فاس التي سيختلف
أهلها مع مدرسة تلمسان في مسألة صرف أبي هريرة ، وهذه مدرسة سبتة التي
تخالف الجمهور في ضم النكرة المقصودة اذا نونت اضطراباً . وهذه مدرسة طنجة
التي توجه أسئلة نحوية الى مدرسة اشبيلية ، وأخيراً هذه مدرسة المغرب بعامة
التي لا تسمى لولا شرطاً ولا لو الا اذا كانت بمعنى إن أي حين تكون مجردة من
الامتناع وذلك في الغايات نحو قوله عليه السلام : احفظوا عني ولو آية (106) » .

3 - أما العروض : وما كان للمغاربة من اعتناء بمسائله فيكفي للدلالة عليه
قصيدة ضياء الدين الخزرجي السبتي المعروفة بالخزرجية والمشهورة في الشرق
باسم الرامزة ، وهي قصيدة لا تتعدى مائة بيت ولكنها مع ذلك جامعة شاملة .

ويعتبر ابن معط وابن أبي الجيش الأنصاري من الذين كان لهم باع طويل في
هذا الفن والتأليف فيه .

سابعاً : العلوم العددية :

1 - الحساب :

يعتبر الحساب من العلوم التي نشط تدريسها في هذا العهد . وربما كان كتاب
« اللباب في مسائل الحساب » هو الكتاب المقرر في تدريس هذه المادة ، وهو
من تأليف الحيسوبي الأندلسي أبي الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي القرطبي

(105) البغية 20 وانظر التكملة ج 2 ص 675 تـ 1709

(106) ج 1 ص 126 وانظر التكملة ج 2 ص 538 تـ 1465 وفهرست ابن غازي ص 27 .

المتوفى سنة 601 (107)، وكان قد استقر في فاس يدرس الحساب ويعلم الفرائض.

ومن المغاربة الذين نبغوا فيه :

— أبو عبد الله محمد بن علي بن العابد الأنصاري الفاسي المتوفى سنة 622 كان إماماً في . . الفرائض والحساب والبرهان عارفاً بالسجلات والتوثيق (108) .

— عبد الله بن محمد بن حجاج المعروف بابن الياسمين « توفي ذبيحاً براكش سنة إحدى وستائة وقيل في آخر سنة ستائة (109) . وله : « أرجوزة في الجبر والمقابلة قرئت عليه وسمعت منه باشيلية (110) » وأرجوزة في أعمال الجذور (111) .

2 - الهندسة :

ويشهد على عناية الموحدين بها ما قاموا به من تكسير بلاد المغرب وإفريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولاً وعرضاً (112) . كما يشهد على هذه العناية إنشاء المسجد الجامع الذي يتبع القصر والذي وضع تصميمه المهندس الحاج يعيش المعروف بالأحوص المالمقي « وكان بهذا المسجد مخارج وأروقة بديعة الصنع وعمرات سرية تمتد خفية إلى القصر بحيث يستطيع أمير المؤمنين أن يزور المسجد وأن يغادره دون أن يراه أحد . . . وكانت المقصورة التي يجلس بها أمير المؤمنين أثناء صلاة الجمعة ذات تركيب عجيب . . . تسع نحو

(107) انظر ترجمته في صلة ابن الزبير ص 118 - 238 .

(108) البغية 77 .

(109) الجذوة 236 وانظر ترجمته مع بعض أخباره وشعره في الفصول البانعة ص 42 - 50 وانظر كذلك التكملة - 2041 (ط مجربط) .

(110) الجذوة 236 أما الأرجوزة فتوجد مخطوطة في خزانة الرباط العامة .

(111) توجد مخطوطة في الأسكوريال .

(112) القرطاس 126 .

ألف شخص وكانت تتحرك بواسطة عجلات ثبتت في أسفلها ولها ستة أذرع أو جوانب تمتد بواسطة مفاصل متحركة . وقد صنعت هذه العجلات والمفاصل بحيث لا يترتب عند تحريكها أقل صوت وتدور جميعاً في أتم سكون ، ونظمت المحركات بطريقة هندسية دقيقة بحيث تتحرك جميعاً في وقت واحد متى رفع الستار عن أحد البابين اللذين يدخل منهما أمير المؤمنين إلى المسجد عند صلاة الجمعة . وكانت المقصورة تبرز من جانب المنبر من الجانب الثاني وتلتف الجوانب في نفس الوقت حول مجلس أمير المؤمنين . كذلك نظم المنبر بحيث يفتح باب متى صعد إليه الخطيب ، ويفلق من تلقاء نفسه متى اتخذ الخطيب مكانه ، وذلك كله دون أن يسمع أو يرى أثر لهذه المحركات (113) . وعلق المقرئ على هذه المقصورة فقال : « وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن وبقيت آثارها حسبما شاهدت سنة 1010 (114) » .

3 - التنجيم :

وهو من العلوم التي مال لها الموحدون ميلاً خاصاً لدرجة أن المنصور كان يرصد النجوم «وقد ابتنى . . في مسجداشبيليه الجامع برجاً عالياً ليكون مرصداً . ومن الواضح أنه أول مرصد بني في أوربا . ووضع المنصور في سنة 1157 م (545 هـ) أزياجاً فلكية عند كسوف الشمس وكتب معاصره البتراجي Alpetragius المراكشي رسالة عن الأجرام ترجمت إلى اللاتينية وطبعت ، ولكن أزياج المنصور لم تطبع (115) » .

ومن أكبر علماء الفلك على هذا العهد أبو علي حسن بن علي المراكشي المتوفى سنة 660 صاحب جامع المبادئ والغايات في الميقات « وهو أعظم

(113) تاريخ الأندلس لأشباح ج 2 ص 253 .

(114) النفح ج 2 ص 163 .

(115) أشباح ج 2 ص 260 .

ما صنف في هذا الفن (116) ، يوجد بعضه ، وترجم سيديو جزءاً منه للفرنسية سنة 1834 كما نقل البارون كارادوفو فصلاً منه بتعلق بالاسطرلاب .

ومن الآثار التي تشهد على براعة المغاربة في الفن الساعة التي تحدث عنها العمري في مسالك الأبصار والتي كانت على باب جامع الكتبية بمراكش وكان ارتفاعها في الهواء خمسين ذراعاً تنزل فيها عند انقضاء كل ساعة ضجة ، وكان وزنها مائة درهم تتحرك بنزولها أجراس يسمع وقعها من بعد . والأسف أنه لم يعد لهذه الساعة أي أثر بل ، إن العمري نفسه ذكر أنها كانت بطلاة على عهده (117) .

ثامناً : الفن

انتشر الفن الأندلسي المغربي في عهد الموحدين متجلياً في كثير من المنشآت ، وأهمها في عهد عبد المؤمن مسجد تازة وتنمل والكتبيتان : الأولى وكان قد أمر بهدمها لانحراف توجيهها ، والثانية وهي الباقية .

وإذا كان عبد المؤمن قد بدأ في أول عهده يسير على غرار المهدي في الميل إلى البساطة والبعد عن الزخرفة ، فإنه في هذه المنشآت يبدو محباً للفن الأندلسي متأثراً به . أما يوسف فأقام جامع اشبيلية الشهير ببنارة الجير الدا ، وخطط لقصبة مراكش بقلعتها وقصرها الدارسين الآن ، وقد أكملهما المنصور ، كما أنشأ جامع حسان في الرباط وبنى أسوار وأبواب هذه المدينة .

ويمكن القول بأن البساطة تغطي على الفن الموحدى ، حتى حين يتوسل بالزخرفة وهي بساطة تعطيه وقاراً وتجعله يوحى بالقوة والعظمة . وهو في الزخرفة يعتمد تشكيلات متمثلة في توريقات مكونة في شكل جديد يبرزها

(116) كشف الظنون ج 1 ص 572 وانظر العلوم والفنون ص 110 والنبروغ ج 1 ص 157 .

(117) انظر كتاب مراكش لد وفردان ج 1 ص 193 .

ويضيف عليها كثيراً من ملامح الجلال . وهي متمثلة كذلك في أشكال هندسية تعتمد الاقواس والانحناءات بالإضافة إلى التزييق الفسيفسائي بالزليج (118) .

تاسعاً : الطب

أما الطب وما يتصل به من علوم وفنون فيكفي للبرهنة على عناية الموحدين به أن نعرف أن المنصور « بنى بمدينة مراکش بمارستاناً ما أظن أن في الدنيا مثله، ذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع في البلد وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة وما زاد على الاقتراح . وأمر أن يفرس فيه مع ذلك من جميع الأشجار المشمومات وأجرى فيه مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسطه إحداها رخام أبيض ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره مما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعمت وأجرى له ثلاثين ديناراً في كل يوم برسم الطعام وما ينفقه عليه خاصة خارجاً عما جلب إليه من الأدوية وأقام فيه من الصيدالة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للزوم من جهاز الصيف والشتاء، فإذا نقه المريض فإن كان فقيراً أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل وإن كان غنياً دفع إليه ماله وترك وسببه ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء بل كل من مرض بمراكش من

(118) انظر في الآثار الموحدية :

Recherches Archéologiques à Morraquech par Jacques — 1
Meunié et Henri Terrasse (ابتداء من ص 33)

Sanctuaires et forteresses almohads Hespéris 1926(22 30 — 2
trim(1927 20 30 trim)

Hespéris 1933 030 trim — 3 قلعة موحدية قرب الرباط (الدشيرة): هسبرس

Hespiris 1649 030 40 trim — 4 حول منبر الكتبية بمراكش : هسبرس

5 — الكتبية : كتاب مراکش لدوفردان ج 1 ص 172 - 194 .

غريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت . وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله ويعود المرضى ويسأل عن أهل بيت أهل بيت يقول : كيف حالكم وكيف القوامة عليكم ؟ إلى غير ذلك من السؤال ثم يخرج . لم يزل مستمراً على هذا إلى أن مات رحمه الله (119) .

ولو حاولنا أن ننظر في الأطباء لألفينا عددهم كبيراً في هذا العهد ، يكفينا أن نشير منهم إلى من كانوا علماء أدباء أمثال :

- يحيى بن بقي السلاوي الذي أقام بمروسة « فاشتغل بالطب وظهر فيه فكان يعيش نفسه مما يعود عليه منه (120) » .

- علي بن يقطان السبتي (121) الذي كانت له رحلة إلى مصر وعدن ثم العراق حيث أقام يعمل وكان في نفس الوقت أديباً شاعراً .

عاشراً : الجغرافيا :

كانت الجغرافيا على هذا العهد من العلوم المزدهرة في المغرب حيث لمع اسم الشريف الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله السبتي 493 - 560) . وبلغ من شهرة هذا العالم المغربي أن روجر الثاني ملك صقلية دعاه إلى بلاطه ليفيد من علمه وتجاربه . وقد صنع له الإدريسي خريطين للعالم إحداها حائطية والثانية كروية من الفضة . أما الخريطة الأولى فقد فُقد أصلها وبقيت بعض أجزائها . ويقول الأستاذ فيلار أنها توجد بمكتبات باريز واكسفورد واسطنبول وليننجراد والقاهرة ، وهي الأجزاء الموجودة متفرقة في كتاب نزهة المشتاق . وقد استطاع أن يجمع هذه القطع وعددها 255 ويطبع منها سنة 1928 خريطة ملونة . وهناك

(119) المعجب 287 - 288 .

(120) بغية الملمس ص 483 ن 1464 وقد سبق أن ذكرناه مع علماء القراءات .

(121) انظر الخريدة ق 4 ج 1 ص 436 .

خريطة صغيرة طبعها فيلار تسمى روض الفرج ، تنسب للإدريسي وهي في الواقع لابنه محمد صنعها سنة 588 . وأما كرة الفضة فقد ضاعت على اثر الثورة التي قلبت حكم ابن روجر (فلهم) سنة 1160 م حيث اقتسم الثوار فضتها .

وقد وضع الإدريسي لهذين الخريطتين شرحاً ضمنه كتابه المشهور « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (122) » . كذلك ألف الإدريسي لغيلوم الأول كتاب « روض الأنس ونزهة النفس » أو الممالك والمسالك (123) . كما أنه لا يمكن أن تذكر الجغرافيا في هذا العصر دون أن نذكر كتاب « الاستبصار في عجائب الأمصار (124) » وقد كان مؤلفه يعيش في عهد الموحدين وفي أزهى فترات هذا العهد ولكنه مجهول .

حادي عشر : التاريخ

وأما التاريخ وما ينطوي تحته من فنون وفروع فقد عرف ازدهاراً ملحوظاً يتجلى في الكتب العديدة التي ألقت فيه ، سواء منها ما كان خاصاً بالمغرب أو ما كان عاماً . ويكفي أن نذكر نماذج من الكتب التي وصلتنا مطبوعة أو مخطوطة .

1 - الدر المنظم في مولد النبي المعظم ، لأبي العباس أحمد بن محمد العزفي اللخمي المتوفى سنة 633 ، أكمله ابنه القاسم (125) . توجد منه نسخة بالمكتبة الزيدانية

(122) نشر طرف منه مع إحدى سبعين خريطة. وترجمه إلى الفرنسية André Joubert (40 - 1836) وكان قد نشر مختصر له في روما سنة 1592 كما نشرت ترجمته اللاتينية عام 1519 . وتوجد مخطوطات لنزهة المشتاق في باريز وراكسفورد واسطنبول .

(123) مخطوط في مكتبة حكيم أرغلر على باشا باسطنبول. انظر ترجمة الإدريسي في دائرة المعارف الإسلامية 1 ص 547 - 549 .

(124) نشرة الدكتور سعد زغلول عبد الحميد (الاسكندرية 1958) .

(125) انظر أزهار الرياض ج 2 ص 375 .

وأخرى بمكتبة شهيد باشا في السلمانية باسطنبول (126). ويعتبر هؤلاء العزفيون أول من أحدث الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب . وفي مقدمة الكتاب إشارة الى ذلك والى أنها بدعة ولسكنها مستحسنة لاسيما وأن النصارى يحتفلون بمولد المسيح .

2 - كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب لمؤلف مجهول كان معاصراً للموحدين . عثر بروفنسال على كتاب مقتبس في الاسكوريال فنشره وترجمه للفرنسية سنة 1928 ضمن كتاب أخبار المهدي للبيدق .

3 - كتاب النبراس في أخبار خلفاء بني العباس لابن دحية (مطبوع في بغداد) .

4 - تاريخ الموحدين لأبي بكر علي الصنهاجي المكنى بالبيدق ، وهو أشبه بمذكرات شاهد عيان كتبها المؤلف عن قيام الموحدين حتى آخر عهد عبد المؤمن . وقد نشرها وترجمها بروفنسال ضمن كتاب المهدي ، للبيدق .

5 - المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي (581 - 625) جمع فيه أخبار الأندلس والمغرب من الفتح إلى السنة 621 حيث كان عهد يوسف بن محمد الناصر .

يجدر بنا أن نشير إلى بعض الكتب المغربية الأخرى ككتاب « المغرب » أو « المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس » لمحمد البرنسي السبتي (127) وكذلك كتاب المستفاد في مناقب العباد من أهل فاس وما يليها من البلاد ، لمحمد بن قاسم ابن عبد الكريم التميمي (128) .

(126) توجد نسخة مصورة عنها عند الكاتب .

(127) انظر جنى زهرة الآس ص 5 .

(128) انظر الجذوة ص 159 وقد تقدم ذكر هذا المؤلف مع الأصول والكلام .

ويجدر بنا كذلك أن نشير إلى أن من أهم مصادرنا عن هذا العصر كتابان لمؤرخين أندلسيين هما ابن القطان وابن صاحب الصلاة . أما عبد الملك المعروف بابن صاحب الصلاة فله «المن بالإمامة» وقد نشره الأستاذ عبد الهادي التازي بعد أن قدمه رسالة للدبلوم .

* * *

لما شجع الخلفاء الموحدون مجالس العلم وحثوا أهله على الدرس والتأليف ، كذلك عنوا بالأدب ورجاله عناية خاصة نشطت حر كته وأوضحت معالمه وخطت به بعيداً نحو الإبداع والابداع . وتتجلى هذه العناية في الصلوات الطائفة التي كانوا يدرونها على الأدباء ، فعمد المؤمن يعطي للشاعر التيفاسي ألف دينار على بيت واحد أنشده إياه هو قوله (129) :

ما هز عطفه بين البيض والأسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي
والمصور يعطي لابن منقذ رسول صلاح الدين (130) ألف دينار لكل بيت من القصيدة التي مدحه بها ، وتضم أربعين بيتاً ، منها :

إلى معدن التقوى إلى كعبة الندى إلى بحر جود ما لأخراه ساحل
إليك أمير المؤمنين ولم تزل إلى بابك المأمول تزجي الرواحل
قطعت إليك البر والبحر موقناً بأن نذاك العمر بالنجح كافل (131)

ولم تكن عناية الخلفاء تقتصر على التشجيع المادي وإنما كانت تتممها إلى التشجيع المعنوي بممارسة الأدب ونقده وإقامة ندوات يشترك فيها أكبر عدد

(129) انظر وفيات الاعيان ج 1 ص 391 وانظر كذلك الخريدة فقد ورد فيها «قال عبد المؤمن لا تشر بعده شيئاً : أمن له بألف دينار» (ق 4 ج 1 ص 152) .

(130) انظر الاستقصا ج 2 ص 164 وانظر في ابن منقذ مغرب ابن عذاري ج 3 ص 183 وفي سفارته تاريخ ابن خلدون ج 6 ص 246 .

(131) النفح ج 1 ص 307 .

ممكن من الشعراء . وقد أقام عبد المؤمن بمناسبة احتفاله ببيعة أهل الأندلس له ندوة (132) على ظهر جبل الفتح (133) استدعى لها الشعراء ولم يكن يستدعيهم قبل ذلك وإنما كانوا يستأذنون فيؤذن لهم . وكان على بابيه منهم طائفة أكثرهم مجيدون فكان أول من أنشد أبو عبد الله محمد بن حبوس ... فأنشد في ذلك اليوم قصيدة أجاد فيها ما أراد ، أولها :

بلغ الزمان يهديكم ما أملا وتعلمت أيامه أن تعدلا
وبحسبه أن كان شيئاً قابلاً وجد الهداية صورة فتشكلا (134)

كذلك أقام المنصور ندوة أدبية على أثر عودته من غزوة الأرك حيث « ورد عليه الشعراء من كل قطر من أقطار مملكته يهنئونه ، فلم يمكن لكثرتهم أن ينشد كل شاعر قصيدته بل كان يختص بإنشاد البيتين أو الثلاثة المختارة . وانتهت رقاع القصائد وغيرها في هذا اليوم إلى أن حالت بين يعقوب وبين من كان أمامه لكثرتها (135) » .

وكان للخلفاء الموحدين وخاصة منهم عبد المؤمن والمنصور احساس بالفن وشعور بالجمال جعلاهما يتذوقان الشعر ويتفهمانه وينقدانه . أنشد الشاعر الأصب المرواني (136) أمام عبد المؤمن قصيدة يعارض بها بائية أبي تمام : « السيف أصدق أنباء من الكتب » قال :

ما للعدا جنة أوقى من الحرب
« فقال عبد المؤمن رافعاً صوته : إلى أين ... إلى أين ... ؟ »

(182) انظر تفاصيل هذه الندوة في المعجب ص 213 - 223 وفي مغرب ابن عذاري ج 3 ص 45 - 46 .

(133) هو جبل طارق .

(134) المعجب ص 213 - 214

(135) النفع ج 2 ص 403 وانظر المعجب 293 ومغرب ابن عذاري ج 3 ص 197 .

(136) هو حفيد الشريف الطليق المرواني الذي توفي قريباً من سنة 400 (انظر المعجب 215 - 217) .

فقال الشاعر :

... .. أين المفر وخيل الله في الطلب
وأين يذهب من في رأس شاهقة وقد رمته سماء الله بالشهب
حدث عن الروم في أقطار أنداس والبحر قد ملأ العبرين بالعرب

فلما أتم القصيدة قال عبد المؤمن : بمثل هذا يمدح الخلفاء (137) . وأنشده مرة ابن سيد اللص (138) :

غض عن الشمس واست قصر مدى زحل وانظر إلى الجبل الراسي على جبل
أنى استقر به أنى استقل به أنى رأى شخصه العالي فلم يزل

فقال له عبد المؤمن : « لقد نقلتنا يا رجل ، وأمر به وأجلس (139) » إشعاراً من الخليفة بأن مادحه لم يدرك أبعاد اللحظة وما كانت تقتضي من معان مدحية تبرز شجاعة الخليفة وإقدامه على الجهاد وتحقيقه للنصر وليس مجرد تشبيهه بالجبل الثابت المستقر . ومدح ابن مجير يوسف بن عبد المؤمن بأحد الفتوح قال :

إن خير الفتوح ما كان عفواً مثل ما يخطب الخطيب ارتجالاً
وكان أبو العباس الجراوي حاضراً فاعترض عليه بأنه اهتدم بيت وضاح:
خير شراب ما كان عفواً كأنه خطبة ارتجالاً

(137) المعجب 316 .

(138) هو احمد بن علي بن محمد سيد الكنتاني شاعر اشبيلي ولد سنة 502 أو 503 وتوفي سنة 577 أو 78 و « يعرف بالاص لقبه بذلك أبو بكر الابيض الأديب في صغره لا غارته بزعمه على الاشعار فقلب عليه » (التكملة ج 1 ص 80 تـ 212 . انظر في ترجمته كذلك المطرب ص 201 وزاد المسافر ص 52 والروايات ص 19 ومغرب ابن سعيد ج 1 ص 282 وبغية الوعاة ص 149 ونفع الطب ج 5 ص 335 .

(139) المعجب ص 217 .

فبدر المنصور - وكان بالمجلس وهو إذ ذاك وزير أبيه يوسف - وقال : إن كان اهتمامه فقد استحق لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف ، فسر بجوابه وعجب الحاضرون (140) .

وبلغ من ميل الخلفاء الموحدين إلى الشعر أن نسب إليهم المؤرخون أبياتاً وقصائد لا نملك إلا أن نشك في صحة نسبتها إليهم ، لا سيما من لم يكن منهم - من حيث التكوين الفكري وقدرة التعبير - مهياً لقول الشعر . أما حين يتعلق الأمر بالمهدي أو المرتضي - وكان مشهوداً لهما بالتبريز الثقافي - فإن حدة الشك تخف بعض الشيء .

وهذه قضية كثيرة ما نصادفها في تاريخنا الفكري والأدبي حيث نجد المؤرخين يعدون غير قليل من رجال الحكم والدولة في سجل الكتاب والشعراء والمؤلفين . وهي قضية تحتاج في معالجتها إلى كثير من التروي والحذر بدءاً من الشك الذي يحثنا عليه ما نعرف من أن الخلفاء والأمراء والحكام عامة كان لهم كتاب وشعراء كثيراً ما كانوا يؤلفون باسمهم وينظمون ، خاصة حيث يكون هؤلاء المسؤولين نصيب من ثقافة علمية أو أدبية ، وخاصة كذلك حيث يكون للدولة - أو حين تريد أن يكون لها - طابع فكري ، كما هو الشأن بالنسبة للدولة الموحدين ، وخاصة بعد هذا حين تقتضي تقاليد المراسلة التوسل بالشعر في المخاطبات والمكاتبات الرسمية (141) .

ففي الخريدة (142) أن المهدي قال قبل قيامه بالمغرب هذه الأبيات :

اني وفي النفس أشياء مخبأة لألبس لها درعاً وجلباباً
كما أظهر دين الله من دنس وأوجب الفضل للسادات ايجاباً

(140) النفح ج 2 162 .

(141) انظر نماذج من ذلك في البيان المغرب ج 3 ص 39 - 42 - 72 - 88 - 114 .

(142) ق 4 ج 1 ص 195 .

تالله لوظفرت كفي ، بطلبها ما كنت عن ضرب أعناق الوري آبي
وفي الحلال (143) أنه قال في أبي عبد المؤمن :

تجمعت فيك أشياء خصصت بها فيكنايبك مسرور ومفتبط
فالسن ضاحكة والكف مانحة والصدر متسع والوجه منبسط
وفي تاريخ البيهقي (144) أن الإمام المهدي لما حضرته الوفاة جلس ذات يوم في
بيته اذ سمع صوتاً رقيقاً من وراء البيت وهو يقول :

كأنني بهذا البيت قد باد أهله وقد درست أعلامه ومنازله
فأجاب المهدي :

كذاك أمور الناس يبلى جديدها وكل منّا حقاً ستبلى خصائله
فأجابه الهاتف قائلاً :

تزود من الدنيا فإنك راحل وانك مسؤول ، فما أنت قائله
فأجاب المهدي :

أقول بأن الله حقاً شهدته وذلك قول ليس تخفى فضائله
فأجاب الهاتف فقال :

فخذ عدة للموت انك ميت وقد أزف الأمر الذي انت نازله
فأجاب الهاتف فقال :

نبئت ثلاثاً بعد عشرين ليلة الى منتهى شهر فما أنت كامله

(143) ص 98 .

(144) ص 81 - 82 .

كذلك أورد له ابن خلكان (145) أبياتاً ثلاثة هي هذه :

أخذت بأعضادهم اذناؤا وخلقك القوم اذا ودعوا
فكم أنت تنهى ولا تنتهي وتسمع وعظما ولا تسمع
فيا حجر السن حق متى تسن الحديد ولا تقطع

أما عبد المؤمن فقد ذكر المراكشي أنه « كتب رسالة الى عرب افريقية يستنفرهم فيها الى الغزو بجزيرة الأندلس وأمر أن تكتب في آخرها أبيات قالها رحمه الله في ذلك المعنى (146) » أولها :

أقيموا بني العلياء هوج الرواحل وقودوا الى الهيجاء جرد الصواهل
وذكر ابن عذاري (147) أن عبد المؤمن أمر - على اثر فتح المهدي سنة 555-
أن تكتب هذه القصيدة في وصف الفتوح :

وأشرقت الشمس المنيرة فوقنا وأصبح وجه الحق غير محجب
وطهر هذا الصقع من كل كافر وعاد به الإسلام بعد تقلب
وكسرت الصلبان في كل بيعة ونادى منادي الحق في كل مرقب
وسرنا بأعناق المطي اليكم فطار بها شأو السرور بمغرب
فأبشر أبا حفص بنصر مؤزر كفيل بما تبغيه في كل مذهب
ولا بد من يوم أغر محجل يسيل دماء الكفر في كل مذهب
وتشفى صدور المسلمين بغزوة تكون على حكم الحسام المدرب

(145) الرايات 98 والوفيات ج 2 ص 53 .

(146) المعجب 225 وكتفينا بالطلع إذ في مغرب ابن عذاري أن الأبيات من قول ابن عياش (ج 3 ص 89) .

(147) البيان المغرب ج 3 ص 41 .

ويغزو بلاد الروم جيش عرمرم بخيل من بني قيس وأبناء يعرب
 يصول به عن عصبة الحق معشر بحملة ما يلقاه خير مجرب
 فيدفع بالصمصام كل مجاهر ويقطع بالبرهان كل مشغب
 فطوبى لأهل الغرب ماذا يروونه من النصر والفتح المبين المقرب

فأمر الأمير أبويعقوب أن يكتبها الطلبة باشبيلية ويحفظوها وذكر لهم أنها
 من انشاء أبيه (148) .

وعند صاحب الحلال (149) أن أبا محمد عبد الله الجياني هنا عبد المؤمن ببعض
 انتصاراته بقصيدة أولها :

أضاعت لنا الايام واتصل النجج وكانت وجوه الدهر مسودة كالج
 فرد عليه الخليفة بقوله :

هو الفتح لا يحلو غرائبه الشرح أصاب بني التجسيم من بأسه طرح
 أتقنا به البشرى على حين غفلة بهلك قوم كان مواعدها الصبح

وفي القرطاس أنه « خرج يوماً مع وزيره أبي جعفر بن عطية (150) متنزهاً
 الى بعض بساتين له براكش، فمر في طريقه بشارع من شوارع المدينة فإذا بطاق
 في دار عليه شباك خشب قد قابله منها وجه جاريه كأنه الشمس الضاحية قد

(148) نفس المصدر .

(149) ص 131 .

(150) هو الكاتب الوزير أبو جعفر أحمد بن جعفر بن محمد بن عطية القضاعي المراكشي
 (517 - 533) كان كاتباً لعلي بن يوسف تاشفين بن علي المرابطيين قبل اتصاله بالموحدين
 ثم عين كاتباً ووزيراً لعبد المؤمن ولكنه لم يلبث أن كشف عنه أشياء دفعته إلى قتله على
 الرغم من كثرة استعطافه له . (أنظر المعجب 199 - 200 والبيان المغرب ج 8 ص 26 - 35
 والعلوم والفنون ص 14 - 15 والمراجع المذكورة) .

بادرت الطاق تنظر اليه ، فنظر اليها عبد المؤمن فأعجبه حسنهما من قلبه كل
الحل ، فقال ارتجالاً :

قدت فؤادي من الشباك اذ نظرت
فقال أبو جعفر : حوراء ترنو الى العشاق بالمقل
فقال عبد المؤمن : كأننا لحظها في قلب عاشقها
فقال أبو جعفر : سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي
فاستحسن اجازة وزيره فخلع عليه وأمر له بمال جزيل(151)»

كذلك ذكر له العماد الحنبلي بيتين قالهما « وقد كثر انشوار عليه » (152) هما :
لا تحفلان بما قالوا وما فعلوا ان كنت تسمو الى العليا من الرتب
وجرد السيف فيما أنست طالبه فما ترد صدور الخيل بالكتب
وأما المنصور فقد أورد له المقرئ (153) أبياتاً كتب بها الى المغرب ، هي :

يا أيها الراكب المزجي مطيته	على عذافرة تشقى بها الأكم
بلغت سليمى على بعد الديار بها	بيني وبينكم الرحمن والرحم
يا قومنا لاتشبوا الحرب أن خمدت	واستمسكوا بعرى الايمان واعتصموا
كم جرب الحرب من قد كان قبلكم	من القرون فبادت دونها الامم
حاشا الاعارب أن ترضى بمنقصة	ياليت شعري هل تراهم علموا

(151) القرطاس ص 144 .

(152) شذرات الذهب ج 4 ص 183 .

(153) النفع ح ص 100 .

يقودهم أرمي (154) لا خلاق له كأنه بينهم من جهلهم علم
الله يعلم أني ما دعوتكم دعاء ذي قوة يوماً فينتقم
ولا لجأت لأمر يستعان به من الأمور وهذا الخلق قد علموا
لكن لأجزي رسول الله عن نسب ينمي إليه وترعى تلسم الذمم
فإن أتيتم فحبل الوصل متصل وأن أبيتم فعند السيف نحتكم

كذلك تقرأ في الحلال (155) أبياتاً للمأمون قالها في مجزرة براكش سنة 627
قتل فيها آلافاً من مخالفيه وهي :

أهل الحراية والفساد في الوري يعززون في التشبيه للذكار
ففساده فيه الصلاح لغيره بالقطع والتعليق في الأشجار
ذكارهم ذكرى إذا ما أبصروا فوق الجذوع وفي ذرى الاسوار
لو عم حكم الله سائر خلقه ما كان أكثرهم من أهل النار

كما نقرأ في مغرب ابن عذاري أشعاراً لعمر المرتضى أوردتها بعد أن قال
عنه : كان أديباً عفيفاً شاعراً ظريفاً غير أن شعره كان ضعيفاً ووقفت له على
سفر مجلد من شعره (156) « وهي قوله :

ولما مضى العمر الا الاقل وحن لروحي فراق الجسد
دعوت الى الله مستعظفاً ليصلح مني ما قد فسد

154 (يعني قرقوش الذي كان يتأمر مع ابن غانية .

155 (ص 139 .

156 (ج 3 ص 542 وقد وردت هذه الابيات في الحلال (141) مع كسر في البيت الأول .

ويذهب عنها الريا والحد
وسوق العفاف بها قد كسد

ويصلح نفسي وأخلاقها
فسوق الرياء بها نافق
وقوله في شهر ربيع (157) :

أذكى من المسك العتيق نسيماً
يزهو به فخرأ وحاز عظيماً
ملأ الزمان علاؤه تعظيماً
وتأنقت أرجاؤها تنميماً
وغدا به دين الإلاه قويماً
فلقد غدا بين الشهور كريماً
صلوا عليه وسلموا تسليماً

وإني ربيع قد تعطر نفحه
بولادة المختار أحمد قد بدا
بشرى بشهر فيه مولده الذي
ضامت به شرق البلاد وغربها
فاعترأ أمر الله يوم طلوعه
فاعرف لهذا الشهر حقاً قدره
شهر كريم جاء فيه محمد
وقوله معتذراً عن لقبه (158) :

هيهات أين وأين مني المرتضى
إلا ما أرجوه منك من الرضى

يدعون عبدك سيدي بالمرتضى
مالي على ما لقبوه قدرة
وقوله يرثي نفسه (159) :

وما أخذت من الدنيا سوى كفن
تالله لو كان لي حكم على زمن

قهر المنية تحت التراب أسكنني
فيا بني ويا إلفي ويا سكني

يوماً من الدهر ما فارقتكم أبداً

وبين باك من اللذات ممتنع
ألبيت من بعد عري أهون الخلع

تركتهم بين تشيت ومجتمع
ونسوة بالغنا يبكون من جزع

وما مددت لهم يوم الوداع يدا

(157) نفس المصدر .

(158) نفس المصدر .

(159) المصدر السابق ص 453 - 454 .

أنا الغريب بأرض ضاق مسلكه مع البنين ولكن كنت أملكه
ما كان ظني صغير القوم أتركه في حجر مرضعة يحبو فتمسكه

بالرغم مني تركت المال والولدا

طمعت في الروح أن يبقى معي فأبى لما تحقق أن الأمر قد وجبا
ونال صرف زماني كل ما طلبا وصرت مستوحشاً من جملة الغربا

وعند قطع رجائي لم أجد أحدا

عين الزمان أصابتني بنظرها وأذهبت عزتي في طول مدتها
عجبت من بطشها عني وسرعتها وكيف مازجني تكوين صبغتها

في حين فارق مني روعي الجسدا

مهما يكن من صحة نسبة هذا الشعر إلى الخلفاء (160) أو عدم صحته ، فإنه يدل على ميلهم إلى تذوق الأدب وتعاطيه . ولا شك أن هذا الميل كان له أكبر الأثر في خلق نهضة أدبية لهذا العصر . وكان نتيجة لهذه النهضة أن جمعت عدة دواوين شعرية وألفت كتب أدبية وصلنا البعض منها وضاع الكثير . من هذه الكتب والدواوين :

— ديوان الخليفة عمر المرتضى (161) .

— ديوان شاعرنا الأمير أبي الربيع .

(160) انظر أشعاراً منسوبة إلى أبناء الخلفاء والأمراء الموحدين في الغصون اليانعة ص 150 والبيان المغرب ج 3 ص 99 - 100 وأمراؤنا الشعراء ص 32 - 35 والعلوم والفنون 160 - 164 .

(161) ورد ذكره في البيان المغرب حيث قال ابن عذاري « وقفت له على سفر مجلد من شعره بنظمه ونثره » (ج 3 ص 452) .

- ديوان أبي بكر عتيق بن علي الصنهاجي الحميدي (162) .
- ديوان أبي عبدالله محمد بن حبوس (163)
- ديوان أبي العباس الجراوي (164) .
- ديوان أبي عمرو ميمون خبازة الخطابي (165) .
- ديوان أبي عبدالله محمد بن علي بن العابد الأنصاري (166) .
- المطرب في أشعار أهل المغرب لأبي الخطاب بن دحية (167) .
- صفوة الأدب ونخبه كلام للجراوي (168) .

- (162) ورد ذكره في الجذوة حيث ورد أن ابن القطان قال: «أرانا شعره مجموعاً (ص 278)».
- (163) ورد ذكره في المطرب حيث قال ابن دحية: «وقد رفعت ديوان شعره للمقام المولوي السلطاني الملكي السكالي الناصري أدام الله انعامه» (ص 200) وذكره صاحب الذيل والتكلمة حيث قال بأن شعره يناهز «سنة آلاف بيت وقد وقفت منه على مجلد متوسط» (الاعلام لابن ابراهيم ج 3 ص 31) وهو غير موجود .
- (164) ذكره ابن الأبار في التكلمة حيث قال: «وقفت على ديوان شعره» (ج 1 ص 128 تـ 323) وهو غير موجود .
- (165) ورد ذكره في ازهار الرياض حيث قال المقرئ «وقد كتب عن أبي عمرو هذا كثيراً من شعره أبو عمرو سالم بن صالح النهرواني المالقي» (ج 2 ص 380) وهو غير موجود.
- (166) ذكره في البغية حيث قال «وله شعر كثير مدون» (ص 77) وهو غير موجود .
- (167) طببع في القاهرة سنة 1954 بتحقيق ابراهيم الايباري وحامد عبد المجيد واحد بدوي.
- (168) ذكر ابن الأبار أنه «ألف للسلطان كتاباً في معنى الحماسة لحبيب سباه صفوة الأدب ونخبة كلام العرب أخذه الناس عنه» (التكملة ج 1 ص 128 تـ 323) أنظر كذلك كشف الظنون (ج 2 ص 1079) حيث وصفه بأنه «من أحسن المجاميع» . يوجد مختصر له بقلم المؤلف يسمى (الحماسة الغربية) أو (الحماسة المتأخرة) كما يسميه بعض المستشرقين . ويوجد هذا المختصر مخطوطاً في مكتبة السلطان الفاتح باسطنبول كما توجد صورته بنزارة الرباط العامة .

— اختصار الأغاني لشاعرنا أبي الربيع (169) .

* * *

ولو حاولنا أن نلقي الضوء على أدباء هذا العصر لاحتاج الأمر منا إلى حيز يجيد بنا عما نحن بصده في هذه الدراسة التمهيدية . لذلك سنقتصر منهم على بعض الأعلام الذين تبلورت في شعرهم مواقف واضحة واتجاهات متميزة عسانا نحدد ملامحها من خلال ما سنورد لهم من نماذج ، انطلاقاً مما شاع عن أدب هذا العصر أنه كان أدباً دينياً مذهبياً متأثراً بالدعوة الموحدية ، لا مجال فيه للخمریات وأدب التغزل والجانب الذاتي عامة ، وأنه كان بسيطاً لا أثر فيه للصناعة والزخرف . وهي سمات سنرى في بقية هذا الفصل ثم حين ندرس شعر أبي الربيع أنها أطلقت على أدب هذا العصر ونسبت له تعسفا .

ويمكننا أن نميز خمسة اتجاهات متمثلة عند هذه الطوائف من الشعراء :

١ - شعراء العصر المرابطي الذين أدركوا عهد الموحدين ولكنهم لم يتجاوبوا مع مذهبه فضلاً عن أن يتأثروا به ، وربما كان لبعضهم منه موقف معارضة ، فظلوا في شعرهم ذاتيين تلح عليهم فيه موضوعات الوصف والغزل وما إليها مما يتيح التعبير عن المشاعر الفردية والأحاسيس الخاصة ، في أسلوب تبدو عليه ملامح الصناعة القائمة على محسنات البديع ، متأثراً بتيار الشعر الأندلسي الذي كان قد بدأ يطبع إنتاج شعراء المغرب في عصر المرابطين ، على الرغم من الطابع الفقهي الذي كان يميز هذا العصر .

ويعتبر القاضي عياض من أبرز شعراء هذه الطائفة ، وهو يقول في زرع تخللته شقائق النعمان وقد هبت عليها الريح :

(169) يوجد الجزء الاول من هذا المختصر في خزانة جامعة القرويين تحت رقم 248 (ق 154) .

تحكي وقد ماست أمام الرياح
شقائق النعمان فيها جراح (170)

انظر إلى الزرع وخاماته
كتيبة خضراء مهزومة

ويقول متغزلاً (171) :

لبالي وصلها بالرقمتين
رأيت بعينها ورأت بعيني

رأت قمر السماء فأذكرتني
كلانا ناظر قمرأ ولكن

ويقول معاتباً وشاكياً في لوعته في جناس تام رائع :

لكنه للضنى والسقم أوصى بي
أخا جوى وتباريح وأوصاب
كأنني راصد للنجم أوصابي
إلا جنى حنظل في الطعم أوصاب (172)

يا من تحمل عني غير مكثرت
تركنتي مستهام القلب ذا حرق
أراقب النجم في جنح الدجى سهرأ
وما وجدت لذيد النوم بعدكم

ويقول في نفس الروح والأسلوب :

كطائر خانة ريش الجناحين
فإن بعدكم عني جنى حيني (173)

الله يعلم أني منذ لم أركم
فلو قدرت ركبت البحر نحوكم

ويقول عند ارتحاله عن قرطبة (174) :

حداتي وزمت للفراق ركائي
وصارت هواء من فؤادي ترائي

أقول وقد جد ارتحالي وغردت
وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتي

(170) المطرب 87 وانظر البيتين في قلائد العقيان (ص 234) مع تغيير في صدر البيت الثاني حيث ورد كآتي : كئائباً تجفل مهزومة .

(171) نفح الازهار ص 9 .

(172) المطرب 87 .

(173) المصدر السابق ص 88 .

(174) القلائد 234 .

وداعي للأحباب لا للحبائب
وسقى رباها بالعمود السواكب
طليق المحيا مستلان الجوانب
معاهد جار أو مودة صاحب

ولم تبق إلا وقفة يستحشا
رعى الله جيراناً بقرطبة العلى
وحياً زماناً بينهم قد ألفتها
أ إخواننا بالله فيها تذكروا
ويقول كذلك من قصيدة (175) :

فأبدى له جهد اعترافي أو عذري
ألفتهم إلف الخائل للقطر
فنأيم أذكى وأنكى من الجمر
وإن طال لم يمزج بصد ولا هجر
أحملها نجوى تلجلج في صدري
معطرة الأرجاء دائمة البشر

عسى تعرف العلواء ذنبي إلى الدهر
وقد حال ما بيني وبين أحبة
هم أودعوا قلبي تباريح لوعة
على أن لي سلوى بأن فراقهم
سأفزع للريح الشمالي لعلني
تبلغ منها للوزير تحية

2 - شعراء عاصروا عهدي المرابطين والموحدين وانتصروا لهؤلاء
وساروا في تيارهم المذهبي ، يمدحون الخلفاء ، يصفون فتوحاتهم ويهنئونهم
بالانتصار ، متأثرين بالمبادئ التي أقام عليها المهدي دعوته ، ومعبرين عنها
وخاصة ما يتصل منها بإثبات الدعائم السياسية لهذه الدعوة . ويعد ابن
حبوس (176) في طليعة هذه الفئة ، فقد كان متصلاً بالمرابطين يحظى عند
أميرهم علي بن يوسف إلى حد قال عنه المراكشي « انه كان في دولة لمتونة
مقدماً في الشعراء » (177) . ولكنه لم يلبث أن اتخذ موقفاً ضد المرابطين

(175) المصدر السابق ص 233-234 .

(176) أبو عبد الله محمد بن حسين بن عبد الله بن حبوس (500-570) انظر في ترجمته المعجب
ص 213 والمطرب ص 199 وزاد المسافر ص 1 والتكملة ج 2 ص 677 تـ 1711 ووفيات
الاعيان ج 2 ص 15 والاعلام لابن ابراهيم ج 3 ص 26 وانظر كذلك :

La poésie à Fés sous le Almoravides et les Almohades par
H. Pérès (Hespéris T 18 1934) .

وانظر بحثاً للكاتب (دعوة الحق ص 4 ع 6 مارس 1961) (177) ص 214 .

اضطره إلى أن يهرب للأندلس . ويعلل المراكشي لهذا الموقف بأنه « نقلت إليهم عنه حماقات » (178) . ولعلنا من خلال العناصر القليلة المتوفرة لدينا عن حياته وشعره نرجح أن يكون التفسير للحماقات مرتبطاً بتحرر الشاعر الفكري ، ورفضه في هذه الفترة المنهارة من تاريخ المرابطين لموقف الفقهاء المتزمت . ولدينا قصيدة للشاعر تتضح من خلالها أبعاد ثورة ابن حبوس ، يقول فيها (179) :

<p>الدين دين الله لم يعبأ بمبد قالوا بنور العقل يدرك ما وراء بالشرع يدرك كل شيء غائب من لم يحيط علماً بغاية نفسه أعداؤنا في ربنا أحببنا ستناهم منا الغداة قوارع وتصب فيهم سحبتنا بصواعق</p>	<p>تمدع ولم يحفل بضلة ملحد الغيب قلت قدي من الدعوى قد والعقل ينكر كل ما لم يشهد وهي القريبة ، من له بالأبعد جرحوا القلوب وأقبلوا في العود إن لم تغلهم عو لها فكأن قد تلك التي جلبت منية أربد</p>
---	--

.....

<p>قال الفلاسف قلت تلك عصابة خدعت بالفاظ تروق لطافة</p>	<p>جاءت من الدعوى فإذا طلبت حقيقة لم توجد</p>
---	---

.....

يلغى كتاب الله بين ظهورهم وجميع مسنون النبي محمد

وإذا كانت محاولة الربط بين موقفه من المرابطين وبين الأفكار الواردة في القصيدة وخاصة ما يتصل منها بالدعوة الرجوع إلى الكتاب والسنة تجعلنا

(178) ص 214 .

(179) الاعلام ج 3 ص 28 - 29 .

ترجح أن تكون هذه القصيدة موجهة للفقهاء الذين تمسكوا بالفروع ، فإن ما نلاحظه فيها من هجوم صريح وعنيف ضد الفلاسفة يجعلنا نميل إلى اعتبارها تعبر كذلك عن موقف فكري عند الشاعر ضد التيار العقلي الذي كان طاغياً في عهد الموحدين ، مما يدل على أن ابن حبوس كان معتدلاً في تفكيره يرفض نقل الفقهاء الجامد كما يرفض غلو الفلاسفة في أعمال العقل . ويبدو الشاعر بهذا الموقف الوسط أقرب إلى التزام آراء الدعوة الموحدية في الحدود التي رسمها لها ابن تومرت داخل إطار متوازن بين الشرع والعقل .

ومها يكن فقد أصبح ابن حبوس - بعد أن عاد إلى المغرب على أثر فتح عبد المؤمن للأندلس - شاعر الخليفة الرسمي ، يصاحبه في إقامته ورحلته ويشهد معه الوقائع والحروب ويمدحه ويصف فتوحه وانتصاراته . وقد تكون قصيدته في فتح بجاية هي أول شعره بعد عودته ، وفيها يقول (180) :

من القوم بالغرب تصغي إلى	حديثهم أذُن المشرق
جروا والمنايا إلى غاية	فلم يسبقوها ولم تسبق
بأيديهم النار مشبوبة	فمها تصب باطلا تحرق
يقودهم ملك أروع	تفرد بالسؤدد المطلق
إلى الناصرية سرنا معاً	ولما تفتننا ولم تلحق

وقد كانت الندوة التي أقامها عبد المؤمن على ظهر جبل الفتح فرصة الشاعر حيث برز بقصيدته التي أولها (181) :

بلغ الزمان يهديكم ما أملا	وتعلمت أيامه أن تعدلا
وبحسبه أن كان شيئاً قابلاً	وجد الهداية صورة فتشكلا

(180) زاد المسافر ص 6 .

(181) زاد المسافر ص 2 .

وفيها يقول عن آراء المذهب من خلال استعارات محكمة وتشبيهات
رائعة :

فلأنتم الحق الذي لا يترى	فيه وليس يجائز أن يُجْهلا
ولأنتم سر الإلاه وأمركم	ملأ العوالم مجملًا ومفصلا
عزلت ولالة الحس عن إدراكه	فهو المنزه حسبه أن يعقلا
كأنتم زهر النجوم أسنة	وأدرتم فلكاً عليها القسطلا
ومنعم الريح الهبوب لأنكم	أرسيتم الخلق المضاعف اجبلا
صدت تشي القهقري ولو انها	خاضت رماحكم لعادت منخلا

وفي طريق عودته إلى مراکش توقف الخليفة بجيشه على شاطئء المحيط عند
مدينة الرباط ، فاستوحى الشاعر من روعة الإطار وجلال الموقف قصيدته
التي يقول فيها (182) .

ألا أيهذا البحر جاورك البحر	وخيم في أرجائك النفع والضر
وجاش على أمواهك العقل والحجا	وفاض على أعطافك النهي والأمر
وسال عليك البر خيلاً كماتها	إذا حاولت غزو أفقد وجب النصر
لعلك يطغيك اشتراك سمعته	فذلك بحر لا يشاكله بحر
فأنت خديم الشمس والبدر عنوة	وتخدمه في أمره الشمس والبدر
ويحويك شطر الأرض تغمر بعضه	وفي صدره الافلاك والبحر والبر

وعلى هذا النحو من القول سار ابن حبوس في مدح الخليفة وأبنائه وخاصة
منهم أبا يعقوب مما جعله يحظى عندهم وباستمرار .

(182) المصدر السابق ص 2 - 3 والاعلام ج 3 ص 27 .

3 - شعراء نشأوا في أحضان الدولة ووهبوا أنفسهم وشعرهم لها فكانوا لسان حالها المعبر عن مواقفها والمدافع عن كياناتها من خلال مدح الخلفاء ووصف الفتوح والإشادة بالانتصارات . ولعل أبا العباس الجراوي (183) كان في طليعة هذه الفئة من الشعراء فقد « كان عالماً بالأدب حافظاً بليغ اللسان شاعراً مقلداً (184) » وكان « من شيوخ الأدب رزق طول العمر والجاه ومجالسة الخلفاء فأول من جالسه منهم عبد المؤمن ثم جالس أبا يعقوب ثم جالس المنصور (185) ... وهو أديب المغرب على الإطلاق في زمانه مع ما له من اعتداد بالنفس والافتداز في التقصيد (186) » . ويؤكد كل شعره أن يكون في إطار الدولة الرسمي ، لم يتح فيه المجال لذاته إلا نادراً ، مما جعله يعتبر بحق شاعر الخلافة الموحدية . ويكفي في الدلالة على ذلك أن عبد المؤمن يقول له : « يا أبا العباس اننا نباهي بك أهل الأندلس » ومع ذلك فإننا لا نجد من شعره في عبد المؤمن إلا ثلاث قصائد . الأولى (187) قالها في انتصار له بالأندلس سنة ست وخمسين وخمسة مائة ، مطلعها :

أعلنت دين الواحد القهار بالمشرفية والقننا الخطار
وفيها يقول :

وسلكت من طرق الهداية لاحبا طوبى لمن يمشي على الآثار

(183) انظر في ترجمته وشعره : الغصون البانعة 98 والمغرب ج 2 ص 209 وزاد المسافر 7 والتكملة ج 1 ص 128 تـ 323 والمقتضب 44 وأزهار الرياض ج 2 ص 364 والنفع ج 5 ص 228 ووفيات الاعيان ج 2 ص 494 والبيان المغرب ج 3 في أماكن متفرقة والاعلام لابن ابراهيم ج 1 ص 342 وشاعر الخلافة الموحدية وذكريات المشاهير عدد 6 .

(184) التكملة ج 1 ص 128 .

(185) الغصون 99 - 100 .

(186) المصدر السابق 102 .

(187) البيان المغرب ج 3 ص 46 - 47 .

وجرت معاملكم إلى الأمد الذي بعدت مسافته على أسفار
وقفت على ما قد أردت سعادة وقفت عليها خدمة الأقدار

.....

لاغرو ان كنت الأخير زمانه فالفصل للأصال والأسفار
وافيت أندلساً فأمن خائف وسما لأخذ الثار رب الثار
وحللتكم جبل الهدى فحللتكم منه عقود عزائم الكفار

ويقول في الثانية (188)

ومن يكن من أمير المؤمنين فقد قامت على فضله منه الشهادات
اهناً إمام الهدى فالعدل منبسط والدين منتظم والكفر أشتات

أما الثالثة (189) - وقالها في فتح المهديّة - فمطلعها :

لمن الخيول كأنهن سيول غصت بهن سباب وهجول
وفيه يقول :

عم البسيطة ملكه فكأنه سيل على كل البلاد يسيل
جهل النصارى أنه الملك الذي يرث البلاد وعذرهم مقبول

كذلك نجد للجراوي قصائد في يوسف منها قصيدة (190) في بعض انتصاراته
بالأندلس ، أولها :

عن أمركم يتصرف الثقلان وبنصركم يتعاقب الملوان

(188) المصدر السابق 47 - 48 .

(189) نفس المصدر .

(190) البيان المغرب ص 104 .

وبما يسوء عدوكم ويسركم تتحرك الأفلاك في الدوران
جاهدتهم في الله حق جهاده ونهضتم بحماية الإيمان

ومنها قصيدة (191) في مدحه وتهنئته بالبراء من مرض ألم به ، مطلعها :

ستملك أرض مصر والعراقا وتجري نحوك الأمم استباقا

وذكر له ابن خلكان هذين البيتين (192) « من شعره من جملة قصيدة مدح
بها الأمير يوسف ... وهو بديع غريب » :

ان الامام هو الطبيب وقد شفى علل البرايا ظاهراً ودخيلاً
حمل البسيطة وهي تحمل شخصه كالروح توجد حاملاً محمولاً

وربما كان الجراوي في هذه الفترة - على الرغم من قوله عبد المؤمن له -
لا يحتل المكانة الأولى التي يبدو أن الذي كان يشغلها هو الشاعر ابن حبوس ،
ولعل هذا ما جعله لا يبرز في الحلبة إلا على عهد المنصور الذي من تقديره له
أنه كلفه بمجالسة الأمير عبد الرحمن ابن منقذ الذي أرسله صلاح الدين الأيوبي
على رأس سفارة إلى مراکش . وقد أنشأ فيه العديد من القصائد يصف فيها
مختلف مواقفه وتحركاته . منها قصيدة (193) في فتح بجاية ، مطلعها :

لواؤك منصور وسعدك غالب وحزبك للأعداء عنك محارب

وفيه يقول مادحاً الخليفة :

إمام له فضل على الخلق باهر ومرتبة تنحط عنها المراتب

(191) المصدر السابق ص 125 .

(192) الوفيات ج 2 ص 495 .

(193) البيان المغرب ج 3 ص 151 - 152 .

مناقبه مثل الكواكب كثرة
هي الدوحة السماء في الأرض أصلها
له نسبة قيسية قرشية
حقيق بمراث النبوة والهدى
ونوراً ألا الله تلك المناقب
وقد زاحت منها السماء الذوائب
تقرّ لها بالمعلوات المناسب
ولا عجب إن المزايا مواهب

وله في مدحه (194) وتهنئته بالشفاء :

برء الإمام حياة الخلق كلهم
شكا فلا مقلة إلا أضرب بها
تجهم الدهر لما أن شكا وبدا
صحت بصحته الآمال وانتعشت
أفاض عدلاً على الدنيا وألبسها
وبث في كل إقليم هدى وندى
عم السرور به وانثالت النعم
سهد ولا قلب إلا شفه ألم
ببرئه وهو طلق الوجه مبتسم
وزاحت زحلاً في أفقه الهمم
نوراً فلم يبق لا ظلم ولا ظم
فليس يوجد لا جهل ولا عدم

ومن أحسن شعره قصيدته (195) في غزوة الأرك ، ومطلعها :

هو الفتاح أعياء وصفه النظم والنثرا
وعمت جميع المسلمين به البشرى

كذلك قال الجراوي في الناصر حيث نذكر له من شعره فيه قصيدتين (196)
أنشأهما في التهنئة بتجديد بيعته . يقول في الأولى :

تأبى الخلافة من سوى أكفائها
عشيت بنوركهم البلاد فمن بها
والجد غير مقابل بمزاج
أغنى عن الإصباح والمصباح

(194) المصدر السابق ص 188 .

(195) المصدر السابق ص 197

(196) المصدر السابق 212 - 213 .

سكنت ببيعته القلوب ولم تزل
عم السرور بها البسيطة كلها
لا زلت للأعياد تمنح بهجة
يعني سناها أعين اللامح
تهفو من الاشفاق دون جناح
كالصبح فاض على ربي وبطاح

ويقول في الثانية :

هي بيعة أحيا الإلاه بها الوري
سبقت قلوب الخلق أيديهم بها
كل يد يد الضراعة راغباً
وحمى بها دين النبي المصطفى
ورجا زمانهم بها أن يسعفا
في نيلها مسترحاً مستعطفاً

ولو أمعنا النظر في هذا الشعر وغيره لوجدنا الجراوي - على الرغم من سيره في اتجاه الدولة الرسمي - لم يتشرب مبادئ مذهبها ولم يعمق في نفسه تجربة الثورة الموحدية القائمة على هذا المذهب . ومن ثم جاءت أفكاره سطحية يوردها بتقريرية وتكرار ، لا تعكس الظلال النابعة من وعيه بالدعوة . وهذا ما يجعلنا نشك في فعالية شعر الجراوي من حيث قدرته على تصعيد مد الطاقة الشعورية الواعية لدى متلقيه وخلق مزيد من الانفعال بالمذهب والتجاوب معه .

4 - شعراء ذاتيون ساروا في الاتجاه الذي سار فيه أدباء العصر المرابطي من قبل ، والذي يلح على موضوعات الغزل والوصف وعلى أسلوب الصنعة القائم على المحسنات البديعية ، بل قالوا - أو بعضهم على الأقل - في الموشحات والأزجال ، تأثراً بتيار الشعر الأندلسي الذي ازدهر في ظله هذا الأسلوب وتلك الموضوعات وكذا فن الزجل والتوشيح . وكان من هؤلاء من سار بعيداً في هذا الاتجاه أمثال الشاعر ابن غرلة (197) الذي اشتهر

(197) انظر ما كتبنا عنه في (القصيدة) ص 537 فما بعد وص 552 فما بعد وانظر كذلك كتابنا (موشحات مغربية) ابتداء من ص 115 .

في التوشيح والزجل ، وكان معاصراً لعبد المؤمن ومحباً لابنته رميلة ، وتعرض للقتل . وفيها يقول موشحته التي مذهبها :

من يصيد صيداً فليكن كما صيدى
صيدى الغزالا في مراتع الأسد

وعند الحلي أن رميلة كانت بدورها شاعرة « فصيحة اللسان تنظم الأزجال الرائعة الفائقة (199) » ومنها هذا الزجل (200) الذي مطلعُه :

مشى السهر حيران حتى رأى إنسان عيني وقف
وفي خرجته تقول واصفة خالاً بخد حبيبها :

اسيمر جنان في شقه من نعمان قد التحف

ولكن بعض هؤلاء الشعراء - على الرغم من تركيزهم على الذات - لم يكونوا ليغفلوا الاتجاه الرسمي المتمثل في تيسار الشعر المذهبي ، فكانوا من فينة لأخرى يعلنون عن وجودهم بمدح هذا الخليفة أو ذاك ، وكأنهم يحاولون بذلك إثبات مسايرتهم لحظ الدولة ، لا سيما حين يكون لهم فيها منصب مسؤولية. ويكاد الشاعر أبو حفص عمر السامي الاغماني (121) أن يكون على رأي

(198) العاقل الحالي الورقة 20 ظ 21 وانظرها في (موشحات مغربية) ص 147 .

(199) العاقل الحالي 20 ظ .

(200) المصدر السابق 21 .

(201) ولد بأغات في حدود سنة 530 وتوفي سنة 603 باشبيلية وهو يتولى قضاءها . انظر فيه الغصون اليانعة 91 وزاد المسافر 101 وصلة ابن الزبير ص 72 تـ 130 والتكملة تـ 1851 (ط مجريط) والازهار ج 2 ص 361 وجذوة الاقتباس 286 ورفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة ج 1 ص 100 وذكريات المشاهير عدد 30 .

هذه الطائفة من الشعراء الذين سئى أن أبا الربيع كان واحداً منهم . ويكفيها التعرف على ملامح شخصيته أن نورد ما قال عنه ابن سعيد حيث ذكر « أنه كان فقيهاً علامة ، وفي النظم والأدب أندر علامة ، جلست بين قومه بمدينة فاس مقداره ، وقضيت بها في الجاه والمال أوطاره إلى أن كان هنالك من أهل الفتيا ثم صار من جلساء أصحاب الأمر وأرباب العليا ، ثم ترقى إلى الخطابة والقضاء وصار ذا إبرام وإمضاء ، ومن المشهور عنه في قضائه العدل في الأحكام وقلة النزق عند اختلاف الخصام .

وكان في غايته من الظرف ، إذا أقبل شمت رائحة الطيب منه على بعد وإذا غسلت ثيابه لا يكاد يفارقها ، وكان منزله كأنه الجنة ، حتى وجد فيه أعداؤه مطعنا ، ورفعوا للمنصور أنه غير حافظ للناموس الشرعي بكثرة تغزله واشتہار مقطعاته وانهاكه في العشق » (202) .

وشعره في الغزل كثير تكفيها منه هذه النماذج نوردها دليلاً على براعته في هذا الفن وعلى تأنقه في الاسلوب ، يقول (203) :

همُ نظروا لواحظها فهموا	وتشرب عقل شاربها المدام
يخاف الناس مقلتها سواها	أيدعر قلب حامله الحسام
سما طرفي إليها وهو باك	وتحت الشمس ينسكب الغمام
وأذكر قدها فأنوح شوقا	على الاغصان تنتدب الحمام
وأعقب بينها في الصدر غما	إذ اغتربت ذكاء أتى الظلام

(202) الغصون البانعة 91-92

(203) الغصون 93 والازهار ج 2 ص 366 ورسالة الشقندي (النفع ج 4 ص 196)

مشت كالغصن يشنيه النسيم	ويعمدوه النسيم فيستقيم
لها ردف تعلق في لطيف	وذاك الردف لي ولها ظلوم
يعذبني إذا فكرت فيه	ويتعبها إذا راحت تقوم
وما حيي لها إلا عذاب	عليه من نضارتها نعيم
أعيزك ياسليمي من سليم	قتلت فتاهم وهو الكريم
بلى أنت الغزالة في سناها	فراحمها بعيد ما يروم
وما لك طالب بترت نفسي	إذا قتل الغرام فلا غريم
فؤادي سار نحوك في ضلوع	بها ياريم حبسك ما يريم
وداؤك صح في قلب سقيم	كطرفك صح ناظره السقيم
إذا أعرضت تسود الأمانى	وإن أقبلت تبيض الهموم

وقال ابن سعيد معلقاً على قوله في البيتين الثاني والثالث من هذه القصيدة بأنه « اشتهر في الغرب والشرق (205) » كما علق على المقطوعة قبلها بأنها « مما هو داخل في كنوز المعاني (206) ». ويبدو أن الشاعر الأغماقي وجد في إطار الموشحة مجالاً مناسباً لغزله إلى حد قال عنه ابن سعيد بأن « له موشحات يغنى بها في الأقطار (207) ». والأسف أنه لم يذكر له منها إلا قوله :

حسانة رخيصة	عانقت منها البانة*
والنقى الرجراج	واشوقي لحسانه*

(205) الغصون 93

(206) نفس المصدر .

(207) نفس المصدر .

أما شعره الذي سلك فيه الخط المذهبي فقليل بالقياس إلى شعره الذاتي .
ومن أهم ما وصلنا منه قصيدة (208) قالها في مدح يوسف وتهنئته ببيعته الثانية
أولها :

ألا هكذا تبني العلا والمآثر وتسمو إلى الأمر الكبير الأكبر
نؤم لبيعات الرضا مطلع الهدى وحيث الهدايا تعلى والأوامر

وقصيدة (209) يمدح فيها المنصور ويهنئه بالنصر في وقعة الأرك ، يقول فيها :

أطاعتك الذواويل والشفار ولبئى أمرك الفلك المـدار
ببشرى مثل ما انفتحت رياض وسعد مثل ما وضع النهار
وفتح مثل ما انفتحت كمام وشقت عن صدور مها صدار
وآمال كما مدت ظلال وأفعال كما مدت بحار
وأعلام بنصرك خافقات لها في كل جو مستطار
ليهنى أرض أندلس بدور من السراء ليس لها مرار

ولعل أشهر قصائده وأروعها وأكثرها تعبيراً عن روح الدعوة الموحدية
قصيدته (210) التي مدح فيها يوسف بن عبد المؤمن والتي استهلها بأبيات
أدارها ببراعة على عد (سبعة) الرموز عند الشيعة - وخاصة منهم
الاسماعيلية - إلى أسرار كثيرة يقول فيها :

الله حسبك والسبع الحواميم تغزو بها سبعة وهي الأقاليم
سبع المثاني التي لله قمت بها عليك من نصرها نص وتقديم

(208) الأزهار ج 2 ص 366 .

(209) الغصون 96 .

(210) الأزهار ج 2 ص 362 - 343 - 364 .

وأنت بالسور السبع الطوال على
والدهر سبعمته وسبعة جعلت
وسبعة الشهب لم تحفل بها ثقة
تسمو بنفس على السبع السداد سمت
أنوار عدلك في الآفاق داعية
أعلى بك الله أعلاماً هديت بها
عليك أهل الهدى والحق متفق
وفيهما يقول :

إن الخليفة سر الله ظاهراً
فسلموا واخلعوا الآراء واتبعوا
آياته وهو عند الله معلوم
حكم الامام ، فما في الدين تحكيم

.....

عز الإمام فلا تضرب به مثلاً
أعطى الوري فضل ما أعطاه خالقه
من ذا يقاس به والمثل معدوم
عليه من ربه بشرى وتسليم
ذاك الرحيق بهذا المسك مختوم
صل بالصلاة عليه صدق مدحته

5 - شعراء كانوا يسرون في الخط المذهبي ولكنهم أدركوا الاضطراب
الذي تعرضت له دعوة المهدي ، وكان لهم رأي في التناقض المذهبي الذي ظهر
في أواخر الدولة ولا سيما على عهد المأمون . فالتجهموا إلى المنهل الديني يستوحون
منه في روح تصوفي ، وكأنهم أحسوا ببدء انهيار الدعوة والدولة معاً فمالوا إلى
هذا الاتجاه هروباً من الواقع المفجع وبحثاً عن سبيل للسكون والخلاص .
ولعل ميمون بن خبازة (211) أبرز شعراء هذه الفئة . قال عنه المقري نقلًا

(211) التوفى بالرباط سنة سبع وثلاثين وسبعمائة . انظر فيه الأزهاري ج 2 ص 378 والجذرة =

عن الذيل والتكلمة « كان من أكبر أعاجيب الدهر في سرعة البديهة ناظماً أو فائراً مع الإجابة التي لاتجارى والتفنن في أساليب الكلام، معربه وهزله، على اختلاف اللغات، تطور كثيراً وتصفون ونسك ووعظ وكان في آخر عمره جانحاً إلى امتداح ملوك عصره فكان يأتي في ذلك بما لم يسمع بمثله ولا يطمع في لحاقه سرعة ارتجال وحسن افئنان وسرعة امتثال . وله في ذلك أخبـار غريبة عريقة (212) » .

ومن شعره المذهبي قصيدة لم يصلنا منها غير بيتين يقول فيها (213) :

وجد النبوة حلة مطوية لا يستطيع الخلق نسجَ مثاها
فأسر حسواً في ارتقاء يبتغي بحاله نسجاً على منوالها

وقد « قال هذه القصيدة في المأمون بن المنصور حين تبرأ من إمامهم المهدي وأبدى مساويه وأسقط اسمه من الخطبة وهو المعني بقوله : وجد النبوة حلة مطوية (214) .

كذلك يظهر موقفه من الصراع الذي دار بين الموحدين في أواخر دولتهم قصيدته التي أورد منها المقرئ ثلاثة أبيات بعد أن قال : « وحكي أن المعتصم يحيى بن الناصر بن المنصور الموحدي ضرب بظاهر مراکش قبة حمراء فبادر إليها العرب والنصارى من عسكر عمه المأمون فقطعوا أطناها فقال في ذلك أبو عمرو هذا من قصيدة :

= 208 والاغتباط ج 2 ص 84 وذكريات المشاهير عدد 7 والقصيدة ص 540 وموشحات مغربية ص 123 .

(212) الازهار ج 2 ص 379 .

(213) المصدر السابق .

(214) المصدر السابق ص 380 .

انظر إلى القبة الحمراء ساقطة
 من كان أولى بها إن كنت ذا بصر
 ولما سجدت لما سمت وغدت
 لما رأت مضر الحمراء عن كذب
 المعجم أو معدن العليا من العرب
 فوق الضلال وكانت أعجب المعجب (215)؛

وينتجلى لنا اتجاهه الذاتي في قصيدته (216) التي يعبر فيها عن الحنين إلى
 أحبائه والتي نورها هنا لزوعة الصنعة البديعية فيها :

هب النسيم ضحى ففاح المنديل
 أسرى عليلاً فاستحث إلى الصبّا
 يهوى الغدير وساكنيه ومن له
 ما شام برقاً بالفضا إلا انبرى
 والبرق في نقع السحائب سيفه
 فكان ذلك البرق واشٍ قد مشى
 وأنا القداء لجيرة نزلوا الحمى
 وتحملوا يوم الفراق وإنما
 قبسوا ومن قلب المعضب موقد
 ما هزّهم إذ أعرضوا لو عوَضوا
 حلوا الجمال على الجمال كأنما
 أبدت لنا حلتي الطلّسى وتبسمت
 ومن المعائب أن أهيم بجنة
 ويهان مرسل فاظري في حبها
 وتأرجت منه الصبّا والشمال
 صبّاً بأنفاس الصبّا يتعلل
 لو كان يدنو منه ذاك المنزل
 شوقاً على جمر النفضى يتعملل
 سيف الكميّ إذا يكر ويحمل
 بنميمة والرعد لاح يعذل
 ورحمى القلوب هو الحمى والمنزل
 بقلوبنا يوم الفراق تحمّلوا
 وردوا ومن جفن المعنى منهل
 للوصل أو ذكروا اليهود فأقبلوا
 أفلاكها منها الأهله تكل
 زهراً فراق مقلّد ومقبّل
 حلت بقلبي وهو نار تشعل
 ومن التناقض أن يعزّ المرسل

(215) الازهار ج 2 ص 382-383 .

(216) المصدر السابق ص 383 .

أما شعره الديني فيتمثل في قصيدة مديحية طويلة (217) مطلعها :

حقيق علينا أن نحبب المعاليا لنثني في مدح الحبيب المعانيا
وفيهما يقول ماحياً ما سبق له من مدح للحكام :

سهوت بمدح الخلق دهري فهذه سجودي لجبري كل ما قلت ساهياً
فلا مدح إلا للذي بمدحـه تطيع إذ ما كنت بالمدح عاصياً
رسول براه الله من صفو نوره وألبسه برداً من النور ضافياً

* * *

ولسنا بعد هذا نريد أن نضيف شيئاً في الحكم على هذا هذا العصر ، فذلك ما سنؤجله إلى حين الحديث عن شعر أبي الربيع وخصائصه ؛ ونود أن نختم هذا الفصل بكلمة عن النشر . وأول ما نلاحظه أنه تنوع في عهد الموحدين ليشمل الخطابة والمناظرة والتأليف والرسائل . أما الخطابة وقد برز فيها المهدي إبان دعوته فتتسم بالسهولة والتأثير والإقناع بالاعتماد على القرآن والحديث . وأما المناظرة فكذلك لمع فيها نجم ابن تومرت خاصة حين كان يجادل فقهاء المرابطين ويحاول إقناعهم بأرائه . ويمكننا من خلال الكتب التي ألفت في هذا العهد ، وفي طليعتها « أعز ما يطلب » أن نلاحظ أن أسلوب التأليف كان ميالاً إلى السهولة وإن تخللته بعض السجعات العفوية في محاولة للتحليل والتعليل والتعداد والاقتراس من القرآن والحديث . ومثل هذا نستطيع قوله عن الرسائل حيث إن المتصفح لما ورد منها في القسم الأول من كتاب « أخبار المهدي » وللمجموع « رسائل موحدية (218) » لا يلبث أن يلاحظ أسلوبها الواضح الجزل

(217) المصدر السابق ص 384 والجذوة ص 209 .

(218) اعتنى بنشره ليفي برونسفال ضمن مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية سنة 1941 وهو يضم سبعة وثلاثين رسالة رسمية اقتبسها الناشر من مخطوط كان في ملك المستعرب =

البسيط ومحاولة تحسينه بالسجع ، وأن يلاحظ أنها تسير في الغالب على هذا النحو :

- تبدأ بهذه العبارة : من أمير المؤمنين (مع الدعاء له) ... إلى ...
- البعدية .
- التحميد .
- الصلاة على الرسول والآل والأصحاب .
- ذكر المهدي والثناء عليه .
- بدء الرسالة الحقيقي حيث الدخول إلى الموضوع .
- ذكر مكان الإرسال .
- الانتهاء بالتاريخ .
- الطول (حسب اقتضاء الحال وإن كان هو الغالب) .

= جورج كولان وأضاف إليها رساله (هي العاشرة) نقلها من صبح الاعشى (ج 6 ص 443 ط الاميرية بالقاهرة) . أما كتاب هذه الرسائل فهم :

- 1 - أبو جعفر بن عطية القضاعي المراكشي (517 - 553) وله في المجموع ست عشرة رسالة كتبها عن عبد المؤمن .
- 2 - أبو عقيل بن عطية (520 - 553) حيث قتل مع أخيه أبي جعفر .
- 3 - أبو الحسن عبد الملك بن عياش القرطبي (ت سنة 568) .
- 4 - أبو الحكم علي بن محمد المرخي .
- 5 - أبو القاسم بن عبد الرحمن القالي .
- 6 - أبو الفضل جعفر بن محمد بن محشرة (541 - 598) .
- 7 - أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز بن عياش التجيب (550 - 618) .

ويحذر بنا أن نشير هنا إلى أن المنصور كان في الكتابة يميل إلى الإيجاز ،
فقد قال في مجلس مهنثيه بالانتصار في غزوة الأرك « الفتح أعظم من الإطناج
في وصفه ، وأمر الكاتب أبا الفضل بن أبي الطاهر وأكد عليه أن يوجز الكتب
في هذا الفتح غاية الإيجاز ولا يسلك في العبارة عنه مسلك شيء مما تقدم من
أوصاف الفتوحات وأن ينحرف فيه منحى كتب الصحابة رضي الله عنهم في
فتوحاتهم (219) » .

الباب الثاني

حياته وشعره

الفصل الأول

حياته

على الرغم من ان أبا الربيع كان أميراً من أمراء الدولة الموحدية ، ولي فيها عدة مناصب عالية ، وعلى الرغم من أنه كان أديباً له مكانته بين أدباء هذا العصر - فإنه لم يحظ من المؤرخين - سواء منهم معاصروه أو غيرهم - بما يستحق من عناية وتقدير ، وأكاد أقول إنه لقي بعض الإهمال .

والمتمصفح لكتاب « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » وهو من أهم الكتب التي أرخت للأدب والسياسة في هذا العصر ، لا يعثر على ذكر لأبي الربيع إلا ثلاث مرات : الأولى عند حديثه عن بجاية (1) قال : « ... كان الوالي عليها أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن (2) » . أما الثانية فإثناء كلامه على محمد بن عبد ربه الكاتب حفيد صاحب العقد ، قال : « كان يكتب لأبي الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن ، وكان يختص به » . وأما الثالثة ففي ختام حديثه عن ابن عبد ربه حيث اتهم أبا الربيع بأنه ليس صاحب الشعر

1) مدينة على ساحل البحر المتوسط اسمها الفينيقيون وكانت تسمى صالمة ثم أصبحت على عهد الرومانيين تسمى صلداى . جدد بناءها الناصر بن علناس ابن زيري الصنهاجي سنة 457 هـ وسماها الناصرية . وقد سميت بجاية بعد ذلك نسبة للقبيلة البربرية التي كانت ترابط بها . أصبحت عاصمة بني حماد في عهد المنصور بن الناصر الحمادي ، واحتلها عبد المؤمن سنة 1152 م . أحلتها الأسبان ثم الاتراك سنة 1555 م . ثم الفرنسيون سنة 1833 م . أنظر كتاب الجزائر لاحد توفيق المدني ص 196 - 197 والبكري ص 82 وعنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبيري .

2) المعجب ص 170 .

3) المعجب ص 297 .

المنسوب إليه وأن هذا الشعر لابن عبد ربه نخله إياه . وهذه لاشك تهمة خطيرة ألصقتها المراكشي بأبي الربيع سنضعها في الميزان ونبحث أسبابها حين نتناول موضوع شعره . ولعله من المؤسف ان يتخذ المراكشي مثل هذا الموقف السلبي من شاعرنا الأمير ويحجم عن تفصيل الحديث عن حياته وشعره في وقت أبدى عناية بمن هم دونه مكانة وأدبا .

وقد عرفنا بأبي الربيع جامع ديوانه محمد بن عبد الحق الغساني فذهب إلى انه « من حلى بمحاسنه عاطل الدهر وفخر يحميل مناقبه وكريم ضرائبه لسان الزمان والعصر الذي أحيا من العلوم ما كان مواتاً، ونشر منها ما أعاده الإهمال رفاتاً، وطلقه الناس بتاتاً السيد الأجل الأكل الهمام الاسنى الأفضل أبو الربيع ابن السيد المعظم الملك المكرم أبي محمد بن سيدنا الامام الخليفة الرضي أمير المؤمنين أدام الله سعده وأثل مجده وأورى في الآراء قدحه وزنده (4) » .

ثم وصفه فقال :

« فله ما شاهدته من محاسن يقصر عن إحصاء تعدادها ذكرى
فمن سؤدد جم وحلم ورأفة ووطاة اكناف ومن نافل غمر
خلائق كان الدهر عطلاً فصاعها وحلى بها جيد السيادة والعصر

وكثيراً ما أخذ خدمته بحضرته التي هي مجتنى الآداب ومحل أولي الحجا والألباب في فنون النظم وحرر النشر والكلام فكان فسح الله أمدّه وأعلى كعبه المجلسي في ذلك، الطلق الحائز لحصال السبق... ولا زالت حضرته السامية وكعبة مجده العالية مبلّغ الآمال وظنة القصاد والسؤال ومحط الركائب والرجال-موقاة صروف الزمان، مكلاة من طوارق الحدّثان، ما بقي الملوان وتعاقب الجديدان بحول الله تعالى ، .

ويعتبر ابن سعيد أول من سجل في إنصاف حياة أبي الربيع الأديب ، فقد أفرد له ترجمة في « الغصون البانعة » (5) ذكر فيها انه « السيد (6) أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن ، والده أكبر اخوته وهو الذي حاصر مدينة تونس (7) وغض منه اخواه أبو يعقوب (8) وأبو حفص (9) بعد وفاة أبيهم فزعموا أنهما دسا إليه جارية جميلة سمته في خرقه الجماع ، وكان حينئذ والياً على بجاية ، وولى ابنه هذا الاقليم ، فأخرجه منه علي الميورقي (10) ، وتنقل في الولايات كبلنسية وسجلماسة . وحيث كانت ولايته اجتمع إليه أهل الأدب واشتهر مكانه ، فقد كان متميزاً في قومه عالماً فيهم بهذا الشأن ، وقد اشتهر اختصاره للأغاني وديوان شعره بمجموع بأيدي الناس (11) » .

وبعد أن أشار الى جفوة المنصور له وعفوه عنه ، نقل ما كتب عنه الشنقدي في معجمه فقال : « وذكره الشنقدي في معجمه فأطنب في الثناء عليه وقال : هو من مفاخر بني عبد المؤمن ، وأحله منهم محل ابن المعتز من بني العباس وابن المعز من العبديين . وقال : كان قديراً على النظم حافظاً للآداب جواداً لمن يتعلق بأدنى سبب يحب رعيه ، وخبرته فوجدته يجود في أكثر الأوقات بما لا يساعد عليه الزمان . قال : ولقد قلت له يوماً : يا سيدنا تكلفون أنفسكم ما لا يساعد عليه الوقت ، فضحك وقال : اتنا نغالب الزمان فيما

(5) هي الترجمة الرابعة من تراجم سنة أربع وستائة من ص 131 الى 134 .

(6) كان يطلق لقب السيد عند الموحدين على الامراء .

(7) سنة 553 هـ .

(8) هو الخليفة ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن .

(9) هو ابو حفص عمر بن عبد المؤمن .

(10) هو علي بن اسحق بن غانية .

(11) الغصون البانعة ص 131 .

نتكلف ونرجو من فضل الله الا يغلبنا (12) ، ثم أورد له أبياتاً من شعره وختم الترجمة بقوله : « وكانت وفاته سنة اربع وستمائة » (13).

كذلك ذكره ابن سعيّد بإيجاز في « الرايات » ضمن ملوك وشعراء المائة السادسة حيث قال : « ديوان شعره مشهور ولم أجد فيه ما يشفع له في هذه المجموعة غير قوله وقد هجره منصور بن عبد المؤمن فوافق ان وفد من الشام غزو عرب ونزلوا بالقرب من الحضرة واستأذنوا في كيفية القدوم : يا كعبة الجود ... الخ الأبيات ، فلما وقف المنصور على هذه الابيات رضي عنه وأمر له بأن يتقدم بهم للسلام عليه » (14).

ولم يكتف ابن سعيّد بهذا الذي كتب عن أبي الربيع في « الرايات والغصون » فسجل له ترجمة في « المغرب » نقل المقرئ منها في نفح الطيب أنه « لم يكن في بني عبد المؤمن مثله في هذا الشأن الذي نحن بصدده ، وكان تقدم على مملكتي سجلماسة وبجاية ، وكان شاعراً أديباً ماهراً ، وشعره مدون وله ألغاز » (15) ثم أورد له بعض أبيات من شعره .

وقبل أن ينقل المقرئ كلام صاحب « المغرب » نقل ما كتبه السرخسي (16)

(12) الغصون اليانعة ص 132 .

(13) الغصون اليانعة ص 134 .

(14) الرايات ص 98 .

(15) نفح الطيب الجزء الرابع ص 105 .

(16) هو شيخ الشيوخ في دمشق تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه الحراساني . ولد في الشام سنة 573 هـ ، وهو « أحد الفضلاء المؤرخين المصنفين . له كتاب في ثمان مجلدات ذكر فيه أصول الأشياء ، وله : « السياسة الملوكية » صنفها لذلك الكامل محمد ... وقد سافر الى بلاد المغرب سنة ثلاث وتسعين ، فأقام هنالك الى سنة ستائة وقدم مصر وولي مشيخة الشيوخ بعد أخيه صدر الدين بن حمويه ... =

في رحلته عند ذكره لأبي الربيع قال : « اجتمعت به حين قدم الى مراکش بعد وفاة المنصور يعقوب لمبايعه ولده محمد ، فرأيتـه شيخاً بهي المنظر حسن الخبر فصيح العبارة باللغتين العربية والبربرية » (17).

وفي نهاية حديثه عن أبي الربيع ذكر له الرحالة المشرقي أبياتاً من قصيدة مدح فيها المنصور مطلعها :

هبت بنصر كم الرياح الأربع وجرت بسعدكم النجوم الطلّع

والايات التي استعطفه بها بعد جفوته له ، كما أورد له جواباً على رسالة بعث بها إليه ملك السودان ينكر عليه تعويق التجار هذا نصه : « نحن نتجاوز بالاحسان وإن تخالفنا في الأديان ، ونتفق على السيرة المرضية ونتألف على الرفق على الرعية ، ومعلوم ان العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة ، والجور لا تعانیه إلا النفوس الشريرة الجاهلة ، وقد بلغنا احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف فيما هم بصدده . وتردد الجلالة الى البلد مفيد لسكانها ومعين على التمكن من استيطانها ، ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكننا لا نستصوب فعله ، ولا ينبغي لنا أن ننهي عن خلق ونأتي مثله ، والسلام » (18) ، كذلك ذكر له توقيعاً إلى عامل كثرت الشكاوى منه هذا نصه : « قد كثرت فيك الأقوال واغضائي عنك رجاء أن تتيقظ فتصلح الحال ، وفي مبادرتي إلى

وقد سجل في رحلته « عجائب شاهدها بالغرب ومشايخ لقبيهم ... » وفيها يقول : « وقد دخلت الغرب من الاسكندرية في البحر ودخلت مدينة مراکش أيام السيد الامام أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي فاتصلت بخدمته ».

انظر النفح الجزء الرابع من 96 الى 108 .

(17) النفح الجزء الرابع ص 103 .

(18) النفح الجزء الرابع ص 103

ظهور الإنكار عليك نسبة إلى شر الاختيار وعدم الاختبار ، فاحذر فإنك على شفا جرف هار » (19) .

وقد نقل كلام السرخسي الوارد في النفح أبو القاسم الزباني في كتاب « الروضة السلمانية » (20) كما نقله جامع الكناش المسمى « واسطة العقدين » (21) .

ولم يكن السرخسي هو المشرقي الوحيد الذي تحدث عن أبي الربيع ، فقد نقل صاحب « النفح » أن الفقيه أبا عبد الله محمد القسطلاني قال : « دخلت إلى السيد أبي الربيع بقصر سجداسة وبين يديه أنطاع عليها رؤوس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجداسة وغانة وهو ينكت الأرض بقضيب من الآبنوس ، ويدقول :

ولا غرو أن كانت رؤوس عداته جواباً إذا كان السيوف رسائله
ومات بعد السجدة رحمه الله تعالى » (22) .

كذلك نجد إشارات إلى أبي الربيع في بعض كتب التاريخ كالبیان المغرب حيث تحدث عنه ابن عذاري في الفصل الخاص بدخول ابن غانية إلى بجاية (23) وكان قبل ذلك وصفه بأنه « من الشعراء المجيدين ... له أشعار كثيرة موجودة تدل على حذقه » (24) .

(19) النفح الجزء الرابع ص 103

(20) الورقة 64 و 65 .

(21) ج 2 ص 407 - 408 .

(22) النفح الجزء الرابع ص 104 .

(23) ج 3 ص 146 - 147 - 148 .

(24) المصدر السابق ص 100 .

ومثل هذا نقرأه عند ابن خلدون الذي ذكر أبا الربيع أثناء تناوله لاستيلاء ابن غانية على بجاية (25) كما ذكره بعد ذلك (26) مشيراً إلى وفاته وإلى تجديده لقصر الربيع بهذه المدينة .

وربما كانت الترجمة التي أوردها له جامع كناش « واسطة العقدين » نقلاً عن « بعض التأليف » على قصرها في غاية الأهمية حيث أشار إلى بعض شيوخه ومجيزيه وإلى وفاته بتاريخ محدد (27) .

وغير هؤلاء لا نجد من يسجل حياة أبي الربيع غير اثنين من المؤرخين المغاربة المعاصرين هما : الأستاذ محمد المتوني والأستاذ عبد الله جنون .

أما الأستاذ المتوني فقد خصه في كتابه « العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين » بترجمة قصيرة (28) اكتفى فيها بالإشارة إلى بعض مصادر شعره وإلى القضية التي أثارها المراكشي حول شعر أبي الربيع مع تحفظه عن ابداء رأيه كما سنرى بعد .

أما الأستاذ جنون فأرخ لشاعرنا ثلاث مرات :

الأولى في كتابه « النبوغ المغربي في الأدب العربي » حيث ترجم له في بضعة سطور (29) ذاكرًا أنه « صاحب السيف والقلم الأمير أبو الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن الكومسي الموحدي . كان من الكتاب البلقاء والشعراء المجيدين وهو أديب بني عبد المؤمن وذاقتهم الفذ، درج في بيت الرئاسة والملك ولم

(25) ج 6 ص 242 - 243 - 244 .

(26) المصدر السابق ص 249 .

(27) ج 1 ص 327 .

(28) العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين ص 161 و 162 .

(29) النبوغ المغربي في الأدب العربي الجزء الأول ص 168 .

يمنعه ذلك من الاشتغال بالأدب والاكباب على التحصيل، فنشأ متأدباً أريحياً يتمشق المجد ويصبو إلى العلى . وما لبث أن قدم إلى ولاية بجاية من قبل ابن عمه الخليفة يعقوب المنصور . ولما ثار بها علي بن غانية نقل إلى ولاية سجلماسة . وكان في كلتا ولايتيه كعبة القصاد من أدباء البلاد يأتونه عاقدى الآمال على أطافه وبره فيصدرون عنه وكلهم ألسنة مدح وثناء عليه .

وفي الجزء الخاص من « النبوغ » بالمختارات الشعرية أورد (30) المؤلف مقتطفات من شعر أبي الربيع سنشير إلى مواطنها عند تحقيق الديوان .

الثانية في كتيبه المسمى « أمراؤنا الشعراء » حيث أورد (31) لأميرنا مختارات من شعره في المدح والوصف والنسيب ذيلها بكلام صاحب المغرب عنه وبرسالته النثرية التي سبق أن أوردناها .

الثالثة في جزء من « ذكريات مشاهير رجال المغرب » (32) خاص بأبي الربيع جمع فيه بالإضافة إلى مقتطفات من شعره أغلب ما ورد عنه في « المغرب » و « الغصون الياضنة » و « نفح الطيب » . وأهم ما في هذه الترجمة مناقشة الأستاذ جنون في آخرها للتهمة التي ألصقها المراكشي بأبي الربيع ودفاعه عن الشاعر في كثير من الحماس كما سنرى عند عرض التهمة .

وكان يبدو أن الأستاذ محمد الفاسي قد تعرض لشاعرنا وديوانه في إحدى مقالاته التي كان ينشرها عن العصر الموحدى في مجلة « الثقافة المغربية » فقد قال متحدثاً عن أبي الربيع بأنه « من الشعراء المجيدين وقد دُونت أشعاره كما ستراه

(30) « النبوغ المغربي في الأدب العربي » الجزء الثالث ص 54 - 194 - 247 .

(31) « أمراؤنا الشعراء » من ص 27 الى ص 32 .

(32) « ذكريات مشاهير رجال المغرب » - الأمير سليمان الموحدي .

ان شاء الله عند تعرضنا للآثار الأدبية في هذا العصر « (33) ولكنه أكد لي أنه لم ينشر أي شيء عن أبي الربيع وأنه ألقى عنه حديثاً من إذاعة فاس الجهوية في يونيو 1941 ، تناول فيه جوانب من عصر الموحدين وحياة الشاعر ومقتطفات من شعره ، وهو حديث جامع تفضل الأستاذ الفاسي فوافاني بنسخة منه .

هذه هي المصادر التي هدانا البحث إليها للتعرف على حياة أبي الربيع ، وهي مصادر قليلة وثاقصة لم تتناول من هذه الحياة غير جوانب محدودة ، سنحاول استناداً إلى بعض معالمها أن ننسج خيوطاً لعلها أن تكمل رسم صورة حياة الشاعر .

* * *

وأول ما يلفت نظر الباحث في هذه المصادر انها أغفلت جميعها الإشارة إلى تاريخ ميلاد الشاعر ونشأته وما قد يلقيان على شخصيته من أضواء . ولعلنا نستطيع أن نستنتج من المعلومات التي عندنا أنه من أقران الخليفة المنصور ، وربما كبره بقليل ، فهو ابن عمه ووالده أكبر اخوته ، وقد وجدده السرخسي حين قدم إلى مراکش بعد وفاة المنصور « شيخاً بهي المنظر » (34) . وإذا عرفنا أن المنصور توفي سنة 595 ولما يكمل الخمسين ، وإذا عرفنا كذلك أن أبا الربيع عند وفاة عمه كان كما يصفه السرخسي في رحلته - استطعنا أن نحدد تاريخ ميلاده ونجعله بين سنة 530 وسنة 540 هـ .

والذي لا شك فيه أنه قضى طفولته أو جزءاً منها على الأقل في بجاية خلال

(33) الثقافة المغربية عدد غشت 1941

(34) النفع الجزء الرابع ص 103

الفترة التي كان أبوه فيها والياً على بجاية ، وقد امتدت من سنة 547 (35) إلى 560 وهي سنة وفاته (36) حيث توفي وهو ما يزال في ولايته . ولعله في هذه الفترة تلقى تعليمه على الشيوخ المحليين وعلى العلماء الذين كانوا معينين لمساعدة والده في مهمته ، حيث ان عبد المؤمن حين « ولى السيد أبا محمد عبد الله بجاية وجه معه الشيخ أبا سعيد يخلّف ابن الحسين والكاتب أبا بكر ابن جيش » (37) .

ومن المؤكد بعد وفاة عبد الله أن يوسف بن عبد المؤمن كفل أهله وأولاده (38) . وهذا ما يرجح عندنا ان أبا الربيع نشأ وترعرع في بيت الملك والرياسة ، وأنه تلقى تعليمه بالمدرسة الملكية التي كانت مخصصة لتربية الأمراء الموحدين ، وهي مدرسة « تمتاز بمبالغة الخلفاء الموحدين في اختبار اساتذتها الذين تذكر منهم على سبيل المثال أبا العباس أحمد ابن عبد الجليل التدميري (39) . . . وأبا العباس أحمد بن حسن بن سيد الجراوي المالقي (40) . . . وأبا محمد عبد الله بن أحمد بن محمد اللخمي الاشبيلي المعروف بابن علوش (41) وأبا محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الأنصاري الحارثي

(35) المعجب 206 - 207

(36) البيان المغرب ج 3 ص 60 .

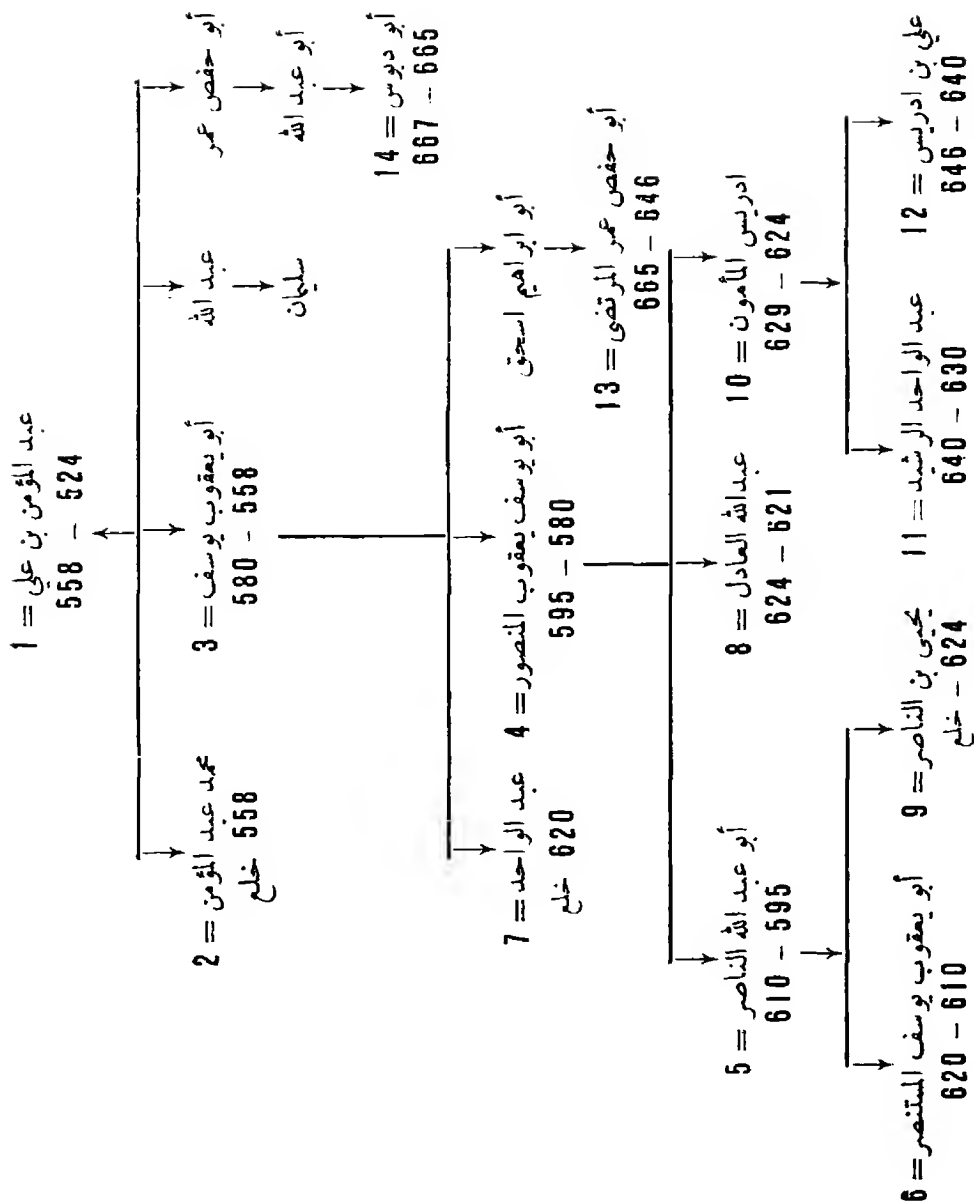
(37) الحلل 115 .

(38) انظر المن بالامامة ص 239 حيث قال : « وآرى جملته وأهله » .

(39) المتوفى سنة 555 .

(40) المتوفى بعد سنة 560 .

(41) المتوفى بعد سنة 599 .



البلنسي (42) ... وأبا الحسن علي بن محمد بن يوسف الفهري (43) اليابري
الضري (44) .

ولعل منهاج هذه المدرسة لم يكن يختلف عن منهاج مدرسة الحفاظ
الموحدين ، فقد رباهم عبد المؤمن « بحفظ كتاب الموطأ وهو كتاب أعز ما
يطلب وغير ذلك من توالييف المهدي ، وكان يدخلهم كل يوم جمعة بعد الصلاة
داخل القصر فيجتمع الحفاظ فيه وهم نحو ثلاثة آلاف كأنهم أبناء ليلة من
المصامدة وغيرهم ، قصد بهم سرعة الحفظ والتربية على ما يريد . فيأخذهم يوماً
بتعليم الركوب ، ويوماً بالرمي بالقوس ويوماً بالعموم في بحيرة صنعها خارج بستانه
مربعة طول تربيعها نحو ثلاثمائة باع ، ويوماً يأخذهم بأن يجذفوا على قوارب
وزوارق صنعها لهم في تلك البحيرة . فتأدبوا بهذه الآداب تارة بالطاء وتارة
بالأدب وكانت نفقتهم وسائر مؤنتهم من عنده وخيلهم وعددهم كذلك » (45) .

وليس مستبعداً أن يكون أبو الربيع قد حضر حلقات التدريس في جامع
مراكش وما كانت تزخر به من شتى ألوان العلوم والفنون ، وليس مستبعداً
كذلك أن يكون قد رحل الى فاس والتحق بجامعة القرويين ، وكانت إذ ذاك
ناهضة بسائر فروع المعرفة يفد الطلاب والعلماء اليها من مختلف الأقطار .

ومن المؤكد أنه كان ملازماً للمجالس العلمية والأدبية التي كان يعقدها الخلفاء
والتي كانت تحفل بألوان مختلفة من المذاكرة في العلم والأدب والطب والفلسفة .
ولعله كان يأنس لمجلس عمه يوسف بن عبد المؤمن وما كان يمتاز به من مناظرات
فلسفية وطبية ، بل إنه سار على طريقته في جمع الكتب وتقريب العلماء وحشهم

(42) 549 - 612 هـ .

(43) المتوفى سنة 617 هـ .

(44) العلوم والفنون والآداب عن عهد الموحدين ص 24 .

(45) الحلل الموشية ص 125 .

على البحث والتأليف ، فهو الذي طلب من ابن رشد أن يشرح ألفية ابن سينا (46) في الطب ، كما طلب من ابن بشكوال (47) أن يؤلف « كتاباً عن شيخ ابن وهب ومناقبه » (48) . وهذا ما حفز جامع ديوانه محمد بن عبد الحق الغساني أن يكتب عنه في مقدمته أنه « أحيا من العلوم ما كان مواتاً ونشر منها ما أعادد الاهمال رفاتاً وطلقه الناس بتأبتاتاً » (49) .

ومثل هذه الدعوة إلى البحث والتأليف لا تكشف لنا عن روح الشاعر العلمي فقط ، بل تكشف لنا كذلك عن مدى ثقافته التي يزيد في ابراز ملامحها الأدبية والتاريخية تلخيصه لكتاب « الأغاني » (50) وما أفاد من أشعاره

(46) هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسن بن عبد الله ولد عام 370 هـ (980) بأفشنه بالقرب من بخارى ، وتوفي في همدان عام 428 هـ (1037 م) كان اماماً في الطب والطبيعات والاهليات . له « كتاب الشفاء » وهو دائرة معارف فلسفية ، و « القانون في الطب » وهو كتاب هام ظلت تدرسه جامعات أوروبا حتى القرن الثامن عشر . انظر دائرة المعارف الإسلامية (المجلد الاول ص 203 فما بعدها) والمراجع المذكورة .

(47) هو ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال الانصاري القرطبي ولد سنة 494 هـ وتوفي سنة 578 هـ . انظر تذكرة الحفاظ للحافظ الذهبي ج 4 ص 128 - 129 والديباج المذهب لابن فرحون ص 114 وكتاب الصلة ج 1 (مقدمة الناصر عزت العطار الحسيني) .

(48) انظر الجزء الخاص بأبي الربيع من ذكريات مشاهير رجال المغرب صفحة 16 . والمقصود بان وهب هو عبد الله بن وهب صاحب الامام مالك ومؤلف « الموطا الصغير » و « الموطا الكبير » . ولد سنة 744 وتوفي سنة 813 م .

(49) انظر مقدمة الديوان .

(50) هذا التلخيص غير مذكور ضمن تلاخيص « الأغاني » المعروفة . وقد عثر مؤخراً في خزانة جامعة القرويين على الجزء الأول منه باسم « مختصر الأغاني » وهو مقيد تحت رقم 246 (ق 154) . انظر قائمة نادر مخطوطات خزانة القرويين ص 56 حيث كتب انه « من أغرب الغرائب التي ما سمع بها سامع ولا تحدث عنها متحدث » .

وأخباره ، لما قد اضطر اليه في معاناة هذا التلخيص من قراءات متعددة للكتاب والرجوع إلى دواوين الشعراء قصد التحقق من صحة نص بعض الأشعار . وقد أشار أبو الربيع في مقدمة مختصره إلى ما لجأ إليه في هذا الصدد فقال : « ... فتصفحناه مراراً واستعدنا ... فرأينا فيه ... تكراراً يجب حذفه منه ... إلى دواوين شعرية عدة ... استعنا بها على ... ما صحفه الناسخون ... » (51) ولو لم تكن ورقة المقدمة منمحية بهذا الشكل الذي يحول دون اتمام قراءة النص لأفدنا منها كثيراً في هذا المضمار . ومع ذلك فقد رجعنا إلى المختصر نفسه واستطعنا بالنظر في بعض الترجمات الواردة فيه ومقارنتها بما يقابلها في الأصل (52) ان ننتهي الى أن أبا الربيع كان يحذف بعض الأصوات التي تتخلل هذه الترجمات ، كما كان يحذف سند الأخبار المتسلسل مكتفياً بذكر راويها الأول « وكان يلجأ في أحيان كثيرة إلى حذف ما كان يستطرد به الاصفهاني (53) من أخبار وأشعار لا تتعلق بصاحب الترجمة . أما فيما عدا ذلك.

(51) مقدمة المختصر الورقة الأولى.

(52) اعتمدنا في المقابلة على طبعة دار الكتب المصرية . وقد كانت المقارنة تقتضي منا مقابلة نص أبي الربيع بنص النسخة الأصلية التي اعتمد عليها في التلخيص لولا اننا لا نعرف عن هذه النسخة شيئاً . وكل ما نعرف هو أن نسخ هذا الكتاب لم تكن متوافرة في المغرب لهذا العهد بل اننا نجد ابن خلدون في العصر الذي بعده يعبر عن صعوبة الحصول عليها بقوله في المقدمة متحدثاً عن الكتاب : « وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها وأناى له بها » (طبعة بولاق ص 285) وهذا لا يمنع من وجود نسخ من الكتاب في بعض الخزائن ولا سيما خزائن الخلفاء والأمراء . ومع ذلك فربما يكون أبو الربيع قد اعتمد على النسخة التي كان بعث بها الاصفهاني الى الحكم المستنصر مقابل ألف دينار ذهب أرسلها إليه والتي يقال انه بعث بها إليه قبل ظهور الكتاب في بغداد . وقد يكون أبو الربيع اطلع على هذه النسخة خلال مدة ولايته ببلنسية م وربما يكون هذا الافتراض مستبعداً طالما أن النسخة مصحفة كما يقول أبو الربيع ، مما يجعلها لا تكون نسخة الحكم .

(53) هو أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الاصفهاني أو الاصبهاني ولد في أصفهان عام =

فكان ينقل النص بلفظه لا يغير فيه شيئاً ، وكان إذا ما صادفته بعض الكلمات الغامضة ، يلجأ الى شرحها في هامش الصفحة . وقد كان بالود أن نورد نماذج لهذه النصوص لولا أنها تستغرق طويلاً . لذلك فقد رأينا أن نتركها الى ملحق خاص في آخر البحث ندرج فيه نص ترجمتين من المختصر مع الإشارة الى ما بينها وبين الأصل من فوارق .

وإذن فليس من شك في ان أبا الربيع بذل جهداً في تلخيص « الاغاني » وانه افاد من هذا التلخيص ما لا ريب انه زاد في ابراز ملامح ثقافته الأدبية والتاريخية .

وبالإضافة الى ذلك فالذي يبدو من استعمال الشاعر لبعض الأسماء والتعابير التي تشتمل منها رائحة صحراء الجزيرة العربية كنجد ومنى والناقة والحادي والعيس وما إليها ، انه كان يقرأ شعر القدماء وانه تأثر بقراءته لهذا الشعر ،

== 284 (897) وانتقل الى بغداد حيث درس وعاش وتوفي عام 356 (967) ويعتبر كتابه « الاغاني » أهم مرجع لتاريخ الأدب والحضارة الى القرن الثالث . وقد طبع عدة طبعات أهمها ثلاثة : الأولى في عشرين مجلداً ببولاق (القاهرة) عام 1285 والثانية بالقاهرة كذلك (طبعة السامي المغربي) عام 1905 - 1906 في واحد وعشرين مجلداً ، والثالثة في دار الكتب المصرية بدأ إصدارها عام 1928 . وقد اختار من « الأغاني » جماعة منهم الوزير الحسين بن علي أبو القاسم المعروف بابن المغربي المتوفى سنة 418 والقاضي جمال الدين محمد بن سالم المعروف بابن واصل الحموي المتوفى سنة 297 و ... ابن الزبير ... وأبو القاسم عبد الله بن محمد المعروف بابن باقيا الكاتب الحلبي المتوفى سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، والأمير عز الملك محمد بن عبد الله الحراني المسبحي الكاتب المتوفى سنة 410 وجمال الدين محمد بن عكرم الانصاري المتوفى سنة احدى عشرة وسبعمائة ، وختاره مرتب على الحروف مماء مختار الاغاني في الأخبار والتهاني . وأبو الحسن أحمد بن الرشدي ... » (كشف الظنون المجلد الأول ص 129 - 130) أنظر في ترجمة الأصفهاني دائرة المعارف الاسلامية (المجلد الأول ص 388 - 389) .

بل انا نجده مرة يذكر امرأ القيس (54) في إحدى قصائده حيث قال :

غريب ولا كالحي نرجو لقاءه ولكن غريب ما تقول غريب
بحيث شدا الكندي قبلك إلفه « أجارتنا ان الخطوب تنوب »

إشارة إلى ما حكى عن الشاعر الجاهلي من انه وهو يحتضر ببلاد الروم رأى
قبر أميرة دفنت في سفح جبل فسأل عنها ، ولما علم بقصتها قال الأبيات التي
منها هذا البيت الذي اقتبس منه أبو الربيع :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيب (55)

كذلك نجده يقتبس من القحيف العقيلي ومن المتنبي . فهو يقول في رثاء
مضمناً بيتاً للقحيف (56) ومصرحاً باسمه :

(54) هو حنيد بن حجر الكندي يقال ان أباه طرده لتشيبه بفاطمة بنت العبيد العنبرية
وانه بعد موت أبيه في وقعة مع بني اسد فقد الملك الذي انشأه جده آكل الزوار في نجد
وهام على وجهه فلحق بالملك الضليل . ويقال كذلك ان امبراطور القسطنطينية دعاه
ليستعين به على الفرس فكث عنده طويلاً ثم استعمله على الشام ، ولكنه توفي في أنقرة
أثناء رحيله لتولي منصبه . ويرى في موته ان الامبراطور أراد أن يشار لشرفه الذي
لونه امرأ القيس بتفريده بإبنته فخلع عليه حلة مسمومة فظهرت في جسمه قروح ومن
ثم عرف بندي القروح . له ديوان نشره دي سلان في باريس عام 1837 وطبع في الهند
عام 1313 هـ وفي القاهرة عام 1324 هـ مع شرح عاصم بن أيوب البطليوسي كما طبع
مؤخراً في القاهرة - دار المعارف بتحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم معتمداً على روايتي
الاصمعي والضيبي . أنظر دائرة المعارف الاسلامية (المجلد الثاني ص 622 فما بعدها)
والمراجع المذكورة .

وانظر « الاغاني » الجزء التاسع من ص 77 إلى ص 107 (دار الكتب) .

(55) انظر قصة هذه الأميرة في « الاغاني » الجزء التاسع ص 101 (دار الكتب) .

(56) القحيف بن خير بن سليم العقيلي . انظره في طبقات ابن سلام (الطبقة العاشرة من فحول
الإسلام) 592 وفي الاغاني ج 23 ص 243 (دار الثقافة - بيروت) .

يقولون صبراً ما البكاء بنافع ولا راجع من قد مضى آخر الدهر
فقلت وأجفاني تجود بنائها أما لي في قول العقيلي من عذر :
« فما تشتفي عينا من دائم البكا عليها ولو اني بكيت إلى الحشر »

ويقول في قصيدة إلى الخليفة مقتبساً عجز بيت للمتنبي (57) :

قلنا نترجم عن إخلاص حبيكم « إذا سلمت فكل الناس قد سلموا »

ويبدو من ذكره لأسماء بعض ملوك العرب والفرس القدماء في شعره انه كان
في ثقافته ملماً - إلى حد - ببعض جوانب التاريخ القديم ، فهو يذكر كسرى
وابن ساسان وعبد المدان وحاماً وتبعاً وذا يزن . يقول مخاطباً لانتته في
حب ألوف :

ولا تكثري لومي فلست بهاجر ألوفاً ولو خولت كسرى وتبعها

ويقول عن عتق الحرة :

خمرة تذكرني عهد كسرى وابن ساسان وعبد المدان

ويقول في نفس المعنى :

واسقنيها سلسيلاً عصرت من عهد حام

ويقول ملغزاً في مرمر :

57) أبو الطيب أحمد بن حسين الجعفي الشاعر المشهور (303 - 354 هـ) وبيته هو :

وما أخصك في بره بتهنئة إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وهو من قصيدة في سيف الدولة وقد عوفي ، مطلعها :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك الألم

(ديوان المتنبي ج 2 ص 226) .

يحكي حدود الغواني أو يماثلها قد كان يعرفه كسرى وذو يزن

على أنه في بعض ألغازه يحاول أن يكشف عن باعه في اللغة ومعرفته
بنوامضها ، كما يتضح من قوله :

أحاجيك ما ذكر في الصغر وأنسى يصير إذا ما كبر

كثير اللزوم لمن قد غدا يصاحبه وكثير الضرر

وإلى جانب هذه الملامح الأدبية والتاريخية واللغوية نجد اشارات إلى القرآن
الكريم كقوله ملفزاً في خيمة :

وقد جاء في التنزيل ذكر له فان تكن قد حفظت النص منه ستعرب

إشارة إلى قوله تعالى : « حور مقصورات في الخيام » (58) :

وقوله يصف الخمر :

أنزِلَها درة كاللآلي وارفعها وردة كالدهان

وهو تشبيه مأخوذ من قوله تعالى : « فاذا انشقت السماء فكانت وردة
كالدهان » (59) .

وقوله يخاطب احبابه :

أحبابنا الصبر إذا كما عهدتم بحكم الهوى صابرينا

ولا تجزعوا للصروف الزمان فعاقبة الصبر للمعتقين

إشارة إلى الآية الكريمة : « فاصبر ان العاقبة للمتقين » (60) .

(58) الرحمن 72 .

(59) الرحمن 37 .

(60) هود 49 ، والآيات القرآنية كثيرة في هذا المعنى .

وقوله متحدثاً عن حبيبته :

فإليه كل ضعف ينتهي وعليه كل حُسنٍ وقفا
قلت لما ضاع قلبي عنده حسبي الله ونِعمي وكفى

إشارة إلى الآية الكريمة : « قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون » (61) .

وقوله في إحدى زهدياته :

رب إذا ما شئت أن تهتدي لقدره فاقراً هو الله

إشارة إلى قوله تعالى في سورة الاخلاص : « قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوءاً أحد » .

وكما اقتبس أبو الربيع من القرآن الكريم فكذلك اقتبس من الحديث النبوي على حد قوله في مطلع قصيدة زهدية :

يا من غدا مؤمناً في سربٍ تعجب الآمال مغترأ به

وهو مأخوذ من الحديث : « من أصبح منكم آمناً في سرب معافى في جسده وعنده قوت يومه فكأنما ميزت له الدنيا » (62) .

كذلك نجد أبا الربيع في بيت من أبياته الزهدية هو قوله :

وما المرء إلا نائم طول دهره إذا ما انقضى عمر الحياة تنبهاً

يشير إلى قول مأثور عند الصوفية ، يظن انه حديث شريف ولكنه غير

(61) سورة الزمر الآية 38 والآيات القرآنية كثيرة في هذا المعنى .

(62) رواه البخاري في الأدب والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن محسن (انظر كشف الحفا ج 2 ص 227) .

وارد في كتب الصحاح ، هذا القول هو : « الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا » (63).

ولسنا نجد بعد هذه الملامح الأدبية والتاريخية والدينية أثراً لثقافته سوى إشارة إلى علم الفلك والتنجيم تبدو واضحة في بيتين ألغز بها في فرس الاسطرلاب ، لاشك انها تبرز لنا جانباً ولو باهتاً من ثقافته العلمية . هذان البيتان هما قوله :

لله أيّ جواد ظل مرتبطاً من تحت مربطه السبع المحيطات
إن حل يوماً تر الأفلاك ساقطة الله حسي بل السبع السماوات

اما اهتمام الشاعر بالطب فيبدو انه انما جاء نتيجة قربه من عمه يوسف واعجابه به ، اذ انه لم يلبث بعد وفاته ان تفرغ للأدب والشعر لاسيما وان الخليفة الجديد - يعقوب المنصور - كان مفرماً بالشعر يتذوقه ويشجعه وينقده . ولعل اهتمام أبي الربيع بالأدب كان يفوق اهتمامه بآثار العلوم والفنون ، ولعله كذلك كان يلمس في نفسه هذا الولوع فقد قال في مقدمة مختصره للأغاني متحدثاً عن الأدب : « ... قد ضربنا فيه بسهم وأفدنا منه بنصيب وافر وحظ عظيم ... » (64) .

ومثل هذه الاهتمامات المتنوعة بثقافة العصر تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك ما جاء في الترجمة التي نقل جامع كماش « واسطة العقدين » حيث ورد أن أبا الربيع « كان ... يتميز بطلب فضل وأدب وقد حمل الحديث عن شيوخ وقته بالاندلس والمغرب وأجاز له من الاسكندرية الإمامان أبو الطاهر بن عوف وأبو سعيد بن جابر » (65) .

(63) هو من قول لعلي بن أبي طالب وعزاه الشعراوني في الطبقات لسهل التستري (أنظر كشف الخفا ج 2 ص 312) .

(64) مختصر الاغاني : المقدمة (الورقة الأولى) .

(65) ج 1 ص 327 ،

وقد هيأته هذه الثقافة الواسعة لتحمل المسؤولية حيث تفرّس فيه المنصور القدرة على مساعدته في تسيير شئون الدولة فأُسند إليه بالتوالي ولاية بحاية وسجلماسة وبلنسية . والأسف شديد أننا لا نعرف من أخباره في هذه الولايات سوى ما يتصل بمجنته أيام توليته على بحاية وما كان لها من أثر على سلوكه حين انتقل الى سجلماسة كما سئرى بعد . اما ولايته على بلنسية فلسنا نعرف عنها شيئاً ولعل المنصور اتخذ ذلك مستشاراً له فيما يستعصي عليه من أمر على حد ما يفهم من قول أبي الربيع في مقطوعة يدحه بها :

ولأبدلن* نصحي لکم جهدي وذا جهد المقل* وما عسى ان أفعل

وإذا كانت المهام التي أسندها المنصور لابن عمه بعيداً عن العاصمة قد حالت دون ملازمة مجلسه الذي كان يضم كبار الكتاب والشعراء فإنها منحتة كثيراً الاستقلال وأتاحت له فرصة تكوين شخصيته وهيأت له ظروفاً ملائمة لاقامة مجلس خاص به . فعند ابن سعيد أنه « حينما كانت ولايته اجتمع إليه أهل الأدب واشتهر مكانه » (66) . ولسنا نعرف أخباراً عن هذا المجلس سوى ما حكاه المراكشي وابن سعيد . ففي « المعجب » ان كاتبه محمد بن عبد ربه (67) دخل عليه في أحد مجالسه وقد تسربت الشمس من كوى صغار في أعلى القبة فأطلقت بعض أشعتها عليه فقال بديها :

لما رآته الشمس يفعل فعلها في العالمين مقاسماً ومساهماً

خافت توالي الجود ينفذ ماله نثرت عليه دنائراً ودراهما

وفي « المغرب » ان أبا الربيع قسم يوماً على جلسائه أترجاً (68) فأعطاهم واحدة واحدة وخص أبا بكر عبد الرحمن بن مغاور (69) باثنتين فقال :

(66) الغصون اليانعة ص 131 .

(67) حفيد صاحب العقد .

(68) المعجب ص 300 .

(69) ولد بشاطبة سنة 502 وتوفي سنة 587 .

قسم الأترجَ فينا ملك طلقُ اليدين
لم تكن قسمة ضيزى بين أترابي وبيني
اذ حبا فرداً بفرد وحباني باثنتين
هكذا ما زال حظي مثل حظ الانثيين (70)

كذلك نجد لأبي الربيع في ديوانه مساجلات أخرى مع بعض كتابه . قال
أحدهم مرة هذا البيت :

ألفتُ بتيليتَ السهاد وعلّمت براغيثُها جنبيَّ حسن القلب

فأجازه أبو الربيع :

ولا كخلاف العيس نطوي بها الفلا
فتبعد من أوطاننا ما نحبه
عجبت لدار ليس بيني وبينها
جرينا لها حق إذا ما تقاربت
نطوف فلا ندنو كأنا حوائم
وفي عرفات اليوم للناس مطلب
فؤادي هدي وإدلاجي مناسكي
وتبلغنا الأوطان بعد التغرب
وتدني من الأوطان غير المحب
من البعد ما يعيي مطيبي وأركبي
وقفنا فلم تبعد ولم تقترب
جواذر همت بالوقوع بمشرب
وليس كحجتي في الديار ومشربي
ودمعي جماري والمطي محصّي

وكتب إليه مرة أخرى أحد كتابه :

دمت لك الفضل علينا ودام
عندي من عبدانكم فتية
أدرك من أفكارهم روضة
لعله ما صار نبت الربى
عليكم منا سلام مدام
وليس عندي صفة للسلام
أزهارها عند تراقي الكام
لا يسأل الأمطار إلا الغمام

فأجابه :

دونكموها قرقفا عاتقا نختومة ما فضّ عنها ختام
صبح من الراح ولكنّها من دنها في مدرع من ظلام
قد أقسمت يوم جرى قارها لا افتضّها إلا ندامى كرام
حيّاكم عني منها إذا ماشجها الساقى حباب ابتسام

ولعل المناخ الثقافي والأدبي في بجاية كان يتيح مثل هذه المساجلات ، وهي ظاهرة نلاحظها حتى في عهد ولاية علي بن أبي حفص بن عبد المؤمن (71) على هذه المدينة . فقد كانت للشعراء فيه مدائح كثيرة وخاصة منهم ابن الفكون . بل لقد كانت لعلي مع ابن عمه أبي الربيع مساجلة مشهورة (72) حين كتب إليه أبو الربيع بهذين البيتين :

اليوم يوم الجمعة يوم سرور ودعه
وشملنا مفترق فهل ترى أن نجمعه

فأجابه :

اليوم يوم الجمعة وربنا قد رفعه
والشرب فيه بدعة فهل ترى أن ندعه

كذلك اشتهرت في بجاية مطارحات كانت تدور بين ابن الفكون والشاعرة عائشة بنت الشاعر أبي الطاهر عمارة (73) . ومن مظاهر ازدهار الحركة الشعرية في بجاية بعد هذا ما كان يلقيه شاعرها ابن الفكون من مدائح في خلفاء الموحدين

(71) أنظر في الغصون البانعة ص 150 .

(72) الغصون 154 .

(73) عنوان الدراية ص 36 .

وأمرائهم الذين ينوبون عنهم في بحاية ، كهذه القصيدة التي قال في مدح أحد ولائهم عليها ، وفيها ذكر لقصر الربيع : (74).

عشونا إلى نار الربيع وإنما عشونا إلى نار الندى والمحلق
وقها يقول :

ولما نزلنا ساحة القصر راعنا بكل جمال مبهج الطرف مونتق
فما شئت من ظل وريف وجدول وروض متى تلم به الريح يعبق
وشادي مغاني الحسن في نغماته يطارحه هدر الحمام المطوق
فيا حسن ذلك القصر لا زال أهلاً ويا طيب ريا نشره المتنشق
رتعنا به في روضة الأنس بعدما هصرنا به غصن المسرة مورق

وقد اعتنى أبو الربيع أثناء ولايته على بحاية بتجديد هذا القصر (75) . ولا عجب أن تتيح بحاية هذا المناخ لأبي الربيع ولابن عمه وللشعراء عامة ، فهي « مدينة عظيمة » ما بين جبال شاذة قد أحاطت بها ، والبحر منها في ثلاث جهات : في الشرق والغرب والجنوب ... كثيرة الفواكه والأثمار وجميع الخيرات . وهي مشرفة نزهة ومطلة على فحوص قد أحاطت به جبال دوره عشرة أميال ، تسقيه أنهار وعيون ، وفيه أكبر بساتينهم . ولها نهر كبير يقرب منها بنحو الميلىين أو دونها ، وعليه كثير من جناتهم . وفي بحاية موضع يعرف باللؤلؤة وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر ، متصل بالمدينة ، فيه قصور من بناء ملوك صنعها لم ير الراؤون أحسن منها بناء ولا أنزه موضعاً ؛ فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المحرمة ، والمجالس المقرصة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها ، قد نقش أحسن

(74) المصدر السابق ص 203 .

(75) انظر تاريخ ابن خلدون ج ، ص 249 حيث قال : « وهو الذي جدد الربيع ».

نقش وأتزلت بالذهب واللازورد ، وقد كتبت فيها الكتابات الحسنة ، وصورت فيها الصور الحسنة ، فجاءت من أحسن القصور وأتمها منزهاً وجمالاً . وهذا الجبل معيون الذي فيه بحاية جبل عظيم عال قد ذهب في الجو ، وقد خرج في البحر ، وفيه مياه سائحة ، وعيون كثيرة وبساتين ، وهو كثير القردة ، ويكون فيه الحيوان المشوك المسمى بالذرب » (76) .

ولعلنا بعد هذا ، وخاصة حين ننظر في كثرة شعر الالغاز والخر عند أبي الربيع نستطيع أن نتصور اطار مجلس شاعرنا الأمير ، ونستنتج أنه كان ندوة للمساجلات والمطارحات الإخوانية وأن روح النكتة والدعابة كانت تسوده وتطفئ عليه ، وبالتالي نستطيع أن نستنتج أن صاحبه كان بطبعه ميالاً إلى المرح والفكاهة وأنه كان شخصية ذكية ووديدة ، وأكاد أقول حيية لا تجرؤ من كرم النفس ورقه الشعور واحترام الآخرين على أن تكشف الخطىء بخطأه وتنبيه عليه . فقد كتب عنه الغساني « أن الكتب كانت تعرض عليه وتوضع للعلامة بين يديه فيتمصفحها تصفح مغضٍ عن زللها سائر لخطئها وخطئها غير مؤنب عن زلة ولا منبه على فهة » (77) .

وليس هذا فحسب ، بل انه كان عالي النفس رفيع الهمة لا يتملق الخليفة أو يتمسح بأعتابه على عادة أمثاله من الأمراء والشعراء . وباستقصاء ديوانه لا نجد غير قصائد معدودة في مدح الخليفة وتهنئته ، تشكل في مجموع أبياتها أقل من سدس الديوان ، وهي نسبة ضئيلة لا تضع شاعرنا في طبقة المداحين أو الشعراء الرسميين ، وتجعلنا نعتبره من فئة الشعراء الذاتيين (78) الذين أكثروا القول في الوصف والغزل . وشعره في الغزل لا يكشف فقط عن إحساس مرهف

(76) الاستبصار ص 129 - 130 .

(77) مقدمة الديوان .

(78) أنظر الفصل الثاني من الباب الأول .

ووجدان مشبوب وإنما يكشف كذلك عن عاطفة عميقة تفتحت لحب صادق
وهب قلبه إياه فلم يظفر منه بغير قليل من المتعة والنعيم . وقد عرفنا الشاعر
بحبيبتيه : ألوف ورملة ، دون تخرج من ذكر اسميهما .

فمن شعره في ألوف وقد بعدت ديارها :

ألفت جفوني السهد فيك ألوف^{٧٩} فلها على رعي النجوم عكوف
بعدت ديارك يا ألوف كأنها نحن العراق نوى وأنت الريف

ومن شعره في رملة التي حاول اخفاء حبها دون جدوى :

واني لأخفي حب رملة جاهداً وأعلم حقاً انه سيضيع
وما أنا بالمفشي له إنما الذي ينمّ به دمع يلم هموع

أما موضوع الاستعطاف والاعتذار فيوقفنا عند حادث خطير اعترض حياة
أبي الربيع أثناء ولايته على نجر بجاية، حيث غضب المنصور عليه بسبب ضياع
هذا الثغر من زمامه ووقوعه في قبضة ابن غانية (79) الذي استطاع بأسطوله أن
يقوم بهجوم مفاجئ على بجاية في غيبة أبي الربيع الذي كان في طريقه إلى
مراكش . وتفصيل الحادث ان ابن غانية وجنوده وصلوا إلى نجر بجاية على حين
غفلة من أهلها « وقدموا زورقاً الى حريم أسوارها واستوثقوا بالاستفهام من جليلة
أخبارها، فأشرف عليهم من أهل البلد من سألهم عن شأنهم وما اضطرهم إلى
الهجوم من غير استيذانهم فأخبروا انهم غزاة يطلبون مرافق السواحل وهم بين
نخادع ومقاتل .. وكان السيد أبو الربيع على مقربة منها راحلاً إلى الحضرة
والكل من هؤلاء غير مستعدين ... فأقبل العدو من الغد على تعبئة واستعداد
وتأهب وامتداد ... وانضموا إلى السواحل والأسوار انضم الطير إلى
الأوكار وفتحوا إلى إحدى الجهات بأسرار تقدمت قبل من المكاتبات، فتدلى لهم

(79) هو علي بن اسحاق بن غانية الميورقي .

قوم من السوق والفساق وأسروا إليهم بعورات البلد وغفلة أهلها وقلة المقاتلة من أهل النجدة به فقيوت بذلك آمالهم وامتدت أطماعهم . وهبط لمحاربتهم اخلاط من الناس من غير قائد يجمعهم ، كشيْف من العدة ، نحال من الضعف والوحدة ... فاستولوا على البلد بأسره ... وترك يحيى بن غانية أخاه بالبلد وخرج من فوره ليلحق بالسيد أبي الربيع فالتقى معه بموضع يعرف بياميلول . فانحازت العرب الى العدو وانطوت الى حزبه ورجعت معه على السيد وحربه ، فخلع عن محلته واستولى العدو على ما كان فيها من أمواله وعباله وثقلته ... وانهمزم السيد أبو الربيع واستشهد بعض رجاله وتخلى الى الجزائر فوجدما غير حصينة ، فانحدر منها الى تلمسان واستقر بها ... فريداً من جنده عارياً إلا من أدبه ومجده « (80) ».

ومهما يكن من أمر هذا الغزو المفاجيء وبالرغم من أن أبا الربيع كان غائباً عن بحاية في تلك الفترة فان المنصور جفاه وغضب عليه ، مما اضطره الى استعطافه والاعتذار له . وعند ابن سعيد انه حين كان بمراكش تحت جفوة من المنصور « اتفق ان وفد على الحضرة وفد من الشام انتهى الى ظاهر مراكش وعين لهم الدخول في غداة اليوم الثاني ، فكتب أبو الربيع للمنصور :

يا كعبة الجود التي حجت لها عرب الشام وغزوها والديلم
طوبى لمن أمسى يلوذ بها غداً ويطوف بالبيت العتيق ويحرم
ومن العجائب ان يفوز بنظرة من بالشام ومن بمكة يحرم

فاستحسن المنصور مقصده وأظهر الرضى عنه وأمر ان يكون هو الخارج للقاءهم والداخل بهم اليه « (81) ».

(80) البيان المغرب لابن عذاري الجزء الرابع ص 84 - 86 وانظر كذلك تاريخ ابن خلدون ج ، ص 243 .

(81) الفصول البانعة ، ص 131 - 132 .

وانظر كذلك النفع الجزء الرابع ص 105 ، والرايات ص 98 .

وإذن فقد عفا المنصور عن أبي الربيع بعد أن ظل مغضوباً عليه ما يقرب من سنتين وهي الفترة التي دامت بين هجوم ابن غانية على بحاية سنة احدى وثمانين وحضور الوفد الشامي سنة ثلاث وثمانين .

ولعله أقام مدة غير قصيرة من هذه الفترة بعيداً عن عاصمة الدولة ، فقد ذكر له جامع الديوان قصيدة قال انها نظمت في مدينة تلمسان ، أولها :

وفي غادة من طباء القصور تركت فؤادي لديها رهيناً
تقطعُ نفسي عليها اشتياقاً ويذهب قلبي إليها حنيناً
وفي آخرها يقول :

لعل الذي قد قضى بالنوى سيجمعنا بكم أجمعيناً
فمنكرع في صفو عيش السرور ونرتع في ظله آميناً

والذي يبدو من حنين الشاعر إلى حبيته وما قد تكشف عنه الأبيات الأخيرة من ميله إلى التعبير عن حاله مع الخليفة ان أبا الربيع قال هذه القصيدة وهو في جفوة من المنصور .

ومن عجيب الاتفاق أن تكون هذه الأحداث التي واجهت أبا الربيع في بحاية كبيرة الشبه بما صادف والده أثناء ولايته على نفس المدينة « فقد كان عبد المؤمن حين فصل عن بحاية وولى عليها ابنه عبد الله ... عهد إليه أن يشن الغارات على نواحي افريقية وأن يضيّق على تونس ويمنع عنها المرافق التي تصل إليها على طريقه ففعل ذلك . ثم ان عبد الله تجهز في جيش عظيم من المصامدة والعرب وغيرهم وسار حتى نزل على مدينة تونس ... فحاصرها ... وأخذ في قطع أشجارها وتغوير مياهاها ، وكان الذي يملكها في ذلك الوقت لوجار بن لوجار المعروف بابن الدوقة الرومي صاحب صقلية ... وكان عاملاً عليها رجل من المسلمين اسمه عبد الله يعرف بابن خراسان لم يزل عاملاً عليها حتى أخرجه

الموحدون ... فلما طال على ابن خراسان الحصار أجمع رأيه ورأي أهل البلد من الجند على الخروج لقتال المصامدة. ففعلوا ذلك وخرجوا بجيـل ضخمة فالتقوا هم وأصحاب عبد الله (بن عبد المؤمن) ، فانهزم أصحاب عبد الله وقتل منهم خلق كثير ورجع عبد الله ببقية أصحابه إلى بجاية فكتب إلى أبيه يخبره بذلك » (82) .

وعلى الرغم من ان عبد الله لم يقع في جفوة من والده كما وقع لولده مع المنصور ، وظل والياً على بجاية ، فقد « غض منه اخواه أبو يعقوب وأبو حفص بعد موت أبيهم فزعموا انها دسا إليه جارية جميلة سمته في خرقة الجماء » (83) .

ولسنا ندرى بعد هذا إذا كان أبو الربيع قد عاد إلى خدمة المنصور أم ظل بعيداً عن جو الحكم والسياسة، وأغلب الظن انه أصبح والياً على سجلماسة (84)، وانه كان في هذه الولاية أكثر حزماً وشدة ، فقد دخل عليه الفقيه أبو عبد الله القسطلاني في قصر بسجلماسة فوجد بين يديه انطاعاً « عليها رؤوس الخوارج الذين قطعوا الطريق على السفار بين سجلماسة وغانة وهو ينكت الأرض بقضيب من الآبنوس ويقول :

(82) المعجب ص 227 - 228 .

(83) الفصول الياينة ص 131 .

(84) سجلماسة ، كما بدأ وصفها كتاب « الاستبصار في عجائب الامصار » ص 200 « مدينة عظيمة من أعظم مدن المغرب وهي على طرف الصحراء ... بينها وبين غانة صحراء مسيرة شهرين ... » ولكنها اندرست ولم تعد موجودة منها غير اطلال يطلق عليها المغاربة « المدينة العامرة » واقعة بمقاطعة تافيلالت في أقصى جنوب المغرب .
أنظر معجم البلدان لياقوت الجزء الثالث ص 45 ، والمسالك والممالك لابن حوقل ص 65 وأحسن التقاسيم المقدسي ص 231 .

ولا غرو ان كانت رؤوس عداته جواباً إذا كان السيوف رسائله(85)

وغير هذا لا نعرف من اخباره في هذه الفترة شيئاً ، ولعله دام في ولاية سجلماسة حتى وفاة المنصور ، ولعله كذلك نقل إلى ولاية بلنسية ، بل إذا نجد جامع كناش (واسطة العقدين) يتحدث عن مناصبه فيقول انه « تولى ولاية نبيهة بالأندلس والعدوة منها قرطبة ومرسية وبجاية وسجلماسة » . والأرجح أنه اعتزل الحكم والسياسة في هذه الفترة من حياته وتفرغ للأدب والشعر ، وان كنا لا نجد له في هذه الفترة غير بعض الزهديات القصيرة كقوله :

إذا ما ذكرت الله فاضت مدامعي على كل ما فرطت فيض السحاب
وأذكر يوم الحشر ان جثته غداً وذني معي والذنب أخبت صاحب
وقوله :

ستعلم نفس قد قضى الله نجبها بأية ما كانت تجاهر ربه
وما المرء إلا نائم طول دهره اذا ما انقضى عمر الحياة تنبها

ولسنا نستبعد ان يكون الشاعر قد اعتنى في هذه الفترة بتلخيص «الاغاني» أو اتمام هذا التلخيص وتنقيحه على الأقل ، لأن اهتمامه بهذا الكتاب بدأ لاشك في سن مبكرة ، ولكن الذي يدفعنا إلى عدم استبعاد اعتنايه بهذا الكتاب في أواخر حياته ان مختصره لم يظهر قبل موته . فالجزء الأول منه - وهو الجزء الوحيد الذي عثر عليه - مؤرخ في سنة 607 هـ أي بعد وفاة صاحبه بثلاث سنوات ، وان كان هذا الجزء لا يكشف عما إذا كان التاريخ المذكور تاريخ النسخ أو التأليف . وعسى أن يكشف عن النسخة الأصلية للكتاب أو عن بقيه الأجزاء المكتملة للجزء الموجود حتى نستطيع أن نؤكد هذا الرأي أو ننفيه ونرى غيره .

ومها يكن من أمر ، فقد تفرغ أبو الربيع في أواخر حياته لنفسه وأدبه ، بعيداً عن جو الحكم والسياسة ، ولعله ظل كذلك إلى أن كانت وفاته سنة أربع وستائة (86) .

نعود بعد هذا إلى ما نقل ابن سعيد في « الرايات » عن معجم الشقندي من تشبيه أبي الربيع بابن المعتز العباسي وتيم ابن المعز الفاطمي .

أما بالنسبة لشاعر بني العباس فلن نذهب بعيداً لنصل إلى ان هذا التشبيه لا يصدق عليها في غير صفة الشعر والامارة . وانها قد لا يلتقيان بعد ذلك إلا قليلاً . فعلى الرغم من أن ابن المعتز بدأ حياته أدبياً بعيداً عن جو الحكم والسياسة ، فإنه لم يلبث ان طمع في الخلافة وسعى إلى تدبير مؤامرة على المقتدر نجح بها في خلعه ، لولا ان الأمر لم يتم له فلم يتول غير يوم وليلة حيث عاد المقتدر إلى عرشه وقتل هو (87) .

أما شعره فصورة لما أتيج له من رغد وترف نعم بهما في حياة لاهية عبر عنها بقوله :

(86) كما بد « الغصون اليانعة » ص 134 وتاريخ ابن خلدون ج 6 ص 249 . بل اننا نجد جامع كناش (واسطة العقدين) يحدد تاريخ الوفاة برابع عشر صفر سنة أربع وستائة (ج 1 ص 327) وفتنه إلى أنه في (الغصون ص 134) ورد في الهامش أن وفاة أبي الربيع حسب (الجذوة) كانت سنة 610 ، وهو وهم ، لأن المقصود ليس أبا الربيع الموحي بالإضافة إلى الخطأ الوارد في نقل التاريخ .

(87) كان ذلك سنة 296 هـ . وابن المعتز هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن المعتز بالله . ولد سنة 247 وقتل اثر عودة المقتدر الى الحكم . له كتاب « البديع » وكتاب « طبقات الشعراء المحدثين » وديوان شعر طبع في القاهرة في جزأين سنة 1891 م بمطبعة المحروسة ، وفي استانبول سنة 1950 حيث طبع منه الجزء الثالث والرابع بتحقيق ب . لوين . أنظر أخبار ابن المعتز في معجم الأدباء وبتيمة الدهر ووفيات الأعيان .

شربنا بالصغير وبالكبير ولم نحفل بأحداث الدهور
وقد ركضت بنا خيل الملاهي وقد طرنا بأجنحة السرور (88)

ولعل الغزل - وهو من أهم أغراض الشاعر - يقرب بعض الشيء بينه وبين
أبي الربيع . فهو ، وإن كان لا يخلو من اصطناع العاطفة وتكلف التجربة ،
عفيف طاهر ، فيه كثير من التحرج والاحترام ، وهذا واضح في قوله :

ايا فتنة ما كنت منتظراً لها أما لقتيل الهجر بالوصل من بعث
طلائع شوقي لا يقر قرارها ومولاي قاسٍ لا يرق ولا يرثي
هلكتُ لئن دامت عليّ يمينه فيارب ادركني ووفّقْهُ للحنث (89)

كذلك يقرب بين الشاعرين ميلهما إلى فن الاحاجي والإلغاز وما يقتضي من
وصف وتصوير وتلاعب بحروف الكلمة وقلبها كقول ابن المعتز :

أنظر إليه أنابيباً منضدة من الزمرد خضر ما لها ورق
إذا قلبت اسمه بانت ملاحه وصار مقلوبه اني بكم أثق (90)

ولعل الشاعر المغربي كان أكثر عناية بهذا الفن من شاعر بني العباس ، وهي
عناية لا تبدو في كثرة ألغازه فحسب ، وإنما كذلك من معاناته في اخراج
الصور والجمع بين المتباعدات على حد ما سنرى عند شاعرنا في فصل الوصف .

ويختلف ابن المعتز بعد هذا عن أبي الربيع في ادائه الفني بيميله إلى التلوين
والزخرفة وقدرته على إيجاد الصور والاصباغ . فقد كان « شاعراً مصنّعاً من
أصحاب مذهب التصنيع » وكان يعجب لهذا المذهب إعجاباً شديداً دعاه إلى

(88) أنظر الديوان الجزء الثاني ص 63 طبعة استانبول .

(89) أنظر الديوان الجزء الأول ص 73 طبعة مصر .

(90) أنظر الديوان الجزء الثاني ص 125 طبعة مصر .

أن يكتب في أدواته وزخرفته كتابه « البديع » (91) وقد « وقف بتصنيعه عند الجانِب الحسي وعني خاصة بجانب التصوير وما يتصل به من تشبيهات وأخيلة » (92) وهذا واضح في قوله يشبه الهلال :

أنظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عنبر (93)
وقوله في النارج :
وكأنما النارج في أغصانه من خالص الذهب الذي لم يخلط
كرة رماها الصولجان إلى الهوى فتعلقت في جوده لم تسقط (94)

وأما بالنسبة لتمام (95) فأغلب الظن ان تشبيه الشقندي به لأبي الربيع لا يس غير ظواهر شكلية لا يلبث الباحث حين يتعمق بواطنها أن يكشف عن اختلاف جذري في واقع حياة الشاعر ، لا شك انه طبع فن كل منهما بطابع خاص . حقاً انها يلتقيان في الشعر والامارة ، فكلاهما شاعر وكلاهما أمير ، وكلاهما أصيب بمحنة في حياته ، ولكن البون بينهما بعد ذلك شاسع كبير . فهو إذا كان نشأ طالباً للأدب والعلم في كنف الخلافة ، وافاد من انبيئة الثقافة التي عرف بها بلاط الفاطميين ، وخاصة بلاط والده ، فهو قد شغل باللهو والاعون عن تحمل مسئوليته كأمر . مما جعل المعز يهمله ويغض منه وينجيه عن

91) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 265

92) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 267

93) انظر الديوان الجزء الثاني ص 116

94) انظر الديوان الجزء الثاني ص 123

95) هو تميم بن المعز لدين الله الفاطمي بن المنصور بالله بن القائم بأمر الله ، ولد سنة 337 بهمية تونس (عاصمة عبيد الله المهدي) وانتقل مع والده واسرته الى مصر سنة 352 . نظر ترجمته في بتيمة الدهر ووفيات الاعيان ومعجم الأدباء وحسن المحاضرة وانظرها كذلك في مقدمة ديوانه .

ولاية العهد، لا سيما بعد أن تبين له انه على صلة ببعض أفراد الأسرة الذين كانوا يحاولون تدبير الفتنة والثورة (96) بل بلغ من عدم استقامته ان أساء الظن به اخوه العزيز فنفاه بعيداً عن مصر (97) ولكنه عاد من المنفى ليحيا حياة الترف واللهو والشرب في اسراف ومجون غير متورع عن اعلان استهتاره .

أما شعره فصورة واضحة لهذه الحياة في مختلف ظروفها . فهو يمدح الخليفة في السراء كلما سنحت له الفرصة فيسرف في مدحه ، على حد قوله في الإمام العزيز بالله الذي كان كثير العطاء له :

يد مثل صوب الغيث جوداً وثائلاً ورأي كجد الصارم العضب ذي الشطب
ونفس لو أن الدهر من بعض همها لأفنته حتى لا تعد له حقب
ألست أبا المنصور أول ناصر لمعروف كفيه على المال والنشب
وأشرف من أعطى وأكرم من عفا وأفضل من وفى وأجود من وهب (98)

وقوله كذلك فيه :

لم يعطك الله حسناً أنت حامله حتى استخف بنور الشمس والقمر
ولا حبا الله بالملك العزيز ولا أعلاه حتى رآه سيد البشر (99)

وهو في المنفى يتملقه في كثير من الخضوع ليعفو عنه معبراً عن ألم الغربة والفراق ، وذاكراً ما أسدى له الخليفة من نعم ، ومحاولاً تبرئة موقفه :

وما أنا يا أبا المنصور إلا - كما تدري - على محض الوفاء

(96) انظر مقدمة الديوان صفحة ط - ي - ك .

(97) نفاه الى رملة بفلسطين .

(98) الديوان ص 63

(99) الديوان ص 146

وحين رجوت نصرك لي فإني بملكك بالغ أقصى رجائي

...

وقد بلّغتنني أُملي فتممتمْ تتم لك السلامة في البقاء (100)

ويقول :

لو رمت قطع ودادي فيك ما انقطعا ولو رجعت فؤادي عنك ما رجعا
إذا ذكرتك في سر وفي علن وجدت قلبك في حي قد انطعما

...

ما لي إذا شئت لم أعطَ المراد وإن طلبت منك قبولاً عز وامتنعا
وإن شفعت لقيت المنع منك وإن أذاك غيري شفيماً نال ما شفعا
والله ما لي ذنب أستحق به ذا المنع منك ولا ذا الردّ والشنعا
ولو تذكرت ذنباً لانتثيت به حتى أقطّع قلبي تحته قطعاً (101)

ولعل الشيء الذي نستطيع أن نستنتجه من شعره خلال حياته انه قليل
الصدق ضعيف العاطفة . وهو استنتاج يؤكد لنا رثاؤه لأخيه عبد الله
اذ يقول :

كل حي إلى الفناء يصير والليالي تعلقة وغرور
وإلى الله يرجع الملك والملوك ويقضي الأمير والمأمور

(100) الديوان ص 38

(101) الديوان ص 262 و 263

(102) الديوان ص 147

كيف لم تسقط السماء على الأرض ولم تهو شمسها والبدور
يوم مات الأمير بل يوم مات الصبر فيه بل يوم مات السرور

...

يوم أبكى العيون حتى بكاه الأسد سد الوارد والغزال الغرير
وسمعت الزفير وهو صراخ ورأيت الدموع وهي بحور (102)

وابن المعز بعد هذا مغرم بالوان البديع وفنون التصنيع ، فتد كان « كابن
المعتر ... غزارة علم ومعاناة أدب وحسن تشبيه وابداع تخييل ، وكان يقتفي
آثاره ويصوغ على مناحيه في شعره اشعاره ... » (103) .

وعلى الرغم من هذا الاختلاف البين بين أبي الربيع وبين شاعر بني العباس
وشاعر بني عميد ، وهو اختلاف ستتضح ملامحه عند دراستنا لشعره ، فإن وجود
بعض المعاني المشتركة التي تربطه بكل منهما تجعل شقة هذا الاختلاف تضيق
بعض الشيء ، ولكن ليس الى الحد الذي يجعلنا نشبه بهما - كما ذهب الشقندي .
وما نظنه الا متجاوزاً في القول - وانما الى الحد الذي تقتضيه ظروف الفن
والحياة عند كل منهم ، وسنعرض لهذه المعاني في مواضعها عند تعرضنا
للموضوعات الشعرية عند أبي الربيع .

الفصل الثاني

شعره

يبدو من المقدمة التي صدر بها الفسافي ديوان أبي الربيع أن هذا الديوان 'جمع في حياة صاحبه' ، وفي فترة كان جامعاً مبعداً عن خدمة الشاعر ، وكأنه قصد من جمعه أن يتقرب الى تخدمه ليعيده الى حظيرة كُتّابه . فهو يقول : « هذا كتاب جمعت فيه ما أملاه علي وبعث به من غرر نظمه إلي واختصني بتأليفه دون كتابه ، وندبني إليه من بين خدّمته وأصحابه ، من حلي بمحاسنه عاطلُ الدهر وفخر يجميل مناقبه وكريم ضرائبه لسان الزمان والعصر ، الذي أحيا من العلوم ما كان مواتاً ، ونشر منها ما أعاده الإهمال رفاتاً وطلقه الناس بتأبتاتاً ، السيد الأجل الأكل الهمام الأسنى الأفضل أبو الربيع بن السيد المعظم الملك المكرم أبي محمد بن سيدنا الإمام الخليفة الرضى أمير المؤمنين ادام الله سعده وأثل مجده وأورى في الآراء قدحه وزنده . فخذ شط بي الدهر عن خدمته وحرمني الزمان جميل عشرته وأعدمني حميد سيرته كندر عيش كان بخدمته صافياً ، ونضب بحر كان بتعليمه وتبصره زاخراً طامياً ، فأسال من حرمني النظر إلى جميل ذاته وأعدمني المشاهدة إلى حميد صفاته أن يعيدني إلى سامي حضرته ويرجعني إلى معهود خدمته ويكحل رمد جفني برؤيته ، فيعود زمن مضى حميداً ويرجع ما خلق من الحظ قشيباً جديداً ويقرب ما أصاره القدر بعيداً بفضل الله ومنته وحوله وقوته » (1) .

ومما يؤكد أن الديوان جمع في حياة صاحبه أن النسختين الخطيتين الموجودتين

منه في الرباط والاسكوريال مؤرختان في سنة واحدة هي ثمان وثمانون وخمسة أي قبل وفاة أبي الربيع بستة عشر عاماً .

بل إنا نجد في الديوان أبياتاً يطلب فيها أبو الربيع من كاتبه الغساني أن ينسخ له هذا الديوان ، وهي التي يقول فيها :

ألا قل للفقير الألمي مقال مذكّر شرفاً قديماً
متى غسان قد ذكرت بطل متى عُرِفْتُ بأن تأتي ذميماً
وحاشي أن يقصر عن مداها وأنت ورثتها حسباً صميماً
فمَجْتَلِ نسخ ديوان القوافي فما ظني ترى فيه سثوما
وما فيه سوى يوم ويوم لمن يخشى الملامة أن تدوما
وهذا القول ذكر أو عتاب وحسبك ذكره هزت كريماً

ولسنا نعرف شيئاً عن جامع الديوان سوى أنه محمد بن عبد الحق الغساني ، وأنه كان كاتباً لأبي الربيع ، وأنه أبعد من خدمته لسبب لا ندري عنه شيئاً ، وأنه كان يتمنى العودة إلى حظيرة كتّابه ، وأنه عاد إليها بعد أن جمع الديوان وقدمه إليه .

ولعله خطأ ما ورد في النسخ (2) ونقله الأستاذ المنوني (3) من أن أبا عبد الله محمد بن عبد ربه كاتب أبي الربيع هو جامع ديوانه . ويبدو أن المقري خلط

(2) أنظر المقري لدى ترجمته لابن عبد ربه حيث قال (وجمع ابن عبد ربه المذكور شعر السيد أبي الربيع بن عبد الله بن أمير المؤمنين بن علي ، وكان ابن عبد ربه المذكور كاتباً للسيد أبي الربيع » (النسخ ج 2 ص 301) .

(3) العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين ص 140 و 161 .

بين كاتب الشاعِر فنسب الجَمع إلى غير صاحبه وتبعه في ذلك الأستاذ المتونى على الرغم من وجود نسخة من الديوان لديه . ومع ذلك فليس مستبعداً أن يكون الديوان قد جمع مرة ثانية ، وان يكون جامعهُ في هذه المرة هو ابن عبد ربه ، وان يكون الشعر المنسوب الى أبي الربيع ، وهو غير موجود بنسخة الغساني ، منقولاً عن نسخة ابن عبد ربه ، وعسى أن يكشف البحث عنها ذات يوم .

والذي يبدو من تشابه في النسختين الموجودتين لدينا من الديوان في الاسكوريال والرباط انها منقولتان لا شك عن نسخة أخرى سابقة لعلها النسخة الأصلية ، وإلا فقد تكون إحدى هاتين النسختين منقولة عن الأخرى ، ولكننا لا ندرى أيهما تكون الأصل وان كنا نرجح ان تكون نسخة الاسكوريال أسبق وذلك لعاملين :

الأول : انها أكثر ضبطاً وصواباً من نسخة الرباط .

الثاني : ان بعض اخطاء نسخة الرباط ترجع الى عدم تنبه الناسخ لما بين الخطين الاندلسي المغربي والمشرقي من فوارق في التعجيم كما في الفاء والقاف مثلاً ، مما يؤكد أن نسخة الرباط منقولة عن الاسكوريال .

مهما يكن ، فإنه توجد لدينا من الديوان هاتان النسختان ونسخ غيرهما :

الأولى : وهي نسخة الرباط ، مكتوبة بخط مغربي أندلسي لا بأس به . وهي مسجلة تحت رقم 1310 د وتوجد في مجموع من ورقة 77/أ إلى 101/ب مسطرتها 20 مقياسه 270 / 205 ، وفي كل صفحة حوالى ثمانية عشر سطراً . فرغ منها في ثالث شعبان عام 588 . والمجموع يضم في أوله ديوان أبي فراس الحمداني ، وهو محبس كما في صفحته الأولى من قبل « أمير المؤمنين ابن الملك المنصور السلطان ابن الامام المهدي القائم بالله الشريف ... على المسجد المعروف داخل الحضرة المراكشية ... وشرط أيده الله ، ألا يخرج هذا المحبس عن المسجد

المذكور ... وكتب باليوم الثالث من شهر الله رجب عام سبعة عشر وألف .
وهي تبدىء بقوله : « الحمد لله كما هو مستحق وأهله ، حمداً يترى به إحسانه
وفضله ، وتستدام بمولاته وآلؤه وطوله ، وصاواته على خير أنبيائه ورسله ،
المبتعث بخير ملله ونحله سيدنا محمد نبيّه ، وعلى آله وسلم تسليماً . هذا كتاب ... » .

* *

الثانية : وهي نسخة الاسكوريال (4) ، مكتوبة بخط مشرقى جيد وفي
ثلاث وثلاثين ورقة صغيرة ، في كل صفحة منها ثلاثة عشر سطراً . فرغ منها
في نفس التاريخ المذكور . وتحمل عنوان « نظم العقود ورقم الحل والبرود » .
وهي تزيد بيتين على نسخة الرباط ، ولعلها نسخت في طليطلة على ما يبدو من
الصفحة الأولى حيث كتب بعد اسم الجامع وفي سطر مستقل « طليطلة » .
وكتب بخط مغربي متوسط في أول هذه النسخة وبعد ذكر اسم الجامع بيتان
لغازيان لأبي الربيع هما :

خبّر فديتك من أبوه طائر ان كنت تفهم وابنه إنسان
بين الابوة والبنوة وهو لا طير ولا إنس ولا شيطان

كما كتب في آخرها وبخط مغربي مخالف وغير مقروء ما يلي :

(... الخمس الرابع لجمادى الآخرة

..... من العجمي

... شهر ابريل من السنة المذكورة)

وكتب أسفله بخط مغربي مغاير :

(الحمد لله في يد الولد المبارك أبي عبد الواحد

(4) تفضل مشكوراً بإرسالها إلى وأنا يومئذ بالقاهرة الأستاذ الصديق الدكتور محمد المليسي .

ابن الأمير أبي علي الأمير المرحوم أبي سعد ابن السلطان
المرحوم عبد الرحمن يوم الأحد
الثاني عشر لشوال عام ستة وثمانين وثمانمائة)

وهذا ما يفهم من أنها ملكت مرتين وان تاريخ آخر تليك هو سنة 886هـ.
والنسختان سارتا على تقسيم واحد مع ملاحظة أن نسخة الاسكوريال
أدرجت بعض قصائد النسيب في باب الإلغاز .

وكا جاء في النسختين ، فقد قسم الغساني ديوان أبي الربيع إلى خمسة أبواب :
الأول : في المدح وما يتعلق به ، ويضم ثمانين بيتا موزعة على خمس
قصائد ومقطوعات .

الثاني : في الرثاء والتأبين ، ليس فيه غير قصيدة واحدة عدد أبياتها
سبعة وعشرون .

الثالث : في النسيب ، ويشمل خمسة وأربعمئة بيت موزعة على إحدى
وخمسين قصيدة ومقطوعة .

الرابع : في الألغاز وما ينحو نحوها من التشبيه ، ويضم إحدى وثلاثين
قصيدة ومقطوعة مجموع أبياتها ستة وأربعون ومائة .

الخامس : في الزهد وعدد أبياته تسعة عشر تشملها خمس مقطوعات .

* * *

وقد كدنا أن نعتمد على نسخة الاسكوريال ونعتبرها الأصل لولا أننا اهتدينا
إلى النسخة الآتي ذكرها :

الثالثة : وقفت عليها في مكتبة السلطان أحمد الثالث في قصر طوبكابي

باسطنبول ورقها 2333 . وهي مكتوبة بخط مغربي أندلسي جيد ومشكول ،
وتقع في إحدى وخسين ورقة تحتوي كل صفحة منها على سبعة عشر سطراً .
وكتب في صفحتها الأولى :

(صاحب السلطان بايزيد محمد خان خلد ملكه

ديوان شعر ولد عبد المؤمن بن علي سلطان المغرب

كتاب منظومات أبي الربيع بالعربية)

وكتب على نفس الصفحة :

(عمركم قليل ورزقكم كثير والله بما تعملون بصير)

كما كتبت قطعة شعرية غير مقروءة ؛ وتوجد بالصفحة بعض الأختام .

وتبتدىء هذه النسخة — دون ذكر اسم الجامع — بحمدلة مختلفة عن الحمدلة
المستهلة بها نسخة الرباط والاسكوريال ، حيث افتتحت هكذا « حمداً لله أولى
ما ابتدأ به المتكلم وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً ، هذا كتاب .. » . وعلى
الرغم من أن بعض الأبيات الواردة في النسختين السالفتين سقطت منها ، فإنها
تحتوي على شعر أكثر منها ، حيث تضم أربعاً وأربعين وأربعمائة وألف بيت
على سبع ومائتي قصيدة ومقطوعة ، وترتيبها كالآتي :

الباب الأول : باب المديح ، ويضم سبعين ومائتي بيت موزعة على ثلاث وعشرين
قصيدة ومقطوعة .

والثاني : باب الرثاء ، ويضم ثلاثة وعشرين ومائة بيت موزعة على ثلاث
عشرة قصيدة ومقطوعة .

والثالث : باب النسيب ويضم خمسة وستائة بيت موزعة على خمس وسبعين
قصيدة ومقطوعة .

والرابع : باب الالغاز ، ويضم خمسة عشر ومائتي بيت موزعة على تسع وأربعين مقطوعة .

والخامس : باب التشبيه ويضم أربعة وستين بيتاً موزعة على عشرين قطعة .

والسادس : باب العتاب ، ويضم واحداً وتسعين بيتاً موزعة على أربع عشرة قصيدة ومقطوعة .

والسابع : باب الزهد ويضم ستة وسبعين بيتاً موزعة على ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة .

الرابعة : نسخة المنوني ، وهي تزيد على نسخة الرباط بثلاث قطع شعرية ، وقد تفضل صاحبها الأستاذ الصديق محمد المنوني فأرسل إلي - مشكوراً - نسخة منها مرقونة . وهي غير مؤرخة .

الخامسة : نسخة الأستاذ المرحوم ادريس بن المامي ، وهي حديثة حيث نسخها الأديب المرحوم أحمد النميشي ، وهي قريبة من نسخة الرباط ، ولعلها منقولة عنها .

وقد أثار المراكشي لدى ترجمته لابن عبد ربه قضية اتهام تس شاعرية أبي الربيع وتظمن في صحة نسبة هذا الشعر اليه ، فعنده أن ابن عبد ربه « نحل كثيراً من شعره السيد الأجل أبا الربيع سليمان بن عبد الله بن عبد المؤمن أيام كتابته له ، ولم يدع بعد ذلك في شيء مما نحلناه إياه من شعره ولا ذكر أنه له ، فكان أكثر شعره ينشد لأبي الربيع وترويه الرواة له » . ويزيد المراكشي ، وكأنه يعلل اتهامه ، فيقول : « عرفت ذلك بعد مفارقتة

إياه ، لأنني فقدت شعر السيد أبي الربيع واختلف على كلامه ، ورأيت بخطه اشعاراً نازلة عن رتبة الشعر جداً ، فعلمت ان ذلك الأول ليس من نسجه « (5) .

وكان منتظراً من المقرئ وابن سعيد أن ينظرا في هذه التهمة أو يشيرا إليها على الأقل فيما كتباه عن أبي الربيع أو ابن عبد ربه ، ولكنها سكنا عنها ، وكأنهما لم يعيراهما أي اهتمام ، بل كتب ابن سعيد على العكس من ذلك ، يؤكد أن « ديوان شعره مشهور » (6) وأنه « مجموع بأيدي الناس » (7) .

والأستاذ المنوني هو أول من أشار إلى هذه التهمة ولكن دون أن يبدي فيها رأيه ، فقد قال بعد أن أورد نص المراكشي : « هكذا يحكم المراكشي على شعر السيد أبي الربيع ، وعلى عكسه نرى ابن سعيد في المغرب ينوء به ككاتب شاعر أديب ماهر له شعر مدون حسب ما ينقل هذا في النسخ . واني وان كنت لا أستبعد صحة رأي المراكشي لمعاصرته لأبي الربيع ولما استند إليه في حكمه ، فاني أحتفظ برأيي النهائي في الموضوع حتى يتسنى لنا الوقوف على ديوان السيد أبي الربيع » (8) .

وقد تعرض الأستاذ جنون لهذه القضية في آخر العدد الخاص بأبي الربيع من (ذكريات مشاهير رجال المغرب) ، فوضع التهمة في الميزان وناقشها في كثير من التحمس للشاعر فقال : « وهذه تهمة خطيرة يلصقها المراكشي بأميرنا الشاعر فتطيح بكل ما بنينا له من مجد أدبي رفيع ، ولكن ألا تكون دعاية سيئة من الكاتب ابن عبد ربه ضد مخدومه أبي الربيع بعد مفارقتها إياه .

(5) المعجب صفحة 300 .

(6) الرابات صفحة 98 .

(7) القصصون الياذة صفحة 131 .

(8) العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين صفحة 162 .

وخصوصاً اذا كانت هذه المفارقة عن سخط لا عن رضى ، ومعها لا حرج عليه عنده وعند أمثاله فيما ينش من الشر وينشر من السوء ، فلم تزل تلك هي طريقة انتقام المبطلين من المحقين ؟

ولا يغرنك قول المراكشي أن ابن عبد ربه هذا لم يدّع بعد ذلك في شيء مما نحله إياه من شعره ، ولا ذكر أنه له ، فانما هو كلام فارغ وعذر باطل ، وإلا فمن أين عرف المراكشي نفسه أن ابن عبد ربه نحل كثير آ من شعره لأبي الربيع ؟

نجيب بأنه عرف ذلك من فقدده شعر أبي الربيع واختلاف كلامه عليه لما فارقه ابن عبد ربه كما قال هو ، ولكن لماذا لا يكون هذا الكلام من شعر أبي الربيع الذي لم يحتفل له ولا اعتنى بتجويده بعد ، فهو على كل حال نازل عن رتبة الشعر الجيد ولكن لا يدل حتماً على أن ما ينسب لأبي الربيع من شعر عال ليس له ؟

ثم ان مما يلزم قياساً على حكم المراكشي هذا أن كل أمير أو خليفة نظم شعراً جيداً فهو ليس له ، وانما هو لأحد كتابه أو شعرائه ... وعلى كل حال ، فانما نتنزل ونقول : ان هذه الدعوى ان لم تكن نتيجة عداوة شخصية لأبي الربيع ولا دسيسة أندلسية ضد هذه العدو وأدباؤها - فإن فيها مبالغة كبيرة جداً اذ يمكن أن يكون الأمير أبو الربيع استعان مرة بكاثبه على تهذيب شعر له او اتمام احدى قصائده أو كلفه بالقول أصلاً في غرض من الأغراض لضيق وقته وعدم موافاة ملكة النظم له في وقت يكون تزع ضرر الشاعر فيه أهون عليه من قول بيت من الشعر - كما يقول الفرزدق - فبنى هذا الكاتب أو غيره من الحبة قبة ، وروج بين الناس ان شعر أبي الربيع ليس له وانما هو نحله إياه .

وقد رأينا فيما نقلناه عن الشقندي صدر هذه الترجمة ، وهو من هو تعصباً على المغرب والمغاربة كيف يكبر من قدر المترجم ويطنب في مدحه ويقرنه في هذا الشأن بعبد الله بن المعتز العباسي وتيم بن المعز الفاطمي . ولئن حملنا هذا

الكلام على المبالغة وقلنا ان المترجم غراه بكرمه فقال فيه ما قال - والله تفتح
الله - فكيف نقول فيما حكاه من وقائع الحال التي حضرها بنفسه ورأى المترجم
ينظم فيها الشعر الجيد كقصه هذا الشخص الذي تشفع له فيه فولاء واحسن
إليه ، ولكنه اخلف الظن به فقال فيه أبو الربيع :

لا تصنع المعروف إلا لمن رأيت أهلاً لشكر الصنيع

إلى آخر الأبيات . ومن يدرينا ان هذا ابن عبد ربه كان من هذا القبيل على
رغم مدح المراكشي له ؟

ومثل هذه القصة حكاية النهر الذي جلس عليه أبو الربيع والشقندي في
سفر ليلاً فتمثلت فيه النجوم والقمر وارتجل أبو الربيع في ذلك الأبيات .. حكاها
الشقندي . فأين كان هذا ابن عبد ربه ليقول الأبيات وينحليها نخدومه اللهم إلا
أن يكون انقلب شيطاناً يرى ولا يرى ، وكما يقال : لكل شاعر شيطان .
والأبيات الفذة التي رفعها إلى المنصور لما وفد عليه وفد من الشام وكان بحال
جفوة منه ، من الذي نظمها له ؟ وهو قد كان تحت غضب السلطان غير مرغوب في
صحبته ، فهل هي أيضاً من الشعر النازل عن رتبة الشعر جداً يا مولانا المراكشي ؟
ان ما ذكره المراكشي من شعر ابن عبد ربه ونوه به ذلك التنويه العظيم
لا يبلغ في شيء درجة كثير من شعر أبي الربيع الذي ذكرناه ، والناقد بصير
وللشعر ميزان ، وان يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر » (9) .

والواضح من هذا الدفاع أن الأستاذ جنون يرد التهمة في كثير من التحيز
لأبي الربيع . فعلى الرغم من إثارتة لمختلف الملاحظات التي تحيط بالقضية ، فانه
لم يتناول منها في المناقشة غير الجوانب الدفاعية عن أبي الربيع ، غير مقلب بقية

(9) ذكريات مشاهير رجال المغرب العدد 10 الخاص بأبي الربيع من صفحة 26 إلى
صفحة 30.

الجوانب التي ربما ساعدته على بحث التهمة في موضوعية علمية بعيدة عن الدفاع المتحمس المتحاز .

ونعلنا بادىء ذي بدء في حاجة إلى التعرف على ابن عبد ربه . فعند ابن سعيد انه : « من ولد أبي عمر بن عبد ربه صاحب كتاب العقد ، رحل إلى المشرق ، وله رسالة في صقلية ذكر فيها ما جرى له بمصر ، وكان كاتباً لأبي الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن سلطان المغرب . ومن شعره قوله :

كأنما الشمس وقد قابلت بدر الدجى ، والأفق الأهيف
عيننا هزير كلف وجهه ينظر في عطفيه لا يطرف
فإن تقل ما لونها واحد قلت : وهذا سبع أخيف » (10)

وعند المراكشي أن المنصور أمر بعرض الجند ذات يوم : « فلما انتشروا بين يديه وأعجبه ما رأى من حسن هيأتهم قام فصلى ركعتين شكر الله عز وجل . واتفق إثر ذلك الركوع أن جاءت سحابة فأمطرت مطراً جوداً حتى ابتل الناس فقال في ذلك ... ابن عبد ربه ... :

بادي الكرامة بل بادي الكرامات قد شفع الله آيات بآيات
يا ليت شعري ما شيء دعوت به قبل السلام ومن بعد التحيات
شيء تأثر عنه الجو فاقصلت فيه السحائب رايات برايات
من كل وطفاء لفتاء الرباب همت ماء نقياً على زعف نقيات
قل كيف لا يفتح الله البلاد وقد تفتحت لك أبواب السماوات

فاشتهر من يومئذ أبو عبد الله هذا وعرف مكانه ونبه قدره ، وله احسان كثير

وقدم راسخة في صناعتي النظم والنثر مع تحقق بشيء من أجزاء الفلسفة من علوم التعاليم وعلم المنطق ... وأنشدني من قديم شعره مقطوعة سينية لم أسمع بأحسن منها ، لم يبق على خاطري منها سوى آخر بيت منها وهو :

ولكن قوما لا يغيب نهارهم اذا غربت شمس يديرونها شمسا

وله رحمه الله رحلة الى مصر لقي فيها ابن سناء الملك (11) وأخذ عنه من شعره وهو أول من سمعت يذكره عندنا ويروي شعره ... (12).

وعلى الرغم من أن مجال هذا البحث لا يسمح بالتوسع في مناقشة هذه القضية وما تتطلب من دراسة مقارنة لم تيسر لنا وسائلها بعد ، فإننا نستطيع بالنظر في ديوان أبي الربيع وفيما بين أيدينا من شعر قليل لابن عبد ربه أن ننتهي إلى أنه إذا كان شعر أبي الربيع يمتاز بالبساطة والوضوح والسلامة فإن شعر ابن عبد ربه يبدو أرقى أسلوباً وأجل ديباجة ، وربما كان أكثر خفة ورشاقة وأصاله . ولعل السبب في ذلك أنه كان ذا ثقافة أدبية واسعة له تنهياً لأبي الربيع الأمير الحاكم .

(11) هو أبو القاسم السعيد هبة الله بن القاضي الرشيد أبو الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك (550 - 608 هـ) وهو أكبر شعراء مصر في العصر الأيوبي ومن أكثرهم إنتاجاً للمنظوم والمنثور . له ديوان طبع بتحقيق محمد عبد الحق ضمن مخطوطات دائرة المعارف العثمانية في حيدر أباد عام 1958 ، وكتاب « دار الطراز » نشره الدكتور جودة الركابي في دمشق عام 1949 ، وكتاب « فصوص الفصول » مخطوط بدار الكتب المصرية (2265 أدب و 1409 أدب) . انظر كتاب الدكتور عبد العزيز الاهواني « ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر » - مكتبة الانجلو المصرية 1962 وانظر كذلك « دراسات في الشعر في عصر الايوبيين » للرحوم محمد كامل حسين ص 121 - 130 .

(12) المعجب 297 - 300 وانظر كذلك ترجمة ابن عبد ربه في التفح الجزء الثاني صفحة 300 - 301 .

أما القضية التي أثارها ضد أبي الربيع فليس مستبعداً أن تكون مجرد دعاية سيئة منه أشاعها بعد أن ترك خدمته ، وإن كنا لا نرى في شخصية أبي الربيع ولا في أسباب انفصال ابن عبد ربه عن خدمته ما يستدعي اتخاذ مثل هذا الموقف . فالذي يبدو من دراسة حياة أبي الربيع أنه كان شخصية وديعة ورقيقة لا تثير حولها غير جو من المرح والحب بعيد عن زوابع الضغينة والعداء ، وأن ترك ابن عبد ربه لخدمته لم يكن نتيجة فصل أو طرد وإنما كان لا شك نتيجة حل بلاط أبي الربيع على أثر جفوة المنصور له ، ان لم يكن حصل قبل ذلك عن رضى من ابن عبد ربه وطلب منه .

وليس مستبعداً كذلك أن تكون القضية دسيسة أندلسية ضد العدو ، لا سيما والعصر عصر صراع بين أدباء الأندلس والمغرب — كما سبقت الإشارة إلى ذلك — ولكننا لا نجد أحداً من أدباء الأندلس يثيرها غير ابن عبد ربه ، ولو كانت كذلك لما سكنت عنها الذين تصدوا للمغرب يفاخرون بالأندلس ويباهون بأدبه وحضارته وخاصة منهم الشقندي الذي بدا على العكس مادحاً لأبي الربيع مكبراً من قدره .

ومثل هذا الموقف حين يتخذه الشقندي وهو من هو تعصباً ضد المغرب لا يعني في الواقع شيئاً إلا أن أبا الربيع « غزاه بكرمه فقال فيه ما قال » . (13) أما ما رواه الشقندي من حكايات حضر وقائعها بنفسه ورأى الشاعر ينظم فيها أبياتاً من الشعر الجيد فليس دليلاً على أن هذه الأبيات من وحي الساعة ولا على أنها من انشائه ، اذ قد يكون الشاعر في تلك اللحظة مجرد منشد لشعر سبق أن قاله هو أو غيره . وما يقال عن هذا الشعر يقال كذلك عن الأبيات التي رفعها للمنصور أيام جفوته .

(13) على حد قول السيد جنون (ذكريات مشاهير رجال المغرب العدد 10 الخاص بأبي الربيع صفحة 8) .

وبلغ الحماس بالسيد جنون فحكم بأن شعر ابن عبد ربه « لا يبلغ في شيء درجة كثير من شعر أبي الربيع » (14) وكان جديراً به قبل اصدار مثل هذا الحكم القاطع أن يتريث بعض الشيء حتى تتسنى له محاولة المقارنة بين الشاعرين في دراسة علمية تضع فنهما في الميزان بعيداً عن التحيز والارتجال .

ولعلنا بعد هذا كله نستطيع أن نستبعد ادعاء ابن عبد ربه ، وإن كنا نرى طبيعياً أن يسلك أبو الربيع سبيل الملوك والأمراء في كل زمان ومكان ويتخذ له كتباً يحررون رسائله ويؤلفون كتبه ويقرضون شعره أو يساعدونه على قرضه . وإذا كان لنا مجال للشك بعض الشيء في صحة نسبة هذا الشعر لأبي الربيع ، ففي فن الوصف ما يبرر هذا الشك كما سيتضح لنا حين نتناول هذا الفن . بل انا نجد المراكشي يورد أبياتاً وصفية رائعة يقول إن ابن عبد ربه أنشده إياها لنفسه بينما هي واردة في ديوان أبي الربيع . وهذه هي الأبيات :

بين الرياض وبين الجو معترك بيض من البرق أو سمر من السمر
إن أوترت قوسها كف السماء رمت نبلاً من الماء في زَغَفٍ من الغدَر
لأجل ذاك إذا هبت طلائعها تدرّع النهر واهتزت قنا الشجر

وقد علق عليها المراكشي فقال : « ما سمعت بثلها ، هذا على إكثار الناس في هذا المعنى وتواردهم عليه حتى صار أخلق من الليل والنهار من كثرة تكراره على الأسماع فلا يتخلص منه إلا من لطف حسه وجاد طبعه وحسن ميّزه ... فانظر إلى حسن توطئته لهذا المعنى وقوة تخلصه إلى هذا التشبيه بأحسن لفظ وأسهل على السمع والنطق » (15) .

(14) انظر المصدر السابق .

(15) المعجب 298 - 299 .

ومن يدري فقد تكون هذه القضية ناتجة عن انتشار شعر أبي الربيع ، إذ يبدو أنه كان شائعاً ليس في عصره فحسب بل حتى في العصور التالية ، وإلى حد تُسببت بعض قصائده للعهد المريني أو تمثل بها أدباء هذا العهد في المراسلات الرسمية والتهنئة بالفتوح . فقصيدته المشهورة التي قالها في مدح أبي يوسف على إثر فتح قفصة والتي استهل بها الديوان ، ومطلعها :

هبت بنصركم الرياح الأربع وجرت بسعدكم النجوم الطلّع

نجدها واردة في (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية) (16) مع كتاب موجه من أبي محمد بن اشيولولة لأبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني في التهنئة بفتح الاندلس ، كما نجدها في نفس المناسبة واردة عند صاحب القرطاس (17) .

والحديث عن موضوعات شعر أبي الربيع يقتضي منا أن نتعرض لطبيعة الأغراض التي عالجها شعراء العصر . فقد طرّقوا مختلف الموضوعات الشعرية التي كانت معروفة لهذا العهد ، فنظموا قصائد في كل الفنون التي نظم فيها شعراء البلاد العربية الأخرى من مديح وهجاء وغزل وحماسة ورناء وزهد ووصف ، خلافاً لما ذهب إليه الأستاذ المتونى من أن الشعر المغربي « خلا في الجملة ولا سيما أيام عظمة الموحدين من السفاسف التي كانت شائعة في الأدب العربي حينئذ فنذر فيما وقفت عليه (18) شعر المخريات وقلّ أدب التغزل المكشوف ، وذلك تأثراً

(16) ص 182 - 183 .

(17) ص 230 - 231 .

(18) هكذا يقول الأستاذ المتونى في كتاب العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين صفحة 139 -

بالطابع الديني الذي كاذت عليه الدولة ابان عظمتها ، حتى أن عبد المؤمن لما أنشد في مجلسه أبو بكر محمد بن ميمون بن عبد الله القرطبي أبياتاً ثلاثة يتغزل فيها في شاب من أهل أغمات هجره هذا الخليفة ومنعه من الحضور في مجلسه وصرف بنيه عن القراءة عليه . وما يؤثر من شعر لعبد المؤمن في التغزل بفقاة قدت فؤاده ومساجلته في هذا الموضوع مع وزيره ابن عطية الى آخر القصة الشهيرة ، فالغالب أن ذلك مفتعل على عبد المؤمن من خصومه » (19) .

وقد عارض هذا الرأي الأستاذ عبد الله جنون في المقدمة التي صدر بها كتاب الاستاذ المنوني فقال : « ... ونحن مع كامل التقدير لجهود المؤلف وتقدم الموافقة على جل ماله من أنظار ، فإننا لا نخفي عدم قبولنا لبعض الآراء التي ذهب اليها في بعض المسائل ... كإنكاره للمحاولة الشعرية المشهورة التي جرت بين عبد المؤمن بن علي ووزيره أبي جعفر بن عطية تأييداً لما ذهب إليه من أن الطابع الديني الغالب على الدولة جعل الشعر الغزلي يقلّ بل ينعدم من بين موضوعات الشعر . وهذا تعمق كبير ، فما منع الروح الديني المسيطر على الصحابة

(19) المصدر السابق . والخبر عن ابن ميمون وارد في « بغية الوعاة » صفحة 62 ومجده أن ابن ميمون « كان يحضر مجلس عبد المؤمن مع جملة العلماء ويبيدي ما عنده من المعارف الى أن أنشد في المجلس أبياتاً كان نظمها في أبي القاسم بن محمد بن تبتيت وهي :

أبا قاسم والهوى جنة وها أنا من مسها لم أفق
تفحم جهنم نار الفضلوع كما خضت بحر دموع الحدق
أكنت الحليل أكنت الكلم أمنت الحريق أمنت الغرق

فهجره عبد المؤمن ومنعه من الحضور في مجلسه وصرف بنيه عن القراءة عليه ، وسرى ذلك في أكثر من كان يتردد عليه على أنه كان في المرتبة العليا من الطهارة والعفاف » وفيها أنه توفي براكش سنة 567 وقد قارب السبعين . أما الخبر عن المساجلة فقد سبق أن أوردناه (انظر الفصل الثاني من الباب الاول) .

في عصر النبوة من أن يقول كعب بن زهير (بانت سعاد) وينشدها النبي ﷺ والصحابة في المسجد وتكون سبباً في نجاته واجازته » (20) .

وليس من شك في أنه قد كان لطابع الدولة أثر ما في فن شعراء العصر كما يبدو في مدائح بعضهم للخلفاء ، حيث يختلط المدح بعمان دينية تخلق نوعاً من الشعر المتصل بالعقيدة والتصوف على حد ما سنرى عند التعرض لشعر أبي الربيع في مدح المنصور . ومع ذلك فلم يكن لهذا الطابع الديني أن يحول دون انطلاقتهم للنظم في موضوعات الحمر والنسيب . وليس من شك كذلك في ان النصوص الشعرية التي وصلتنا عن هذا العصر تنفي بتاتا ما ذهب إليه الأستاذ المنوني من رأي . ولعله يكفينا أن ننظر في طوائف شعراء هذا العصر (21) وأن نشير بصفة خاصة إلى شاعر كأبي حفص الاغماتي - وكان مسؤولاً في الدولة - وما في شعره من غزل رقيق ليمتأكد لنا أن طابع الدولة لم يقيد فنون الشعر الموحد في شيء ؛ بل ما لنا نذهب بعيداً وفي ديوان أبي الربيع ما يغني عن كل دليل . فشعر الغزل والنسيب يستغرق حوالى ثلثي ديوانه - وهو من هو مكانة في الواجهة الرسمية للدولة - في حين لا يشكل المدح غير السدس منه . ولعله لم يتيسر للأستاذ المنوني وقت تأليفه كتابه أن يطلع على هذه النصوص التي كانت لا شك ستغير من نظرتة إلى الشعر المغربي في هذا العصر .

نعود بعد هذا لأبي الربيع فنجد أنه عالج أغراضاً شعرية مختلفة ، سنتناولها حسب الترتيب الآتي :

أولاً : الغزل .

(20) انظر مقدمة السيد جنون لكتاب العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين .

(21) أنظر الفصل الثاني من الباب الاول .

ثانياً : المناسبات وسنتعرض فيها للموضوعات التالية :

1 - مجالس الأندلس .

2 - التهاني .

3 - الاستعطاف .

4 - الرثاء .

ثالثاً : الوصف ، وهو قسمان :

1 - صريح .

2 - أَلغاز .

رابعاً : الزهد .

* * *

أولاً: الغزل

والغزل - كما سبق أن أوضحنا - يستغرق نصف ديوان الشاعر ، وهي نسبة عالية ليس فحسب إذا قيست بمجموع شعر أبي الربيع - وهو قليل - وانما إذا قيست كذلك بما عند معاصريه المغاربة من رصيد في هذا الفن . ولعلنا قد نفتقد مثل هذه النسبة حتى عند غير معاصريه .

وليس الغزل عند شاعرنا من ذلك اللون التقليدي الذي يستهل به الشعراء قصائدهم ويقدمون به لغيره من الأغراض ، وانما هو غزل مستقل في كيانه غاية لذاته .

وقد سبق ان اشرنا في ترجمتنا للشاعر إلى أن هذا الغزل لا يكشف فقط عن إحساس مرهف ووجدان مشبوب ، بل يكشف كذلك عن عاطفة عميقة تفتحت لحب صادق وهب قلبه اياه ، فلم يظفر منه بغير قليل من ألوان المتعة والنعم . فهو قد أحب وقاسى من حبه ، فعبر عن ذلك في غزل رقيق عفيف لا يبتعد عن اللفظ الشريف والغاية النبيلة ، فيه وجدٌ وشكوى وحرقة وبكاء ، وسهاد وشوق ، وحزن ورهبة ، وقلق وصبر . تنأى الحبيبة فيذهب النوم عن عينه ويسهر يرعى النجوم ويبكي بدمع منهمر غزير :

الِفْتْ جفوني الدمع فيك الوف فلها على رعي النجوم عكوف
وتعلمت كيف البكاء قدمعها يربي على قطر الحيا وينيف

ولكن البكاء لا يطفىء من نار البعد والشوق ، وانما يزيد لها اشتعالاً والتهاباً :
فبكى ليظفي حره بدموعه غلطاً فكان الدمع بعض زناده
عجباً لنار لم يزدها دمعها إلا وقوداً وهي من أضداده

ويكتب لها عسى أن يكون في ردها ما يشفي غلته فلا يزيد الجواب إلا
إحساساً بألم البعاد ونار الشوق :

كتبت إليها أشتكي ألم النوى لعلني أرى يوماً إليّ كتابها
وكنت أرى ان الجواب تعلق فقد زاد ما بي ان رأيت جوابها
ويبعث لها الرسل يزورونها ويحملون لها تحياته وأشواقه :

وزر الديار إذا وصلت مسلماً واندب بها قلبي الصريع طويلاً
واقراً السلام على ألوفاً وقل لها بتلطف: أحبيبي - فديت - قتيلاً

ويوصيهم بالتلطف في إخبارها ، حتى لا تقلق وتضيق . ويدفعه الخوف
من ازعاجها إلى الترفق في تبليغ سلامه فيكلف الطير بنقل ما بينها من عواطف:

يا أيها الطير خبر ما للحبيب لدينا
وانه ليس شيء احب منه إلينا
واقرا السلام عليه منا ومنه علينا

ويطلب منها أن تسأل الريح :

أقول إذا هب النسيم غدية على كبدي الحرى عليك بليلاً
سل الريح لم فاح الغداة نسيمها أجزت على مغنى الحبيب ذيولاً

ولكنه لا يلبث أن يستسلم لهجرها بعد أن عجزت كل وسائل الاتصال عن
اقناعها بحاله :

ان يكن وصلٌ فنعم لعيني أو يكن هجر فصبر جميل

وهو على الرغم من البعد والهجر يحافظ على العهد وعلى الأمل في تحقيق
الوصل :

لا تحسبوا أني كلفت بغيركم وجدأ وأني خنتكم عهدا
 ما ذاك من شيم الكرام وإنني أرعى الزمان وأحفظ العهدا
 إن كان هذا الدهر حالف صرفه فينا البعاد وأظهر الحقدا
 وتعصبت لفراقنا أيامه وتجمعت لقتالنا جندا
 فالله يخلف ظنه ويديلنا وصلاً وينظم شملنا عقدا
 ويتيح للصبر المشوق لقاءكم عَجَلًا فيضحى عيشه رغدا

ويتساءل عما إذا كانت تحافظ مثله على العهد :

أُوفُ وقاك الله كل مساءة بعيشك قولي كيف حالك من بعدي
 حفظت ذمامي أم نسيت مودتي فاني وحق الحب باق على العهد

وهو في ذلك يتحمل ألواناً من الحن لا يواجهها بغير الصبر وإن عيل :

لا تضق ذرعاً بمهنته فاغترار الصب في المهن
 عيل صبري في محبته واعترتني أضرب الحن

وقد غدا من ذلك يعاني من السقم والنحول وكثرة البكاء :

ترون جسوماً براها النحول تكاد من السقم ألا تكينا
 وناراً مضمرة في الحشا تسيل على الخد ماء معيناً

بل لقد غدا من فراقها أبيض الشعر منهك الجسم لين العظم دائم البكاء
 والسهاد :

وشيتن أيام الفراق مفارقي وأنهكن من جسمي وأبلين من عظمي
 فمها يراني الناس قالوا صباية أضرت به ماذا اعتراه من السقم
 فقلت لهم : ما الأمر ، ما قد طلبتم ألا فاسألوني تجربوا بعدُ عن علم

ترادف طول البين صيرني كما ترون وأبدى ما أسر من الكتم
 ووكتل طرفي بالسهاد فليس لي منام ولكني رقيب على النجم
 إذا هجع النوم أرسلت عبدة وعفيت آثار الركائب بالثم
 أغالب نفسي كي أفوز بغفوة لعمي أرى فيها الأحبة في الحلم
 وتتحقق له هذه اللحظة فينعم فيها بالوصل :

جاد بالوصل فلما ان رأى فلق الصبح دعا وانطلقا
 ترك الصب على حال ردي مقلًا غرقى وقلبا محرقا
 أشكر الله كفاني وصله والرضى عني وقرب الملتقى
 ومبيني معه يجمعنا لحف العز وأبراد التقى

وهو لا يلبث يطرح التساؤل عن هذه الزيارة الليلية التي تتيحها له الحبيبة ،
 البخيلة بها في النهار :

ألا كيف زرت الصبّ في فاحم الدجى وقد كنت في وجه الصباح بخيلا
 على أنه لا يقنع بزيارة الطيف ويظل أبداً يطلب الوصل الحقيقي في
 لهفة ورجاء :

لعل الذي قد قضى بالنوى سيجمعنا بكم أجمعينا

ولكن اللقاء كالفرار ، مصحوب بالدموع ، وإن كانت دموعاً من نوع آخر :

تلاقينا على باس فكانت تحيتنا مساجلة الدموع
 فلو أبصرتنا يوم التقينا كما التقت الأطباء لدى الشروع
 بكينا في الفراق وفي التلاقي فلم تخل المدامع من هموع
 فيوم فراقهم أسفاً عليهم ومن فرح بهم يوم الرجوع

وهو قبل أن يتحقق له اللقاء، وعلى الرغم من وضعه المؤلم بعيداً عن حبيبته،
لا يسلم من لوم العواذل ، ولكنه لا يعيرهم اهتماماً :

يا لائماً في الحب لا يقلع أقصر فإنّ اللوم لا ينفع
ففي غزال فؤادي له مرعى وفي النفس له مكرع
آليت لا أصغي إلى لائمه حتى ولو لام الورى أجمع

وهو في هذا كله يحمل الدهر مسؤولية التفريق والابعاد :

فلو ان هذا الدهر ينصف شاكياً لفرق ما بيني وبين المصائب
ولو انه يجري على العدل حكاه لجمع ما بيني وبين الحبايب

ولعله في ذلك على حق ، إذ كلما تهيأ له لقاء الحبيبة نادى داعي الواجب
للرحيل إلى غزو أو غيره من المهمات التي تناط به . ويقف موزعاً بين نداء قلبه
كمحب جادت عليه الحبيبة بالوصال ، ونداء واجبه كأمر يقدر مسؤوليته في
الدولة .. فلا يتردد لحظة في تلبية داعي الوطنية والمجد ، لا يثني عزمه إغراء
أو عاطفة :

وقائلة أين الترحل سيّدي وتترك قلبي من هواك مصدّعا
فقلت لها مهلاً فلست بتارك لعذلك ما أرجو به ان أرفعاً
إذا ما أردت الغزولم يثن عزمي رخم يسوم العزم ان يتمنعاً
...

فلما رأى ان لا انتشاء وانني عزمت بكى خوف النوى ثم رجّعا
وقال رعاك الله مالي حيلة سوى انني أدعو لترجع مسرعاً
فليلته ما شجى حبيباً رأيتـه تفيض مآقيه عشية ودّعاً
ولله ما أندى ازاراً بفضله مسحت له يوم التفريق مدمعاً

والقصيدة تذكرنا في هذا الموقف بقصائد الشعراء الذين تتشبه بهم زوجاتهم وحببياتهم حين يزعمون على السفر والرحيل ، فهي تذكرنا برائية أبي نواس (22) التي يمدح فيها الخصيب (23) ويصف رحلته اليه ، والتي يقول فيها متحدثاً عن حبيبته :

تقول التي من بيتها خف مركبي	عزيزٌ علينا ان نراك تسير
اما دون مصر للغنى متطلب	على ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بواذر	جرت فجرى في جريين عير
ذريني أكثر حاسديك برحلة	الى بلد فيه الخصيب أمير
إذا لم تزر أرض الخصيب ركبنا	فأي فتى بعد الخصيب تزور

وهي تذكرنا كذلك بقصيدة ابن زريق (24) العينية التي يقول فيها :

(22) هو الشاعر المشهور أبو علي الحسن بن هانئ الحكمي المعروف بأبي نواس . ولد بالاهواز حوالى عام ١٤٠ و توفي ببغداد حوالى عام ١٩٥ . له ديوان طبع في القاهرة وبيروت . انظر في أبي نواس (اخبار أبي نواس) لابي هفان المهزبي ، واخبار أبي نواس ونوادره ومجونه لابن منظور ، وابو نواس لحسن الامين ، وأبو نواس بين التخطي والالتزام للدكتور علي شلق ، وألحان الحان لعبد الرحمن صدي ، وانظر قصيدته الرائعة في « أبو نواس » لحسن الامين صفحة 101 الى 106 .

(23) صاحب مصر من قبل الرشيد . وقد رحل اليه أبو نواس من بغداد ومدحه بعدة قصائد ولكنه لم يلبث ان هجاه .

(24) هو الكاتب الشاعر أبو الحسن علي بن زريق البغدادى . رحل إلى الأندلس وبها توفي عام 420 هـ (1029) .

أنظر بروكلمان 1 صفحة 133 وكشف الظنون الجزء الثاني صفحة 1326 وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي الجزء الأول صفحة 164 - 165 - 166 حيث وردت القصيدة كاملة .

لا تعذليه فان العذل يولعه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه
جاوزت في لومه حداً يضر به من حيث قدرت ان اللوم ينفعه
...

قد كان مضطهماً بالبين يحمله فضلعت بخطوب البين أضلعه
يكفيه من روعة التنفيذ ان له من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر الا وأزعجه رأي إلى سفر بالعزم يجمعه
كأنما هو من حل ومرتحل موكل بفضاء الأرض يذرعه
...

تأبى المطالع إلا أن تجشمه للرزق كداً وكم ممن يودعه
...

أستودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الازرار مطلعاه
ودعته وبودّي أن يودعني صفو الحياة واني لا أودعه
وكم تشفع بي أن لا أفارقه وللضورات حال لا تشفعه
وكم تشبث بي يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلات وادمعه
لا اكذب الله ثوب العذر منخرق عني بفرقة لكن ارقعه

وأبو الربيع في موقف الوداع يواجه كذلك ابنته التي تتساءل عن رحيله بعين
باكية ، ثم لا تلبث أن تستسلم فتودعه داعية له :

تقول ابنتي الصغرى غداة رحيلنا وأدمعها كالقطر بل هي أسرع
حنانيك هذا البين حتم وقوعه علينا فما ينفك منه تروّع
وشدت على حضني كفّي مشوقة وقالت أبي تمضي فما لي أرجع
بنية كفي من بكائك واصبري ولا تجزعي ان البكا ليس ينفع
فقالت على اسم الله فارحل مصاحباً وسر في أمان لا نبابك مضجع

وعلى الرغم من عفة أبي الربيع التي شابه فيها شعراء البادية الأمويين (25) وشعراء العاطفة العباسيين (26) فإنه - على عكسهم - أحب أكثر من واحدة، فقد ذكر لما اسم ألوف ورملة وأشار في بعض شعره إلى ثلاثة لم يذكر اسمها كانت تلومه بدافع حبها له لا شك وقدعوه إلى هجر ألوف ، ولكن يبدو أنه لم يكن يبادلها نفس الشعور وأنه كان يردها عما هي بصدده :

الأتقي كفي فما أنا بالذي أصبح الى قول العواذل مسمعا
ولا تكثري لومي فلست بهاجر ألوفاً ولو خولت كسرى وتبعنا
وكيف بنفسي بالسلو عن التي شربت بها كأس الصبابة مترعا
وعلققتها طفلاً صغيراً ويافعا فما إن أرى عنها، حياتي، منزعا

كذلك تغزل أبو الربيع في أخرى رابعة يبدو أنه تعلق بها خلال مقامه بتلمسان حين كان في جفوة المنصور :

وفي عادة من ظباء القصور تركت فؤادي لديها رهينا
تقطع نفسي عليها اشتياقاً ويذهب قلبي إليها حيننا

ونكاد نميل الى أن الشاعر لا يعبر في هذه القصيدة عن غير حبه لألوف أو رملة بعد ان حالت جفوة المنصور له دون مقابلتها .

وعلى الرغم من أننا لا نعرف عن ألوف إلا أنها أم حفصة ، فإننا لا نستبعد أن تكون زوجته وأم أولاده، لم يفرق بينهما غير المهمات التي كانت تضطره إلى السفر :

(25) هم شعراء المدرسة العذرية ، من أبرزهم قيس بن ذريح وقيس بن الملوح وكثير بن عبد الرحمن وجيل بن معمر .

(26) أمثال العباس بن الأحنف وعلي بن الجهم ودعبل وأبي العتاهية .

يا أم حفصة والمطيئ بنا على قرب من العذب الشهي المورد
هل بلغتك الريح أني قادم ومسلم ان شاء ربي في غد

ومع ذلك ففي البيت التالي ما يبعد هذا الافتراض :

كيف امتنعت ألوفنا من وصلنا هذي الزيارة لم تكن في موعده
ولعله - وخاصة بهذا الفراق المتواصل - مال الى رملة التي لا شك انها كانت
من طبقة ألوف والتي كان يريد اخفاء حبها عن ان يشيع بين الناس فلا تلبث
دموعه ان تفشيه :

واني لأخفي حب رملة جاهداً وأعلم حقاً انه سيشتيع
وما أنا بالمفشي له انما الذي ينم به دمع يلم هموع

ولسنا نشك في ان حب الشاعر لأكثر من واحدة لا يعني انه كان من طبقة
الاباحيين الذين تنقلوا من واحدة الى أخرى طلباً للعبث واللهو ، فهو قد أحب
المرأة انساناً يسعى الى قلبها فعبّر عن حبه في غزل رقيق وصف فيه كما رأينا
مشاعره وعواطفه دون اسراف أو جنون ، واحبها فناناً معجباً بجمالها يرسم
صورتها غير مسف في التصوير أو مفحش في الوصف ، متورعاً عن ذكر ما
يخدش العفة والاباء :

أمشبهة ريم النقا ومها القفر ونخلة حسناً سنا الشمس والبدر
ورائعة الحسن الذي قيد طائعا فأودع ما بين الجبين الى النحر
ومن خدها يري على الشمس بهجة ومن قدها يزري على الغصن النضر
ومن لحظها يغنى عن الفتك بالظبا ببيض رفاق أو مثقفة سمر
بلك من كش هضم ومعطف وردف ثقیل قد تمايل مزور
وثغر شنيب يضحك الحسن فوقه وطرف عليل قد تكحل بالسحر

ويصفها كذلك فيقول :

أوجهك يا فتاة أم قمر السعد وتلك الثريا أم مخنقة العقد
أريت بياض الصبح في فاحم الدجى وأطلعت بدر التم في القصب المد
وقدأ يحاكي الرند ليناً ونفحة إذا هبت الريح الرخاء على الرند
أراد قوام الغصن يحكي انثناءه وأين قوام الغصن من ذلك القند
كأن قضيب الآس لونا ونعمة قوامك إذ تخطو بمخضرة البرد

فأبو الربيع كغيره من شعراء الغزل في الجاهلية والاسلام أحب في المرأة
الوجه الوردي والعنق الطويل والجبين الواضح والقم العذب والرائحة العطرة
والقوام الرشيق والخصر النحيل والردف الثقيل والشعر الفاحم والأسنان
اللؤلؤية المنظومة ، وهي كلها أوصاف تناولها شعراء المشرق منذ قال
امرؤ القيس :

هصرت بفودي رأسها فتأملت عليّ هضم الكشح ربّ الخلخل
مهففة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

...

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش إذا هي نصّته ولا بمعطل
وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث كقنو النخلة المتعكل

...

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المدلل (27)

وهي نفس الأوصاف التي تصور المثل الأعلى لجمال المرأة عند أغلب شعراء

الأندلس (28) والتي تمثلها هذه الأبيات من مقصورة حازم (29) :

فرع أثيث فوق فرع ناعم قد ماس من سكر الشباب وانثنى
وغرة شب بقلبي نورها نارا فأمسى للشجون مصطلى
وناظر يمنع كل ناظر من ورد خد ناضر أن يحتنى
خط قويم بين قوسي حاجب وشارب كلاهما قد انحنى
ومبسم يزدحم البرق به إذا انبرى ما بين ظلم ولما
وعنق كأنه جيد طلى قد عطف الليث التفاتاً وعطا

28) اختلف شعراء الاندلس في تصوير المثل الاعلى لجمال المرأة ، فاذا كان أغلبهم قد وافقوا المشاركة في تمثيلهم لهذا الجمال فان بعضهم خالف هذا المثل كان حزم الذي كان يحب الشعر الأشقر الذي يرى فيه لون النور والتبر والرجس ، ويكره الشعر الاسود الذي لا يرى فيه غير لون أهل جهنم والرايات السود :

يعيبونها عندي بشقرة شعرها	فقلت لهم هذا الذي زانها عندي
يعيبون لون النور والتبر ضلة	لرأي جهول في الفواية تمتد
وهل عاب لون الرجس الغض عائب	ولون النجوم الزاهرات على البعد
وأبعد خلق الله من كل حكمة	مفصل جرم فاحم اللون مسود
به وصفت ألوان أهل جهنم	ولبسة باك مشكل الاهل محتد
ومذ لاحت الرايات سوداً تيقنت	نفوس الورى ان لا سبيل الى الرشد

انظر طوق الحمامة صفحة 30 .

وابن حزم في هذا يوافق شعراء بني امية الاندلسيين الذين كانوا يفضلون الشقراوات (انظر الشعر الاندلسي لغارسيا غومس ص 47) .

29) هو حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني ولد بقرطاجنة بشرق الأندلس سنة 608 (1211) ثم انتقل إلى افريقية حيث توفى بتونس عام 684 (1285) .

انظر ازهار الرياض الجزء الثالث صفحة 172 وبغية الوعاة صفحة 214 ونفح الطيب الجزء الثاني صفحة 72 .

ومعهم شكا السوار ربه لما تشاكت ريّ ساقيه البرا
ومعطف لين وخصر ذابل ظام وردف ناعم قد ارتوى (30)

ولم يكن غزل أبي الربيع ليخلو من بعض اللقطات الحسية التي تصوره
يطلب المتعة ويسعى إلى اللذة ، ولكنها لقطات لا تبدو في غير مجالس الشرب
كما سنرى عند الحديث عن خمریات الشاعر ، أما فيما عدا ذلك ، فقد كان عفيفاً
يحسب للفضيلة حسابها ويحترم نفسه ويقدر مركزه .

والذي نريد ان نسجله لأبي الربيع انه انتهى من طول معاناته الصادقة
للحب الى استخلاص ما يشبه نظرية فلسفية ترى ان طريق الحب وعرواى امره
خفي وان حقيقته غير معروفة :

ومن ركب الحب في المرتقى فقد ركب المنهج الأوعرا

...

الحب دق فلا تُدري حقيقته فمن يرد فيه لا يقدر على الصذر
وجل عن ان يرى يخفى فمكنه في القلب مثل كمن النار في الحجر
ان تقدحوا زنده تظهر حرارته أو تتركوه خفى عن أعين البشر

ومثل هذا الرأي يذكرنا بتفسير ابن حزم للحب حيث قال : « الحب ...
دقت معانيه لجلالته عن ان توصف فلا تدرك حقيقته إلا بالمعانة » (31) .

بل يزيد أبو الربيع فيتوج هذه المعانة بالاستشهاد :

صلّوا على ميتكم انه يوم النوى استشهد في المعترك

(30) رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة لأبي القاسم الفرناطي الجزء الأول من
صفحة 185 إلى صفحة 188 .

(31) طوق الحمامة صفحة 5 .

ويكفيه في ذلك رثاء قاتله حيث يحذر من المطالبة بدمه :

صد عني صد محتشم ورثا لي وهو يقتلني

...

فاحذروا ان تطلبوا بدمي طَرفه خوفاً من الفتن

وعلى الرغم من ان أبا الربيع في غزله لا يعبر عن غير أحاسيس وعواطف صادقة ، وعلى الرغم من ان صدق هذه العواطف والأحاسيس جعل تعبيره عنها لا ينبع من غير أعماق نفسه ، فانه لا يستبعد أن يكون قد تأثر بمن سبقه أو عاصره من الشعراء . وليس من شك في انه من الصعب ان نحدد مواطن هذا التأثير لا سيما والمعاني التي طرقتها شائعة بين شعراء الغزل في كل عصر . ومع ذلك فقد ذكر جامع الديوان في مستهل القصيدة التي أولها :

يا خليلي بذى الأثل قفا وسلا ربعم كيف عفا

انه قالها في طريقة مهيّار (32). ولسنا ندري اذا كان الغساني يعني بهذه الملاحظة قصيدة بعينها أو انه يعني طريقة الشاعر العراقي في عمومها المتسممة بالروح البدوية . وأغلب الظن انه لا يقصد الى غير هذا الرأي . وطريقة مهيّار لا تبعد كثيراً عن طريقة أبي الربيع : عفة في الغزل ومعان مألوفة وبكاء ونحيب ولوعة وصبر وانتحاب للبعد والفراق . ومن خير ما يمثل هذه الطريقة قصيدته التي يقول فيها :

(32) هو مهيّار بن مرزويه الديلمي الفارسي كان مجوسياً راسم . توفي سنة 428 هـ . له ديوان طبع في أربعة أجزاء (دار الكتب المصرية بالقاهرة - 1925) ، انظر مقدمة الديوان فقد وردت فيها ترجمة الشاعر منقولة عن وفيات الأعيان لابن خلدان و « المنتظم في تواريخ الملوك والأمم » لأبي الفرج الجوزي . وانظر كذلك تاريخ الفكر العربي لاسماعيل مظهر (فصل مهيّار الديلمي ، دلالة شعره على نسبه من ص 173 إلى ص 183) .

يا نداماي بيسلّع هل أرى ذلك المغبى والمصطبحا
أذكرونا ذكرونا عهدكم رب ذكرى قرّبت من نزحا
واذكروا صبّا اذا غنى بكم شرب الدمع وعاف القدحا
رجع العاذل عني آيسا من فؤادي فيكم ان يفلحا
لو درى - لا حملت ناجية رحله - فيمن لحاني ما لحا
قد شربت الصبر عنكم مكرها وتبعت السقم فيكم مسمحا
وعرفت الهمّ من بعدكم فكأنني ما عرفت الفرحا (33)

كذلك تذكرنا قصيدة أبي الربيع النونية التي قالها بتلمسان والتي أولها :

وفي غادة من طباء القصور تركت فؤادي لديها رهينا
تقطّع نفسي عليها اشتياقا ويذهب قلبي إليها حنيننا

بقصيدة ابن زيدون (34) النونية التي مستهلها :

(33) الديوان الجزء الأول ص 203 .

(34) هو أبو الوليد أحمد بن زيدون الخزومي القرطبي (394 - 463 هـ) عاش في قرطبة ثم انتقل الى اشبيلية حيث نعم في رعاية بني عباد وهو صاحب ولادة بنت المستكفي . وإليها أرسل قصيدته النونية التي يشكو فيها الآم مجرها له . ولابن زيدون ديوان نشر في القاهرة سنة 1932 بتحقيق كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة ، ورسالة كتبها على لسان ولادة أفحش فيها في هجاء ابن عبدوس منافسه في حب ولادة شرحها ابن نباتة في « سرح العميون شرح ابن زيدون » .

انظر « ابن زيدون » لأحمد زكي « وابن زيدون » للدكتور شوقي ضيف و « ابن زيدون عصره وحياته وأدبه » لعلي عبد العظيم .

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا وثأب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنّا فما ابتلّت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفّت مآقينا

وعلى الرغم من ان القصيدتين لا تشتركان في الوزن ولا في بعض المعاني فإنه لا
يستبعد أن يكون الشاعر المغربي قد قرأها وتأثر بها ولو إلى حد .

ثانياً : المناسبات

يضم هذا الفن ألواناً من الشعر رأينا أن نسلكها في عقد واحد لصدورها عن الشاعر في مناسبات عامة وخاصة وهي :

1 - مجالس الشرب .

2 - التهاني .

3 - الاستعطاف .

4 - الرثاء .

مجالس الشرب :

على الرغم من قلة الشعر الذي أوحى به هذه المجالس لأبي الريبع ، فإنه يعطينا صورة مكتملة عنها تحدت ملاحظها في خمس نقاط :

1 - الوقت المفضل للشرب .

2 - الرفاق الذين يضمهم المجلس .

3 - نوع الشراب ولونه .

4 - وصف الساقى .

5 - رأي الشاعر في الشرب .

أما الوقت فعمشية حيث الشمس غاربة والطيور مفردة وعين الزمان نائمة :

فاغتنبها يا خليلي ولاء واغتم نومة عين الزمان
حيث عود الروض عود فصيح ومن الأغصان فيه مئان
ومن الطير قيانٌ عليها ومن الزهر ستور القيان
وإذا الشمس أوان الغروب لونها أحمر كالجر قان
عندما تسقط في الماء ناراً يصعد الليل كمثل الدخان

وكا يشربها غبوقاً فانه يشربها صبحاً بل لعله يفضلها كذلك ، اذ نراه
ينصح خليله ان يستيقظ من النوم لاغتنام الصبح :

لا يؤثر النوم في حال تلذبه فكم تنام طويلاً بعده وكم
وقد نصحتك في شرب الصبح فلا تضيّع النصح اني غير متهم

وقد سبق أبو نواس الى هذا النصح حين قال :

فلما رأيت الصبح أسفر وجهه وحنت نواقيس الدجى في الهياكل
طفقت أفديّه وأدعوه باسمه فقال مجيباً : ما تشا ؟ بتناقل
فقلت له : تفديك نفسي وأسرّي ويفديك طراً كل حاف وناعل
فقم فاصطبجها وانف عنك خارها فليس لها مثل الصبح المعاجل (35)

وقد يكون الفصل شتاء تطر له السماء :

الجو يبكي بدموع سجام والروض عن ذاك له ابتسام
فافضض من الدن لنا ختمه فأول اللذة فض الختام

ويتحدث ابن المعتز عن الشرب في هذا الفصل معللاً له بتعليل آخر رائع :
هجم الشتاء ونحن بالبيداء والقَطَر بِلّ الارض بالأنواء
فاشرب على زهر الرياض يشوبها زهر الخدود وزهرة الصهباء (36)
وقد يكون ربيعاً يتهلل له الجو وتبتسم له الطبيعة :

لله يوم أينعت ثمراتُه سمرت لنا عن وجهه لذاته
ألقى الربيع عليه حلة وشيه فتضوعت بنسيمها نفحاته
والأنس مبثوث بدير كؤوسه رشاً تغاير في الجمال صفاته

وأما الرفاق فاثنتان تراه يحشهما على ان يسقياه ويشربا حتى ينفوا الهم :
خليليّ اشربا واسقياني وانفيا الهم ببنت الدنان

وقد يكون رفيقاً واحداً كما سبق ان رأينا في نصحه بشرب الصبوح .
ويبدو أن أبا الربيع في تحديده لرفاق مجلس شربه بهذا العدد يوافق سابقيه من
الشعراء . فأبو نواس - وهو المعلم الأول الذي قتن شرب الخمر وسن آداب
المنادمة يحدد العدد الأقصى للرفاق فيقول :

ثلاثة في مجلس طيب وصاحب الدعوة والضارب
فان تجاوزت الى ثالث أذاك منهم شغب شاغب (37)

وهو قد يشرب مع رفيق واحد اذا كان من طبقة عالية :

(36) الديوان الجزء الثاني ص 27 .

(37) الديوان ص 105 .

ومتصل بأسباب المعالي له في كل مكرمة قديم
رفعت له النداء بقم فخذها وقد أخذت مطالعها النجوم (38)

ومثل أبي الربيع نجد ابن المعتز يشرب مع رفيقين :

اسقياني واعملا طربا وأديرا الكأس وانتحبا (39)

أما الخمر فهي عند أبي الربيع مدامة ومشمولة وبنت الدنان ، وهي معتقة
تذكر بعهود الفرس القديمة :

خمرة تذكّرني عهد كسرى وابن ساسان وعبد المدان

بل انها عصرت من عهد حام :

واسقنيها سلسبيلا عصرت من عهد حام

وقدّم الخمر ممدوح عند سائر الشعراء ، فأبو نواس يقول :

ولا تسقنيها بنت عشر فانها كما عصرت لم ينس فرقتها الكرم
ولكن عجوزاً بنت كسرى قديمة معتقة قد دب في طينها الحلم (40)

وابن المعتز يقول :

سلافة ورثها عاد عن إرم كانت ذخيرة كسرى عن أب وأب (41)
ويقول :

(33) الديوان ص 55 .

(39) الديوان الجزء الثاني ص 31 .

(40) الديوان ص 104 .

(41) الديوان الجزء الثاني ص 30 .

أَسْكَنُوهَا فِي الدَّنِ مِنْ عَهْدِ نُوحٍ كَظْلَامٍ فِيهِ نَهَارٌ حَبِيبِيسَ (42)

وَالْخَمْرُ عِنْدَ أَبِي الرَّبِيعِ حِمْرَاءُ تَشْبَهُ لَوْنُ خَدِ السَّاقِي :

وَسَاقٍ يَطُوفُ عَلَيْنَا ضَحَى وَكَأْسُ الْمَدَامَةِ فِي رَاحَتِهِ

وَقَدْ أَشْبَهَتْ رَاحَتُهُ خَدَهُ فَخَلَّتْ الْمَدَامَةُ مِنْ وَجْنَتِهِ

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ ابْنُ الْمَعْتَزِ :

كَأَنَّ سِلَافَ الْخَمْرِ مِنْ مَاءِ خَدِهِ وَعَنْقُودُهَا مِنْ شَعْرِهِ الْجَمْعُ يَقْطِفُ (43)

أَمَّا السَّاقِي فَمِنْ خَدِهِ تَعَصَّرَ الْخَمْرُ ، وَهُوَ جَمِيلٌ وَأَحْوَرُ ، يُسْكِرُ بِنَظَرَتِهِ
أَضْعَافَ مَا تَسْكِرُ :

تَنْبِهِ إِلَى شَرْبِ مَشْمُولَةٍ يَطُوفُ عَلَيْنَا بِهَا جَوْذَرٌ

يَدُلُّ شَذَاهَا وَإِشْرَاقُهَا عَلَى أَنَّ مِنْ خَدِهِ تَعَصَّرُ

إِذَا شَاءَ أَرْسَلَهَا نَظْرَةً فَتُسْكِرُ أَضْعَافَ مَا يُسْكِرُ

فِيَا عَاشِقِينَ عَلَى رِسْلِكُمْ مِنَ الشَّرْبِ سَاقِيكُمْ أَحْوَرُ

مَتَى يَسْتَفِيقُونَ مِنْ سُكْرِ مَنْ إِذَا فَنَيْتَ خَمْرَهُ يَنْظُرُ

وَالِى حَوْرَ عَيْنِ السَّاقِي يَشِيرُ أَبُو نَوَاسٍ حِينَ يَقُولُ :

يَسْقِيكُمَا أَحْوَرُ الْعَيْنَيْنِ ذُو صَدْعٍ مَشْمَرٌ بِمَزَاجِ الرَّاحِ قَدْ حَذَقَا (44)

(42) الديوان الجزء الثاني صفحة 50 .

(43) الديوان الجزء الثاني صفحة 54 .

(44) الديوان صفحة 64 .

والشاعر لا يسكر فقط بل يحفظ الساقى وخمره ، وإنما يمزجها بلثم الرضاب
ورشف الريق :

فمدامتي من كأسه ولحاظه وتنقلي برضاه رشف رضابه
فلئن سكرت لقد شربت مزاجها من ريقه وجفونه وشرابه
وهو يذكرنا بقول أبي نواس :

يسقيك كأساً من مشعشة ممزوجة من فيه بالظلم (45)

وقول ابن المعتز :

سقاني خمرأ من يسديه وريقه فأسكرني سكرين من دون جلاسي (46)

وقول تميم بن المعز :

يدير بريقه ويدير خمرأ شرابُ في شراب في شراب
كأن يديه حاكت وجنتيه بنار يصطلى منها لهاب (47)

وأبو الربيع في ذلك كله لا يصني لمن ينكر الشرب :

لست أصغي لعذول عليها شأنُ من يعذلي غير شأن
فهي ليست حراماً عنده :

ولا ترى إلا إلى نشوة تمحو فما في مثل ذا من حرام

(45) الديوان صفحة 178 .

(46) الديوان الجزء الثاني ص 50 .

(47) الديوان ص 57 .

ولا مانع لديه من طلب اللهو والسعي إلى اللذة ما دام سينسك إن طال به العمر :

فاقض الذي تهواه من لذة لا بد ان عشت من النسك

وقريب من هذا المعنى قول ابن المعتز وهو لا يستعجل التوبة :

اعاذلُ دع لومي وهات وهات هل العيش فاصدق غير ذا بجياي
اعاذل اني لا أعاجل توبة ولست ألاقي توبة بأناتي (48)

التهاني :

سبق ان قلنا في الحديث عن حياة أبي الربيع انه كان عالي النفس رفيع الهمة لا يتملق الخليفة أو يتمسح بأعتابه على عادة امثاله من الأمراء والأدباء ، وان ما قاله في المنصور والناصر - وخاصة منها الأول - لا يكاد يذكر في ديوانه وبالتالي لا يضعه في طبقة المداحين . والحق ان أبا الربيع لم يمدح المنصور سعيًا وراء الكسب والارتزاق ، وإنما تأثراً بمواقفه وإعجاباً بشجاعته ، مما جعل مديحه صادقاً ليس فيه اسراف أو غلو يضعان الخليفة في غير نطاقه الانساني . فهو يمدحه بالشجاعة وقوة الجأش ونصرة دين الله :

فأنتيت تنصر أمره متوكلاً ومع التوكُّل عزيمة ومضاء

وأخذتَ للأعداء كل ثنية فرأيت كيف تقتل الأعداء

وإذا ما حمي الوطيس فلا مفر منه للأعداء إذ الأرض كلها في قبضته :

أين المفر ولا مفر لهارب والأرض تُنشر في يديك وتجمع

وهو يذكرنا بمدح الشريف الطليق المرواني لعبد المؤمن في ندوة جبل الفتح حيث قال :

ما للعِدا جِنة أوقى من الهرب أين المفر وخيل الله في الطلب
وأين يذهب من في رأس شاهقة وقد رمته سماء الله بالشهب (49)

ومع ذلك فهو لا يرضى بغير الملوك والأمراء غنيمة :

لم ترض إلا بالملوك غنيمة نعم الغنائم عمرك الأمراء

ويصف الشاعر الخليفة بأنه يضى الظلماء وبأنه سحابة هطاء تروي روضة
عطشانة وبأنه شمس تبعت الفياء والهجير :

ضأت بنور إيابك الظلماء وتبشرت بقدمك الأرجاء
وهل البلاد وأنت إلا روضة عطشانة وسحابة هطاء
كالشمس تبعت فيئها وهجيرها يضحي الهجير وتخضر الأفياء

وتشبيه الخليفة بالشمس قديم ، لجأ إليه نابغة بني ذبيان (50) في إعلاء قدر
النعمان (51) على أقدار غيره من الملوك ، وهو تعليل غير تعليل أبي الربيع ،
فقال :

(49) المعجب ص 216 .

(50) هو أحد شعراء المعلقات ويسمى زياد بن معاوية بن ضباب بن جناب الذيباني ويكنى
بأبي أمامة وأبي ثامة . اشتهر بمدحه النعمان بن المنذر ملك الحيرة . له ديوان نشره
ديرنبورج عام 1868 - 1869 في المجلة الآسيوية معتمداً على نشر الشنتمري ، ونشره في
القاهرة مصطفى أدم عام 1910 بعنوان « التوضيح والبيان عن شعر نابغة بني ذبيان » .
انظر في النابغة : الأغاني - طبعة دار الكتب - ج 11 من 3 إلى 41 .

(51) هو النعمان الثالث بن المنذر اللخمي أحد ملوك الحيرة في الجاهلية وممدوح النابغة
وحسان بن ثابت وحاتم الطائي .

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكب (52)
والشاعر لا ينسى وهو يمدح شجاعة الخليفة وتقواه أن يبدي إعجابه بالجيش
وكتائبه القوية التي ملأ رجالها عزم النفوس وتقوى الله وحب نجدة الجار :

وكتائب منصوره يحدو بها عزم إذا امضيته لا يرجع
من كل من تقوى الإله سلاحه ما إن له إلا التوكل مفزع
لا يسلمون إلى النوائب جارهم يوماً إذا أضحى الجوار يضيع

وقد غدا الفتح يصاحب هذه الكتائب ممزجاً بها حتى لا يدري أيسبقها أم
تسبقه :

الفتح يقدمها وتقدمه فما يدري أمام عندها ووراء
ويمكس الشاعر تهنيئته للخليفة بالفتح ، فيهنئ الفتح بالخليفة انه فتحه :

أخليفة الله الرضي هنئته فتحاً يد بمثله ويشفع
وليهن هذا الفتح أنك فتحتة وبحسبه منك النصيب المقنع

ومثل هذه التهنية المعكوسة تذكرنا بقول تميم يمدح العزيز بالله ويهنئه بالعيد :

أهنيك بالعيد الذي أنت عيده ونورُ سنا اقباله حين يسطم
ولو لم تكن فيه لما لاح بدره ولا أشرقت شمس الضحى حين تطلع (53)

(52) انظر الاغاني الجزء الحادي عشر 39 .

(53) الديوان ص 262 .

وبلغ من تقديره لشجاعة ممدوحه انه تمنى لمولوده الا يفارق المهد الا ليحمل
السيف ويمتطي متن الخيل الجرد المطهمة :

تطلّع في أفق السيادة والمجد هلال علا حفت به انجم السعد
فقال سرير الملك مهلاً فإننا بمقعده أولى وأحرى من المهد
ولاح فلاح السعد مقترباً به كأنهما من قبل كائنا على وعد
فلازمه حتى يفارق مهده الى مُتْنِ الخيل المطهمة الجرد
ويخدمه بيض الصوارم والقنا وينزلها من أمره منزل العبد

ولا شك ان الشاعر وهو يرسم هذه الصور للمنصور وابنه انما كان يرسم
نموذج شخصية مثالية متكاملة للخليفة الموحدى ، ولكن لا كما تخيلها في ذهنه ،
وإنما كما صورتها له الحقيقة والواقع .. فقد كان المنصور بحق مثلاً في التقوى
والشجاعة وشدة البأس وتدبير شؤون الدولة . وتهنئة الشاعر للمنصور بمولوده
تذكرنا بتهنئة ابن المعز للامام العزيز بمولود ولد له ، حيث يقول :

ليهن الملك مالكة الجديد ووارثه وان رَغِمَ الحسود
...

فأفنية الزمان به ملاء وكوكبها بأسعد سعيد
وليد كانت الدنيا ترجى ولادته وترقبه السعود

إلى أن يقول :

فكيف إذا غما واشتد حتى تتم به المصادر والورود
وقاد الخيل واعتقل العوالي وخافته التهائم والنجود (54)

وأبو الربيع ، قبل هذا وبعد ، يصف المنصور بأنه أمير المؤمنين :

واسلمُ أمير المؤمنين لأمة أنت الملاذ لها وأنت المفزع

وهو عزة الاسلام ونصرة الدين :

يا عزة الاسلام منك ونصرة الدين الغريب

وهو غرة الدين :

يا غرة الدين كم لله من نِعَم بكم على الدين والدنيا ومن نعم

وهو إمام :

فليطلبوا الأمن من إمام في كفه الصفح والعقاب

وهو فخر الزمان وقطب الخلافة :

فخِرَ الزمان بأن ملكت قياده وبدا عليه البشر والإقبال

...

يهنيك يا قطب الخلافة أوبة ظفرت لها بجليها المعطال

وهو شرف الخلافة :

يعقوب يا شرف الخلافة لم أرد إلا التيمن والتبرك باسمك

وهو خليفة الله :

خليفة الله إن تشكرك أندلس تشكرك معنى وإن لم تشكرك إفصاحا

وهو الذي يقود الهدى :

قدت الهدى مثل الصباح تبتلجا وحميت ليلا للردى محلوكا

ومثل هذا يمدح به الناصر حيث يصفه بخليفة الله الرضى ووليه وابن
الخلائف الهادين :

أخليفة الله الرضى ووليه دعوى محب قريسة وتوسلا
وابن الخلائف والذين يهديم زال الضلال عن البسيطة وانجلا

بل هو وريث الخلافة والمقدم فيها رغم تأخيره :

قسماً لئن ورث الخلافة آخرأ لهو المقدم بالخلافة أولا
مثل النجبي محمد ما شانه تأخير مبعثه وكان الأفضلا

وبمثل هذه المعاني المقعمة بروح المذهب خاطب المنصور من قبل حين وصفه
بأنه خليفة الله وذخره وبأنه خير الخلائق والمقدم عليها وبأن الله أودع سره
وهده في عشيرته :

ان الذي سماك خير خليفة جعل الخلافة فيكم لا تنزع
لكم الهدى لم يؤتِه إلا كم ومن ادعاه يقول ما لا يُسمع
هيهات سر الله أودع فيكم والله يعطي ما يشاء ويمنع
ان قيل من خير الخلائق كلها فأليك يا يعقوب تومي الاصبع
فلأنتم ذخّر الخلافة والتي عين الزمان لوقته تتطلع

وهذه معان تشم منها رائحة مذهب المهدي ورأيه في الامامة والخلافة ، وقد
سبق أن فصلنا الحديث عنه ، (55) والذي نريد أن نسجله في هذا الصدد ان
مدح أبي الربيع للمنصور يدخل في نطاق التيار المذهبي الذي ساد العصر فبدأ

تأثيره العقدي في امتداح بعض الشعراء المغاربة لهذا العهد ، وخاصة منهم ابن حبوس وأبو حفص الاغماتي وأبو العباس الجراوي (56) .

ولم يكن هذا التأثير العقدي يظهر في أمداح الشعراء المغاربة فحسب ، بل كان يظهر حتى عند الشعراء الأندلسيين الذين كانوا يمدحون الحلفاء الموحدين ، ونخص منهم بالذكر أبا عبد الله الرصافي ، فقد أنشد يوم جبل الفتح قصيدة أولها :
لوجئت نار الهدى من جانب الطور قبست ما شئت من علم ومن نور
من كل زهراء لم ترفع ذؤابتها ليلاً لسارٍ ولم تشب لمقرور
فيضية القدح من نور النبوة أو نور الهداية تجلو ظلمة الزور
حتى أضاءت من الايمان عن قبس قد كان تحت رماد الكفر مكفور
نور طوى الله زند الكون منه على سقط إلى زمن المهدي مذخور (57)

وعذده كلها معان تذكرنا بمعاني الشعراء الفاطميين وما كانوا يمدحون به الأئمة من صفات صبغتها العقيدة الفاطمية . ويعتبر تيم بن المعز من أهم هؤلاء الشعراء الذين كانوا بمثابة دعاة لهذه العقيدة . فهو يقول في إحدى قصائده للعزیز :

يا ابن الأئمة والهادين متصلاً بصفوة الله أهل الوحي والصور

...

جئت الخلافة لما أن دعمتك كما وافى لميقاته موسى على قدر

...

ما أنت دون مبعوك العالمين سوى روح من القدس في جسم من البشر

(56) انظر الفصل الثاني من الباب الأول .

(57) المعجب 218 - 221 .

نور لطيف تنهى فيك جوهره تناهياً جاز حد الشمس والقمر
 معنى من العلة الأولى التي سبقت خلق الهيولي وسط الأرض والمدر
 فأنت بالله دون الخلق متصل وأنت لله فيهم خير مؤتمر
 وأنت آيته من نسل مرسله وأنت خيرته العزاء من مضر
 لو شئت لم ترض بالدنيا وساكنها مثوى وكنت ملك الأنجم الزهر (58)

الاستعطف :

من المؤكد ان هذا الشعر صدر عن أبي الربيع أيام محنته، وجهته إلى المنصور يستعطفه ويطلب صفحه ، فهو يكشف عن قلق وضيق لا يبعثان على اليأس والقنوط وإنما يبعثان على التفاؤل والأمل في الإصلاح ، فهو حائر بين سحق الخليفة والذنب الذي هو بريء منه :

رضاك أمير المؤمنين فاني أعالج بين السخط والذنب مشكلا

وهو معنى قريب من قول أبي جعفر بن عطية يستعطف عبد المؤمن :

أنوح على نفسي أم أنتظر الصفحا فقد آن أن تنسى الذنوب وان تحي
 فها انا في ليل من السخط حائر ولا أهتدي حتى أرى للرضا صبعا (59)

وأبو الربيع يعرف انه بريء ولكن ما فائدة ذلك وهو لم يحرز رضا الخليفة :
 ابرىء نفسي ان علمت خلوصها واعتبها ان لم تقز بك أو لا

(58) الديوان ص 223 - 225 .

(59) أنظر العلوم والفنون والاداب على عهد الموحدين ص 220 .

لذا فهو يطلب منه ان يعفو على عادته ويصفح عنه :

أقل عثرة الدنيا وان عظمت ذنباً ودع عتبها ان العتاب لها عتبي
حنانيك لا تبخل عليّ بمدحة فمثلك من يدعو لعفو ومن لبي
أقلها فقد ألزمتَ نفسك عادة من الحلم لا تبقي على مذنب ذنباً
ويطلب منه الا يكثرث لما حدث :

فلا تكثرث مما جرى فلربما تعرض مكروه بما يحسن العقبي
وهو معنى قريب من قول المعتمد بن عباد (60) يستعطف أباه :

ولا ترعك خطوب ان غدا زمن فالله يدفع والمنصور ينتصر (61)

ثم هو لا ينسى ان يمدحه ويتمنى له بلوغ مراده في فتح الشرق والغرب :

بقيت أمير المؤمنين وأمركم مؤتسى له يستخدم الشرق والغرباً
فعما قريب ينجز الله وعده لأمرك حتى تفتح الشرق والغرباً

ولعل المنصور لم يرض عن أبي الربيع إلا بعد أن كتب له أبياتاً وصفه فيها

(60) هو أعظم ملوك الطوائف وأشهرهم . يسمى أبا القاسم محمد ويلقب بالمعتمد على الله والظاهر بجول الله والمؤيد بالله . تولى ملك اشبيلية سنة 461 وهو ابن ثلاثين عاماً وتوفي سنة 479 هـ . انظر أخبار المعتمد وبني عباد في المعجب من 93 إلى 164 وفي تاريخ الأندلس على عهد المرابطين والموحدين ليوسف اشباخ لدى اخبار المرابطين من 78 إلى 253 وانظر كذلك في المعتمد مقدمة ديوانه بقلم أحمد بدوي وحامد عبد المجيد وكتاب المعتمد بن عباد للدكتور عبد الوهاب عزام ونفح الطيب وقلائد العقيان وذخيرة ابن بسام .

(61) الديوان ص 97 .

بكعبة الجود التي يحج لها عرب الشام والديلم والغز ، وكانوا قد وفدوا عليه :
يا كعبة الجود التي حجت لها عرب الشام وغزها والديلم
طوبى لمن أمسى يلوذ بها غدا ويطوف بالبيت العتيق ويحرم
ومن المعائب أن يفوز بنظرة من بالشام ومن بمكة يحرم
ويبدو ان المنصور استحسن مقصد الشاعر فعمدا عنه .

وواضح من هذا الشعر ان أبا الربيع وهو يستعطف انما كان يحاول تبرئة
نفسه والنفاذ إلى قلب الخليفة بتوضيح موقفه ، ولم يكن يتملكه التعالي
والغرور ولم يكن يتوعد ويتهدد كما كان يفعل ابن زيدون - مثلاً - في استعطافه
ابن جهور ، على ما يبدو من قوله :

فتأمل كيف يغشى مقلة المجد النعاس
ويفت المسك في التراب فيوطا ويداس (62)

وقوله :

يلبد الورد السبنتى وله بعد افتراس (63)

الرتاء :

صدرت عن أبي الربيع مرثيات قالها في فقد بعض أفراد أسرته ، لعل من
أشهرها المرثية التي ندب فيها أخاه أبا حفص. وهي قصيدة تصور فداحة ما أنزل
القدر بالشاعر وتبدي ترفحه من هول المصاب ، وتكشف مشاعر أخ تعمقه الحزن
واكتوى قلبه به . وأبو الربيع في مرثيته لا يؤن أخاه بمعنى انه لا يشيد به أو

(62) الديوان ص 3 .

(63) الديوان ص 3 ، والورد : الأسد ، والسبنتى الجريء .

ينوه بمقامه ويثني عليه ، وإنما هو يعبر عن حزنه في وضوح وصدق . ويبدو
انه كان أصيب من قبل - ولعل المصاب كان والده - فلم تكن الجروح قد
اندملت بعد ، ولكن قضاء الله المحتوم يأبى إلا أن يوالي عليه المصائب
والخطوب فلا يجد لها مرداً غير ذرف المعبرات والدموع :

أتاني نعيّ ضاق صدري بحمله وصدري كما قد تعلمان رحيب
فمرّ بقلب لم تدمّل قروحه كما مر بالجر الدفين هبوب

...

ولكنّ قضاء الله حتم فليس لي سواه على حمل الخطوب حسيب
خطوب إذا قاومت أوكدت بعضها رمتني بما لا أستطيع خطوب
فها أنا صبراً للحوادث لم أجِد سوى عبراتي والعزاء دروب

وهو معنى يذكرنا بما جاء في رثاء المتنبي لوالدة سيف الدولة حيث يقول :

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابني سهام تكسرت النصال على النصال
وهان فما أبالي بالرزايا لأنني ما انتفعت بأن أبالي (64)

فأبو الربيع يذوب أسى وصبراً على أخيه ، ويعاني بينها صراعاً في نفسه :
وكيف أبا حفص أطيق تصبراً وبين الأسى والصبر فيك حروب
فإن ذبت صبراً أو أسى ما علمتني على أحد إلا عليك أذوب

(64) الديوان ص 253 فما بعدها بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام ، طبعة لجنة التأليف
والنشر القاهرة 1944 .

ولكنه لا يلبث أن يستسقي لأخيه سحب الرحمة والغفران :
 فسقى ثراك الله صوب غمامة تسحُّ عليه رحمة وتصوب
 وأعطاك رضوانُ الذي أنت جاره بحيث يلذ الملتقى ويطيب
 وهذا قريب من قول ابن المعز في رثائه لآل البيت :

سقى حفرأ وارتمك وحوتمك من المستهلات العذاب عهاد (65)

ولا يكتفي أبو الربيع بالتعبير عن حزنه والدعاء لمصابه وإنما هو يفكر
 بعض الشيء يحاول أن يستخلص عبرة من موقف الموت فلا يرى في الحياة غير
 الغرور والخذاع ، وهو لا يعجب من ذلك وإنما يعجب من اغترار الناس
 بها وركونهم منها للوفاء :

بعيد مدى العمر الطويل قريب وان طال عمرٌ فالحياة تريب
 وليس عجباً غدرها بك إنما ركونك منها للوفاء غريب

وهو يذكرنا بقول ميمون الخطابي في رثائه لعبد الله بن الجعد (66) :

يا من يؤمل ان يبقى وقد نفضت أيدي المقادير من ابرام تقدير
 هذي الحقيقة لا ما حدثتك به آمال نفسك عن دنياك من زور
 لا تخدعَنَّك الليالي ان فتنها كادت فكادت ترينا كل محذور (67)

ومثله قول ابن المعتز في رثاء أخيه عقيل :

(65) الديوان ص 121 والعهاد : الغيث .

(66) ولد أحمد بن الجعد وزير اشيلية وأحد كبرائها .

(67) ازهار الرياض الجزء الثاني ص 380 - 382

نحن في غفلة وللموت فينا طالب مدرك مجدٌ قدير
نستطيب المنى وهن عواصٍ فنطيل الآمال وهي غرور (68)

وقد رثي الشاعر أخاه في قصيدة ثانية عرض فيها بعض خصاله وفضائله
على حد قوله في هذه الأبيات :

نعمي المجد ناعٍ فأبكي السما وأسبل دمعاً لها عندما
نعمي أطيب الناس جرثومة وخير ملوك الدنيا منتمي
نعمي قمر السعد بدر العلا فعاد النهار لنا مظلماً

...

فكم معرك قد غدا عاطلاً وملحمة أصبحت أَيْماً

...

فن ذا ينبه إن أيقظت حروب العدا الأعين النوما
ومن ذا يجرد إن أوقطت عيون المها الصارم المخدما
ومن ذا يسدر في مأزق لظعن نحور العدا اللهدما
ومن ذا يجود على معشر ويلبس ثوب الغنى المعدما
فلا تدعُ سقياً لبطن الثرى فقد أودع المطر المثجما

ولعل من أروع مراثياته هذه القصيدة التي قال عند فقد ابنه محمد حيث لا
قدرة له على العزاء وهو يرى لداته حوله فلا يحس بغير الألم والحزن :

كيف العزاء وقد أودى محمدنا فالصبر ينسف والسرء تكتسح

...

أرى لدائك حولي لا أسرُ بهم إذ لا تضمك تلك الأوجه الصُّبح
يا زهرةً أذوت الأيام نضرتها إني رثيت ودهراً كنت أمتدح
آليت بعدك لا أحنو على ولد ولا يلمّ بقلبي بعدك الفرح
وفي قصيدة أخرى - رثاه بها لا شك - يقول إنه يفقده ذاق الموت :
يذوق الموت من يفقد بنيه لأن البعض في بعض القبور
وما ابنه إلا قطعة من كبده اختلست من أضلعه :

جلّ الأسى عن خلدي لقطعةٍ من كبدي
يا حسرته اختلست من أضلعي تحت يدي

وهو لا يرجو لنفسه البقاء وقد عانى من موت الوالد والولد :

كيف ترجّيتي أنفس بقاءها في الجسد
وقد رأيت في والد ما قد رأيت في ولد

كذلك يرثي زوجه أو أم أولاده فيتساءل لِمَ ارتضت السكن في قبر غريب
وتركت قلبه :

أساكنةَ الفلاة ببطن رمس فريد ما له في التراب جار

...

فكيف رضيته وتركت قبراً يكننك أم تعداك الحيار

ويصور في روعة منظر أولادها حوله يبكون ويتألون كلما ذكرها أو وقع
بصرهم على أم :

وحولي من بنيك سقيت غيثاً فراخ كالقطا زغب صغار
يقطعن القلوب عليك مها ذكرتك والدموع لها انهار

ومها أبصروا أما تنادوا بأهم فكيف لي اصطبار
وفي مزج بين رثاء البيت وساكنه يقول هذه الأبيات من قصيدة أنشأها وقد
دخل منزل كريمة له توفيت :

مررت على مغنى الحبيب فهاجني	وذكرني منه الذي كنت آلف
وقد حل فيه غيره فجهلته	وأنكرت من مرآه ما كنت أعرف
فهبج مرآه الأسى فتبادرت	سوابق دمعي تستهل وتذرف
كأن لم يكن لي فيه يوم وليلة	ولم يمض لي فيه ربيع وصيف
فلله أيام تولت لو أنها	إذا ما انقضت عادت تكرر وتعطف
فآه على من بان عنه تأسفاً	وإن كان لا يغني البكا والتأسف

ثالثاً : الوصف

يعتبر شعر أبي الربيع في الوصف على نوعين : احدهما يتخلل بعض قصائده ومقطوعاته في الغزل والمناسبات ، وقد ارتأينا تناوله في موضعه ، فجاله ضيق محدود . والآخر مستقل عن فنون الشعر الأخرى ، أفرده أبو الربيع للتصوير دون استطراد أو مزج ، وخصه بما يكاد يستغرق ربع ديوانه ، وهو ما نعني بحثه في هذا القسم .

وأول ما يلفت النظر لدى أول قراءة لهذا الشعر انه قسمان متميزان : أولهما وصف صريح ، والثاني أحاجٍ والغاز .

الصريح :

أما الوصف الصريح فقد تناول فيه الشاعر ألواناً من الطبيعة جامدة ومتحركة غير مكتفٍ بنقل الصورة على حقيقتها أو إبراز ما فيها من ملامح السحر والجمال ، وإنما هو إلى جانب ذلك يكشف عما توحى به الصورة إليه من عواطف وأحاسيس ، فيبدو وقد تفاعل معها منصرفاً بهذا التفاعل عن كل مبالغة أو تزويق . وعلى الرغم من ان الشاعر لم يصنع هذه الأوصاف - وهي محدودة - في غير قطع قصيرة لا تتعدى الستة أبيات ، فقد استطاع أن ينقل إلينا مناظر مما حوله ملونة في الغالب بأحاسيسه ومشاعره . يقول في وصف خصة من رخام ، وقد شبهها والماء ينساب من جوانبها بتقلته والدمع ينهمر منها يوم ودعته حبيته :

أُنظر إليها وقد سالت جوانبها بالماء سيلاً خفيفاً دمعته يكف
كأنها مقلتي يوم الوداع وقد لاح الرقيب فلا تجري ولا تقف
وهو قريب من قول ابن المعز في فوارة ماء وقد مزج وصفها بالأحاسيس :

شهدت عليه بقلة الصبر وعظيم ما يلقي من الهجر
فوارة حسدت مدامعه وممولها فجرت كما تجري
لكن بدت بدماع يققٍ (69) وبكيت قبل بأدمع حمر (70)

ويقول في وصف خوخة أهداها لمحبيه :

أرسلتُ نحوك يا خليلي خوخة قد جمعتُ فيها الصبَا والشَمَال
لوني ولونك اذ تطل فجاءةً فأراع من حذري عليك وتحجل

فلون الخوخة مزيج من الحمرة والصفرة ولكن الشاعر لا يصرح بهما وإنما هو
يرمز لهما بلونه ولون حبيبه ، فالصفرة لونه وقد أخذه الروح من اطلالة حبيبه
الفجائية ، والحمرة لون حبيبه وقد تملكه الخجل . وكأنه بهذا لا يقصد إلى وصف
الشيء بقدر ما يقصد إلى وصف مشاعره وانفعالاته . ووصف الشاعر للخوخ
يذكرنا بوصف ابن المعز حيث يقول :

ولما فاح لي نشرٌ ذكيٌّ من الخوخ المشبه بالحدود
ذكرت به ثناياها ولكن ثناياها لها فضل المزيد (71)

وهو يذكرنا كذلك بوصفه للمشمس إذ يقول :

(69) مدامع يقق : ناصعة البياض .

(70) الديوان ص 216 .

(71) الديوان ص 114 .

يا شجر المشمش لا أصبحت^{٧٢} منك ربا البستان مستوحشة^{٧٣}
يا حُسنه من شجر أينعت أغصانه واحتملت مشمشه
كأنما جمشه (2) عاشق فاصفر^{٧٤} خوفاً منه إذ جمشه (72)

وامتزاج الوصف بالشاعر والأحاسيس وذكرنا بشعراء الأندلس الذين لجأوا
إلى الطبيعة يوضحون شعورهم أو إلى مشاعرهم يكشفون بها عن افتتانهم بهذه
الطبيعة وخاصة منهم ابن زيدون وابن خفاجة (73). يقول ابن زيدون في قصيدة
كتب بها إلى حبيبته :

اني ذكرتكَ بالزهراء مشتاقاً والأفق طلق ووجه الروض قد راقا
وللنسيم اعتلال في اصائله كأنما رق لي فاعتلّ اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم كما شققت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال اعناقا
كان أعينه إذ عاينت أرقسي بكت لما بي فحال الدمع رقرقا
ورد تألق في صاحي منابته فازداد منه الضحى في العيد اشراقا
سرى ينافحه نيلوفر^{٧٥} عقب وسانن^{٧٦} نبه منه الصبح احداقا
كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا إليك لم يعد عنها الصدر ان ضاقا (74)

(72) جمشه : قرصه ولاعبه . الديوان ص 254 .

(73) هو أبو اسحق ابراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة (450 - 533 هـ) من جزيرة
شقر بالقرب من شاطبة ، أنظر المطرب ص 111 والقلائد ص 231 والمغرب الجزء
الثاني ص 367 والرايات ص 87 والنفع الجزء الثاني ص 328 .

(74) الديوان ص 257 - 258 .

ويقول ابن خفاجة :

أجبت وقد نادى الغرامُ وأسمعا عشية غنائي الحمام فرجتما
ألا هل إلى أرض الجزيرة أوبة فأسكن أنفاساً واهداً مضجعاً
أغازل فيها للغزاة سنة تحط الصبأ عنها من الغيم برقعا
وبات سقيط الطل يضرب سرحة ترف بواديها وينضح اجرعا (75)

وإذا كان أبو الربيع في وصفه للخصه أو الخوخة قد ابرز لنا جانباً من
جوانب المنظر ممزوجاً بأحاسيسه وعواطفه ، فهو في غير هذا من الوصف
يفغل حتى عن إبراز هذا الجانب ويكتفي بما يوحي به المنظر من نبضات عاطفية ،
كقوله في قبة لأخيه أبي حفص :

أيا قبة العلياء حلّ بك السعد وحل بك التوفيق واليمن والمجد
وقرّت بما تهواه فيك عيوننا وانجز في لقيا أبي حفص الوعد
وحالفه فيك السرور نحيماً إذا ما أتى وفداً قفا إثره وفد
ولا زال والاقدار تخدم أمره على وفقه والدهر في ملكه عبد

فهو قد أهمل مظهر القبة المادي وتخطاه لما رواءه مما تفيض به نفسه من
تنبات لأخيه .

ولم يكن الشاعر في كل أوصافه يعير الطبيعة مشاعره وعواطفه ، فقد عني
برسم مناظرها وتشبيه ملاحظها كقوله في وصفه دوحة تفاح قد أثار النسيم الزهر
والورق من حولها ، فغدت كملك يلقي نقوداً على السائلين الذين أحاطوا به من
كل جانب :

أنظر إلى دوحة التفاح مال بها ريح الصبا فأثار الزهر والورقا
والنبت من حولها تبدو أزاهره كأنها أنجم قد فُرقت فرقا
كأنها ملك طاف العفاة به ليسألوه فألقى بينهم ورقا
وقوله في وصف الروض مشبها ما بينه وبين الجو بحرب سجال :

بين الرياض وبين الجو معترك وميضه البرق أو سمر من السمر
ان أوترت قوسها كف السماء رمت نبلًا من المزن في درع من الفرر
فتح الشقائق جرحاها ، ومغنمها وشي الربيع ، وقتلاها جنى الثمر
فاعجب لحرب سجال لم تثر ضرراً نفع المحارب فيها غاية' الظفر

وهذا تصوير رائع لاشك يمثل الطبيعة متحركة وفي حالات متعددة من
وجودها تبعث في المنظر حيوية وروحاً متجددين . وهو يذكرنا إلى حد بوصف
للربيع يرسم ابن زبناغ (76) في مستهله منظراً متحركاً للطبيعة حيث يقول :

أبدت لنا الأيام زهرة طيبها وتسربلت بنضيرها وقشيبها
واهتز عطف الأرض بعد خشوعها وبدت بها النعماء بعد شحوبها
وتطلعت في عنفوان شبابها من بعد ما بلغت عتيّ مشيبها
وقفت عليها السحب وقفة راحم فبككت لها بعيونها وقلوبها
فمجبت للأزهار كيف تضاحكت ببكاها وتباشرت بقطوبها
وتسربلت حللا تجر ذيلها من لدمها فيها وشق جيوبها

(76) هو قاضي طنجة أبو الحسن بن زبناغ الصنهاجي الطنجي من رجال القرن الخامس
الهجري كان عالماً مشاركاً وأديباً شاعراً .

انظر القلائد ص 103 والنبروغ الجزء الأول ص 93 .

فلقد أجاد المزن في انجادهما وأجاد حر الشمس في ترتيبها (77)

الأحاجي والألغاز :

وأما الأحاجي والألغاز فقطع وصفية قصيرة رسم الشاعر فيها صور بعض الأشياء التي لا شك اقترح وصفها في مجلسه . وقد لجأ في اخراج هذه الصور إلى الجمع بين المتباعدات حيث يأتي للشيء الواحد بصفات متناقضة على أسلوب الإلغاز كقوله في كتاب الخليفة :

ولا هو حيٌّ إن أردت حقيقة ولا هو ميت مسلم للنوائب
وقوله في العين :

وطائرة تطير بلا جناح تفوت الطائرين وما تطير
وكذلك إلغازه :

وقائمة أبداً دهرها وما هي والله بالقائه
يصيح بها الناس مهما أتت وما ان يخافون من لائه
وما هي إنس ولا هي جن ولا هي يقضى ولا نائه
وليست تكل لطول القيام فخبّر فديتك ما القائه
ومثل هذا التباعد في الوصف نجده في بعض ألغاز ابن المعتز كقوله :

اختان احداهما إذا انتحبت تبكي كباكٍ بدمعة حرّى
وما بها صبرة ولا حزن تضحك منها لدمعها الأخرى (78)
وقوله :

بيضاء ان لبست بياضاً خلتها كالياسمين منضداً في مجلس
وإذا بدت في حمرة فكأنها ورد من الداري حُسناً مكنتي

(77) القلائد 225 .

(78) الديوان الجزء الثاني ص 121 - 122 .

وإذا بدت في صفرة فكأنها نسر ين بستان كريم المغرس
وإذا بدت في خضرة في صفرة فكأنها للحسن باقة نرجس (79)

كذلك لجأ إلى التلاعب بحروف الكلمة وقلبها كقوله في اسم حبيبته أوف :
خليليّ قولاً أين قلبي ومن به وكيف بقاء المرء من بعد قلبه
ولو شئتُ اسم الذي قد هويته لصحفتُ أمري لكم بعد قلبه
وقوله في مرمر :

وإن تزد نقطة في كل سطريكن نعتاً لطعم شهى الأكل فافتطن
وإن قلبت يعدّ من قلبه عجلاً اسماً لشيء بعيد الدار والوطن
قد جاء فيه حديث أنه أبداً ينمي الجسم فهل يخفى على الفطن
وإن أمرت يد المقلوب أمسك من تومي إليه فقد أوضحت يا سكني
وقوله في القمر :

فإن تتفهمه وتقلب حروفه فذلك ما يبقى من النفس يا صاح
وإن تضع الحرف المقدم آخرأ فذاك اسم ما يروي وليس براح
وإن تضع الحرف الأخير مقدماً فذاك اسم ما تبديه كفّ رداح
وإن تضع الحرف الأوسط أولاً فحيث يقر المرء دون جناح

وإلى هذه الطريقة لجأ ابن المعتز في بعض ألغازه كقوله :

أنظر إليه أنايباً منضدة من الزمرد خضر ماله ورق

إذا قلبت اسمه بآنت ملاحته وصار مقلوبه اني بكم أثق (80)

وقد يشير إلى عدد الحروف كقوله في طير لعله الهدهد :

حاجيت ذا فهم وذا فطنة في اسم رباعي من الطير
ان 'قلبت أحرفه أصبحت وصفاً له في هيئة السير

وهو يبعث الروح في الشيء الجامد فيبدو وكأنه حي ناطق متحرك وهذا واضح في وصفه لورود كتاب الخليفة حيث يقول :

يحل حبا الاملاك طراً إذا أتى ويخبرهم بالحداث العجائب
ترى حوله الخذاق يستنطقونه فيلقي عليهم جامعات الغرائب
بأحسن ما يلقى الحديث محدث وأقرب إسناد لأشرف صاحب
فيحمل عنه الناس أعلى رواية تشد لعلقها قتود الركائب
كما هو واضح في قوله يلغز للظل :

ورب خليل لا يفارق مضجعي ولا يسأم النسيان حيث أسير
فطوراً أمامي دون دفع مضرة وطوراً يحاذي منكبي فيسير
كثير التزام الخيل ما خان صاحباً ولكنه عند الأنام حقير
إذا غاب عني لم أجدي وحشة كما ان أتاني لا يلم سرور
على انه مغرئ بشأني كله ولا هو منهبي ولا هو مأمور
وإن مس من أهوى فما بي غيرة وإني كما قد تعلمون غيور
مديم الصيام والقيام وما به إلى الدين ميل إنه لحسور

ومثل هذا التشبيه يذكرنا بوصف لابن الطلاء (81) يلغز به في الخرشوفة مشبهاً إياها ببكر من الروم في خدر حيث يقول :

وبنت ماء وترب جودها أبداً لمن يرجيه في حصن من البخل
كأنها في بياض وامتناع ذرى بكر من الروم في خدر من الاسل

والذي يبدو من جميع الالغاز الواردة في الديوان وغيره ان الشاعر يصف الشيء ثم يوجه السؤال كقوله في كتاب الخليفة بعد أن وصفه :

فخبر عن الموصوف ان كنت حاذقاً فهذه صفات لست فيها بكاذب
وقد يسأل قبل أن يصف كقوله مستهلاً أحد الالغاز :

ما اسم لشيء وهو شيء ناطق من غير لفظ بيتن وصراح
وقد يصف ولا يسأل كقوله في القلم والدواة :

وميت برمس طعمه عند رأسه فان ذاق من ذاك الطعام تكلم
يموت فيحيا ثم يفرغ زاده فيرجع للقبر الذي منه قيما
فلا هو حي يستحق كرامة ولا هو ميت يستحق ترحا

وقد يستعمل فعل الإلغاز والحاجة كقوله :

ألغزته في شعري اسماً فاستمع لغزي هو اسم شيء نقي الوجه والبدن
وقوله :

أحاجيك ما اسم الذي قد أسرف في صده

(81) من شعراء المائة الخامسة، الهدية، أنظر الرايات لابن سعيد ص 110 .

والسؤال يدفعه دائماً إلى الخطاب ، والخطاب موجه إما إلى واحد أو اثنين من خلانه كما هو واضح في الأمثلة السابقة .

والإحاجي والالغاز بعد هذا مطارحات شعرية قصد منها الى ترويض الذهن واختبار الذكاء . ولعلها لم تصدر غير ارتجال ، ومن وحي المجلس الذي اقترح تبادلها فيه . وقد كان الأولى بنا ان نسلکها في شعر المناسبات لولا انها قطع وصفية تعب الشاعر في جمع صورها في تكلف واغراب يحيدان به عما ألفنا عنده من سهولة ووضوح . واغلب الظن ان اللغز الواحد كان يشترك في وصفه أكثر من واحد وكأنه مساجلة يقترح موضوعها في المجلس فيمتسارع الحاضرون الى القول ، ولعلنا نستطيع ان نستنتج من هذا الظن ومن التكلف الواضح في تصوير هذه الالغاز انها ليست كلها لأبي الربيع وان بعضها صادر عن رفاقه الذين كانوا يتطارحونها معه في المجلس . ومع ذلك ، فنحن لا نذهب الى اتهام الشاعر بما ينكر عليه شاعريته كما فعل المراكشي وابن عبد ربه ، وقد سبق ان فصلنا القول في هذا الموضوع .

رابعاً : الزهد

قول أبي الربيع لا يعني أنه زهد في الدنيا وتنسك ولبس الصوف واعتكف على الذكر والعبادة ، وإنما هو يبدي عاطفته الدينية التي لا شك ان طول تجاربه أثر عليها وأظهرها .

وليس من شك في ان هذا الشعر صادر عن تقوى حقيقية وإيمان راسخ يؤكدهما خلو الشاعر — على ما سبق ان رأينا — مما يشوب سلوكه وأخلاقه . وأبو الربيع في هذا الشعر يذكر الله فتفيض مدامعه ويذكر الحشر فتثقله الذنوب :

إذا ما ذكرت الله فاضت مدامعي على كل ما فرطت فيض السحائب
وأذكر يوم الحشر ان جئته غداً وذنبى معي والذنب أخبث صاحب

وهو يرى الانسان نائماً طول حياته لا ينبهه غير الموت :

ستعلم نفس قد قضى الله نحبها بأية ما كانت تجاهر ربهها
وما المرء إلا نائم طول دهره إذا ما انقضى عمر الحياة تنبها

لذا فهو يسرع بطلب التوبة :

أقل عثرني اني أتيتك نائماً وليس مقيم في الذنوب كآيب

وهو حين يفعل ذلك لا ييأس أو يتشائم ، بل يظل كبير الأمل في رحمة الله وغفرانه :

أُعَاتِبَ نَفْسِي طَامِعاً فِي ارْتِجَاعِهَا وَلَوْ كُنْتُ ذَا يَأْسٍ لَخَلَّيْتُ عَتَبَهَا
وَلَكِنِّي أَرْجُو لَهَا مَنَ بِفَضْلِهِ إِلَى الْعَمَلِ الْأَرْضِيِّ يَقْلِبُ قَلْبَهَا

وهو لا يفتأ يتوجه الى الله مبتهلاً إليه وباحثاً عن الخلاص :

إِلَيْكَ إِلَهِي قَدْ قَصَدْتُ بِحَاجَتِي وَحَسْبِيَ أَنِّي قَدْ قَصَدْتُكَ رَاغِبَا
قَصَدْتُكَ لَمَّا أَثْقَلُ الذَّنْبَ كَاهِلِي فَلَا تَرْجِعْنِي خَفَرِ السَّعْيِ خَائِبَا
أَجْرِنِي مِنْ أَوْزَارِ غُرْقَتِ بَيْحَرِهَا وَخُذْ بِيَدِي إِنِّي أَتَيْتُكَ تَائِبَا
وَعَجَّلْ خَلَاصِي إِنِّي بَكَ عَائِدُ تَعُوْذُ مِنْ أَضْحَى مِنَ النَّارِ هَارِبَا
فَمَازِلَةٌ إِلَّا وَعَفْوُكَ فَوْقَهَا وَإِنْ كُنْتُ فِي الزَّلَاتِ أُرْتَعِ لَاعِبَا
وَمَا أَحَدٌ أَرْجُو لِكَشْفِ مَلَمَّتِي سِوَاكَ فَبَلِّغْنِي الَّذِي كُنْتُ طَالِبَا

وحرصه على توجيه النصيحة يجعله يوجه الخطاب تارة إلى النفس وأخرى إلى الغافلين والنائمين ينبههم على حد قوله :

يَا نَفْسَ حَسْبِكَ مَا فَرَطْتَ فَازْدَجِرْ عَنْ الذُّنُوبِ فَإِنَّ الْقَبْرَ مَثْوَاكَ
وقوله :

يَا غَافِلَا عَنْ ذِكْرِ مَوْلَاهُ وَذَاهِلَا عَنْ شُكْرِ نِعْمَاهُ

وقوله :

يَا رَاقِداً مَلَأَ عَيْنِيهِ يَهْدُهُ لَيْنُ الْفَرَاشِ وَعَيْنُ اللَّهِ تَرَصُّدُهُ

وقوله :

يا نائماً ليله والعمر ينصرم مستغرقاً في الكرى ، يلهو به الحلم



ولو حاولنا أن نبهت في خصائص شعر أبي الربيع ، لألفينا أن العاطفة هي قوة الدفع التي صدر عنها هذا الشعر . وهي عاطفة سامية وصادقة ، صورها في أمانة وإخلاص ، سواء نحو نفسه أو نحو غيره . وهذا واضح في غزله الذي يكشف عن معاناته الصادقة لتجربة الحب ، كما هو واضح في إعجابه بالخليفة وتأمله لمواقف انتصاراته . ولا شك ان صدق الشاعر في مدحه للمصور ليس ناشئاً فقط عن كون الخليفة يتحلى حقاً بما أسبغ عليه الشاعر من صفات — كما أثبت واقع التاريخ — بل هو ناشئ كذلك من ان المادح كان يعتقد صادقاً مخلصاً ان ممدوحه كذلك . ولعلنا نستطيع ابداء مثل هذا الرأي في رثاء الشاعر لابنه وأخيه ، بل لعلنا نستطيع ابداءه حتى في خمرياته حيث تبدو وقد صدرت عنه في حال نشوة لا شك انه كان في بحبوحتها صادقاً مقتنعاً بما يقول .

وربما كان الشاعر في الوصف أقل صدقاً وأفتر عاطفة ، ولا نغني سائر فن الوصف ، وانما نعني مطارحاته الالغازية التي لا تكشف عن غير التكلف والتعقيد والمعاناة . أما في غيرها من الوصف فهو يرى رؤية شفافة لا تجعله يصور الأشياء كما هي في الواقع بكامل حرفيتها وجزئياتها ، وانما هو يمزجها بانفعالاته وأحاسيسه ، وكأنه يخشى على عاطفته ان يزيفها الوصف ، فلا يلجأ إليه إلا بقدر ما يصور ملاحظها ويبرز معالمها . مما يجعلنا لا نغلو في الحكم إذا قلنا انه صادق في وصفه ، بدليل ان هذا الوصف لا يشغلنا عن تأمل أحاسيس الشاعر . وهذا واضح في وصفه للخوخة وخصه الماء . فهو يقول في الأولى :

أرسلت نحوك يا خليلي خوخة قد جمعت فيها الصبأ والشمال
لوني ولونك اذ تطل فجاء فأراع من حذري عليك وتخجل

ويقول في الثانية :

أنظر إليها وقد سالت جوانبها بالماء سيلاً خفيفاً دمعته يكف
كأنها مقلتي يوم الوداع وقد لاح الرقيب فلا تجري ولا تقف

وقد يطلق العنان لأحاسيسه فتطغى على الوصف حتى لا يبدو في الصورة غيرها كما هو واضح من قوله في قبة أخيه أبي حفص :

أيا قبة العلياء حلّ بك السعد وحل بك التوفيق واليمن والمجد
وقرت بما تهواه فيك عيوننا وأنجز في لقيا أبي حفص الوعد
وحالفه فيك السرور نحيماً إذا ما أتى وفد قفا إثره وفد
ولا زال والافتاد تخدم أمره على وفقه ، والدهر في ملكه عبد

وإذا كان الشاعر يطلق العنان لانفعالاته وعواطفه أحياناً فهو لا يطلقه لخياله حتى يعيد خلق الأشياء من جديد أو يرتفع بها الى أعلى مما هي عليه في الواقع لتكمل صورتها أو تبدو أكثر وضوحاً وصفاء ، وإنما هو يلاحظ الأشياء بدقة وعمق يجعلانه يتصور الأشياء بعد في ذهنه على حد ما تكشف لنا أوصافه للطيور في الألغاز كقوله مثلاً :

ألا أيها الحبر ما طائر قصير الجناح طويل الذنب
يقلّب عينيه في رأسه كنقطتي الزنبق المنشعب

فمثل هذه الدقة في وصف عيني الطائر توضح لا شك قدرة الشاعر على استعادة صور الأشياء في ذاكرته ، إذ لا يظن ان مثل هذا الطائر كان أمامه ساعة كان يلغز فيه الى رفاقه في المجلس .

وليست توازي قدرته على تصور الأشياء غير قدرته على إدراك ما بينها من علاقات تخرج لنا منها تشبيهات حية كقوله يصف الشمس ساعة الغروب :

وإذا الشمس أوان الغروب لونها أحمر كالبحر قان
عندما تسقط في الماء ناراً يصعد الليل كمثل الدخان

وقوله يصور الروض في وصف متحرك حي :

بين الرياض وبين الجو معترك ويبضه البرق أو سمر من السمر
ان أوترت قوسها كف السماء رمت نبلاً من المزن في درع من الغرر
فتح الشقائق نعماءها ومغنمها وشي الربيع وقتلاها جنى الثمر
وقوله يصف ورود كتاب الخليفة وقد بعث فيه روحاً حوله من شيء جامد
الى حي ناطق متحرك :

يحل حبا الاملاك طراً اذا أتى ويخبرهم بالحادثات العجائب
ترى حوله الحذاق يستنطقونه فيلقي عليهم جامعات الغرائب
بأحسن ما يلقي الحديث محدث وأقرب اسناد لأشرف صاحب
فيحمل عنه الناس أعلى رواية تشد لمليها قتود الركائب

وقد يتخطى الشاعر هذه العلاقات بين الأشياء ليصل منها إلى صفات
متباعدة كما هو واضح في أغلب ألقازه وأحاجيه ، حيث يجمع بين متناقضات
ومتضادات تذكرنا بعض الشيء بتوافر الاضداد عند أبي تمام (82) لولا انها غير
صادرة عن فلسفة وتفكير عميق كما عند الشاعر الطائي ، وإنما هي صادرة عن
تفنن يقتضيه الترويض الذهني الذي يفرضه موضوع الالغاز .

ولعلنا من هذه الحقيقة نستطيع أن نصل إلى ان أبا الربيع لا يعتبر من

(82) انظر الحديث عن توافر الاضداد عند أبي تمام في كتاب « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » للدكتور شوقي ضيف ص 250 .

أصحاب الأفكار الذين يزخر شعرهم بالحكمة ، فأفكاره عادية وواضحة ، وقلّ
ان نعثله على فكرة هي غاية في ذاتها ، وإنما هو غالباً ما يمزج الفكرة
بأحاسيسه كما يتضح من بعض أفكاره في الزهد والرتاء والنسيب .

يقول من أبيات يخاطب بها نفسه :

وما المرء إلا نائم طول دهره إذا ما انقضى عبر الحياة تنبها

ويقول في مطلع رثائه لأخيه :

بعيد مدى العمر الطويل قريب وان طال عمر فالحياة تريب
وليس غريباً غدرها بك إنما ركونك منها للوفاء غريب

ويقول في الحب :

الحب دقّ فلا تدري حقيقته فمن يرد فيه لا يقدر على الصدر
وجل عن أن يُرى يخفى فهمه في القلب مثل كمن النار في الحجر
ان تقدحوا زنده تظهر حرارته وتتركوه خفى عن أعين البشر

ولا يعني وجود هذه الظاهرة ان الشاعر كانت تعوزه الثقافة ، كما قد يتبادر
إلى الذهن أول الأمر ، ففي ثقافته التي سبق ان أبرزنا ملامحها ما يكفي لإمداد
فكره ، وإنما يعني ان ثقافته لم تتخمر في ذهنه بقدر ما تخمرت انفعالاته في
وجدانه ، فكان ان اختفى الفكر وبرز الانفعال متطوراً إلى عاطفة وإلى حب ،
وكان بالتالي ان غدت هذه العاطفة قوة تدفع الشاعر إلى القول أكثر مما يدفعه
الفكر . ولعله من هنا كان لا يحدد في معانيه ، وإنما يردد معاني قديمة ومألوفة ،
شأنه في ذلك شأن معظم شعراء العربية في هذا العصر ، فقد كانوا « عاجزين عن
التجديد إلا في حدود ما سبقهم من أفكار وخواطر ... ما يزالون يتناقضون فيها
بينهم حتى يحدّثوا لأنفسهم تلك النماذج التي يسمونها قصائد » (83) .

(83) الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص 357 .

وربما كان في هذا القول بعض المبالغة ، إذ ليس المطلوب من الشاعر - أي شاعر - « أن يجيء بالمعنى الجديد الذي لم يسبق إليه ، وليس من علامات التفوق أن يخترع ويبتكر المعاني والصور إلا عند من أخطأ فهم مهمة الشاعر ، وإنما يطلب من الشاعر ما يعرف باسم الاصاله ، والاصالة لا تتم إلا إذا توافر لها عنصران : أولهما عمق احساس الشاعر ، وثانيها استقلاله وتميزه في التعبير عن هذا العمق . وفي الحق ان الأمرين وجهان لشيء واحد . أما عمق الاحساس فهو انه ينفذ إلى إدراك ما يخفى عن الناس أو ما يشبه أن يكون خافياً عليهم بسبب إلفتهم له ... واما الاستقلال في التعبير فهو الوجه الثاني من المسألة ، لأن عمق الاحساس يبت في أسلوب التعبير عند الفنان ما يجعله مختلفاً عن أساليب غيره ما دام إحساسه مختلفاً » (84) .

ولعل ما نلمسه في شعر أبي الربيع من إحساس صادق عميق وتعبير تلقائي سهل لا يجعله يبعد كثيراً عن هذين العنصرين المطلوب توافرها لدى كل شاعر أصيل .

وكما أخذ شاعرنا منه بقيود غير قليلة في المعنى جعلته لا يجيد عن المعاني التي طرق القدماء ، فكذلك سار على نهجهم في استعمال بعض الألفاظ التي تشم منها رائحة الشعر الجاهلي وصحراء الجزيرة العربية ، كنجد ومنى والركب والناقة والحادي والعيس ، والتي هي لا شك أثر من آثار قراءته في شعر القدماء .

أما فيما عدا هذه المواضع المحدودة ، فألفاظه لا تخلو من قوة وإيجاء يجعلانها تتناسق مع التعبير وتتألف مع الجملة معبرة ومؤثرة حتى ليصير بعضها لا أداة تعبيرية فقط ، بل جزءاً مكملًا للصورة ومقوياً لها . يقول في قتل الفتح :

(84) ابن سناء الملك أو مشكلة العمق والابتكار في الشعر للدكتور عبد العزيز الاخواني

ومصرّعين مضرجين كأننا سكروا فصبّت فوقهم صهباء

ويقول في وصف الحر :

واسقينها سلسيلا 'عصرت من عهد حام

ويقول في وصف حبيبه :

ان قستها بالشمس أين السنا أو قستها بالغصن أين القوام

ويقول في يوم أنس وراحة :

لله يوم قد تكامل أنسه أبدت لنا وجه المسرة كأسه

فالتزام الشاعر في البيت الواحد لحروف لها جرس معين من شأنه أن يوحى بالمعنى ويقويه ويخلق نوعاً من الموسيقى الداخلية يزيد في تموجها تألف الحروف والألفاظ وتجاوبها جميعاً مع التركيب . وقد يكون في القافية نفسها ما يوحى بالمعنى والجو على حد ما نلاحظ في اختياره لقافية القطعة التي منها البيت الأخير . بل ان الشاعر يلجأ أحياناً الى تقطيع البيت وتقسيمه الى فصل وعبارات تضاعف من نغمة الموسيقى كما هو واضح في قوله يصف حبيبته :

كالهلال ، كالقضيبي ، كالطلا ان تبدّى أو تشنى أو رنا

ويقول يصفها كذلك :

هي الظبي جيداً هي السيف لحظاً هي البدر حسناً هي الغصن ليناً

ويتضح لنا الاعتناء بموسيقى الشعر عند أبي الربيع في هذه الأبيات المتموجة التي توحى تقاطيعها بالموصوف ، وكذلك تردد بعض الحروف فيها ، يقول :

بين الرياض وبين الجو معترك بيض من البرق أو سمر من السمر
إن أوترت قوسها كف السماء رمت نبلا من المزن في صاف من الغدُر

فتح الشقائق جرحاها ومغنمها وشي الربيع وقتلاها جنى الثمر
لأجل هذا إذا صبت طلائعها تدرّع النهر واهتزت قنى الشجر
ويقول :

أنا إن قاومته جرعني غصص الموت كريات المذاق
أو أنا أرضيته أو رُضته عله يرضى تهادى في الشقاق
وشدا مستهزئاً ينشدني من لنا بعد افتراق بتلاق
وانبرى مستأنفاً عادته من مجيري منه قد ضاق الحناق

وهو كثيراً ما يستعمل التصريح إمعاناً في تقفية شعره وكأن قافية واحدة
لا تكفيه . ومن الأمثلة على ذلك قوله في آخر بيت من مقطوعة غزلية :
وقلت كفاني قد قضيت فريضتي فنفسي الى مرعى المعاطن حنت

وقوله كذلك في آخر بيت من مقطوعة في نفس الموضوع :

ومن سفه الحب ليث الشرى يحكم في نفسه الجؤذرا

ومع ان الشاعر - كما يبدو - معنى بتجميل شعره وترنيمه - ولو إلى حد ،
إلا انه لم يستعمل المحسنات البديعية إلا قليلاً . فمن قوله في الجناس :

أظنك مثلي قد أطيل عتابه وقلّ بما لم يبد للناس عاذره
ملوماً على من لو تبدّى لأصبحت عواذله في الحب وهي عواذره

ومنه كذلك :

نأيت وقلبي في يديك أسير فكيف بلا قلب إليك أسير

ومن قوله في الطباق :

فالقلب في حرق والجفن في أرق وللبلابل إصدار وإيراد

ومن قوله في المقابلة :

وكلما قربت مني دياركم ينأى المزار كأن القرب ابعاد

ومنه كذلك :

أصولها للسماء صاعدة وقضبها ضد ذاك منحدره

وفي شعر الأحاجي والالغاز ألوان مختلفة من هذه المقابلات سبق أن
أشرنا إليها .

ولا شك ان عدم اسراف أبي الربيع في التزييق والتنميق جعل في شعره
كثيراً من السهولة والوضوح ، ولكن في لغة فصيحة وسليمة لا تشوبها اخطاء
اللغة أو كلمات العامة . وقد يبدو غير طبيعي أن تحتفي مثل هذه الشوائب من
شعر أبي الربيع في عصر عرف بالازدواج اللغوي بين العربية والبربرية . فمثل
هذا الازدواج يحول لا ريب دون امتلاك اللغة والقدرة على تصريفها واستخدامها
أداة تعبير ، لا سيما إذا كان هذا التعبير شعراً (85) يقتضي من صاحبه أن يكشف

85) ناقش الدكتور عبد العزيز الاهواني موضوع الازدواج اللغوي في كتابه « ابن سناء الملك
ومشكلة العقم والابتكار في الشعر » فذهب ص 17 إلى أن المسألة « لها جانبها الواضح
الذي يسلّم به الناس جميعاً ولها جانبها المبهم الغامض الذي يحتمل الشك والمعارضة . اما
الجانب الواضح فهو التسليم العام بأن الشاعر لا بد أن يمتلك اداته اللغوية امتلاكاً كاملاً
ليكون قادراً على تصريفها في اغراضه واستخدامها في نظمه ، ولا يختلف أحد في أن
عربياً لا يستطيع أن ينتج شعراً ذا قيمة في لغة أجنبية ، إذا كانت معرفته لهذه اللغة
تنقص عن مدى معرفة الشعراء من أبنائها لها . أما الجانب الغامض فهو : هل اللغة
تختلف من ناحية وظيفتها وطبيعتها لدى الشاعر عامة والشاعر الغنائي خاصة عنها لدى
الكاتب الكبير ؟ أليست هي في الحالين جميعاً أداة ووسيلة تسبقها الفكرة أو المعنى =

عن انفعاله الوجداني في صورة واضحة لا يمكن أن تستكمل ملاحظها ما لم يكن له مع هذه اللغة تجاوب وما لم يكن لهذه اللغة في نفسه سحر .

ومع هذا كله ومع ان الازدواج لم يكن يقتصر على طبيعة العصر حيث كان الشاعر نفسه يعرف اللغة البربرية ، فقد اختفى من شعره كل ما قد ينتج عن هذا الازدواج من مظاهر ، والسبب انه اتقن اللغة العربية إتقاناً لا يقل عن إتقان أمثاله من المشاركة الذين لم يعرفوا من الازدواج اللغوي غير شكله العادي الذي لا يتعدى الخلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة، وما نظنه يكون ذا أثر كبير .

وتتفرع مشكلة الازدواج هذه فتجرتنا إلى مشكلة أخرى لا تقل عنها أثراً في تحديد ملامح الشاعر، ألا وهي مشكلة الجمهور الذي يتصل به ليعرض عنه عليه محتكماً الى فهمه وتذوقه . فاذا كان أبو الربيع قد عرف اللغة العربية وأتقنها إتقاناً كاملاً فإن الجمهور المغربي لهذا العهد - ونعني به الجمهور الكبير - لم يكن يعرف هذه اللغة معرفة تمكن الشاعر من الاتصال به ، فقد كان لا يزال يحتاج مرحلة التعريب . وليس معنى هذا ان أبا الربيع لم يكن له جمهور وإنما معناه ان جمهوره كان محدوداً في طبقة معينة هي طبقة أمثاله من الدارسين المتمكنين الذين كان يجتمع بهم في مجلسه أو مجلس الخليفة ، وتضم فقهاء وأدباء وعلماء ومن إليهم من أصحاب الثقافة المعروفة لهذا العهد . وذوق هذا الجمهور المحدود واضح في كثير من الأبيات التي تشتمل على آية قرآنية أو حديث شريف أو اسم تاريخي أو موضوع فلكي ، وقد سبق ان فصلنا الحديث عنها عند الكلام على ثقافة الشاعر .

== يتضح أولاً في ذهن الشاعر والكاظم ثم ينقل بواسطة اللغة ؟ ان صح هذا فلا فرق من ناحية الطبيعة والوظيفة بينها عند الشاعر وعند الناثر، وان كلا الشاعر والناثر لا يطلب منه إلا أن يكون عارفاً باللغة متقناً لها مدركاً للفروق اللغوية الدقيقة بين ألفاظها وتراكيبها .

ولسنا نرى غير هذا أن نلاحظ سوى ان الشاعر لم يتحرر من القافية ولم ينظم في غير أوزان القدماء ، وانه كان كثير الميل إلى تنويع هذه الأوزان ولا سيما في فن الغزل ، مما يدل على أن عاطفته عميقة ومتأججة ، وأنها تبرز كل مرة في لون من ألوان الموسيقى يتفق وكل حال من أحواله . وهو يميل أحيانا إلى البحور القصيرة ، ويبدو أن المنصور كان يقترح على الشعراء أن ينظموا عليها وخاصة منها عروض الخبب وتفعيلاته (فعلن فعلن فعلن) مرتين . فقد ذكر المراكشي لدى حديثه عن ابن حزمون أنه « أنشده قصيدة في عروض يسمى الخبب كان يقترحه على الشعراء » (86) .

والذي يدعو إلى الاستغراب هو ان أبا الربيع لم ينظم في التوشيح والزجل ، أو على الأقل لم يصلنا شيء في انتاجه في هذين الفنين .

وخلاصة القول في خصائص شعر أبي الربيع انه كان صادق الشعور صافي الاحساس واضح التجربة وانه كان واسع الثقافة غزير المادة الأدبية وان لم يتح لهذه المادة أن تظهر كثيراً ، وانه لم يكن من المجددين ولا من أصحاب المذاهب والأفكار ، وانه كان يستعير معانيه فينفث فيها من روحه ويحملها من تجربته العاطفية ما يبعث فيها قوة وعذوبة تجعلان القارئ يأنس لما تفيض به من نبضات ويرتاح لما هي عليه من بساطة ووضوح ، وانه لم يتأثر بشاعر معين وإن شابه بعض الشعراء في بعض المعاني وإنما تأثر بتيار الشعر العام سواء في المشرق أو المغرب أو الأندلس ، فجاء شعره مزيجاً من سمات أدب هؤلاء وأدب أولئك ، فيه جزالة المشرق وبساطة المغرب ورقة الأندلس ، وانه بهذا كله كشف عن ملامح شخصيته وشخصية الأدب المغربي في عصر الموحدين بما ينفي ما ذهب إليه

بعض الباحثين من ان هذا العصر « يمتاز ... بانحطاط الأدب ... » (87) وان
« الشعر أيام الموحدين خصوصاً شعر المدح عبارة عن كلام فارغ كل ما فيه شقشقة
الألفاظ وضخامة التعابير وكثرة التشبيهات والاستعارة » (88) .

(87) مقدمة زاد المسافر ص ب بقلم عبد القادر محماد نشر الكتاب ، وهو لأبي نجر صفوان
ابن ادريس التجيبي المرسى (560 - 598) هـ .

أنظر ترجمته في ملحق بآخر الكتاب .

(88) كتاب الشعر الأندلسي في القرن الحادى عشر للأستاذ هنري بيرس بواسطة مجلة الثقافة
المغربية عدد غشت 1941 ص 13 .

فهرس المصادر والمراجع

- 1 - القرآن الكريم
ابراهيم بن فرحون (برهان الدين) .
- 2 - الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب
طبع مصر
أبو القاسم الزياتي .
- 3 - الروضة السليمانية في ملوك الدولة الاسماعيلية ومن تقدمها من الدول الاسلامية
مخطوط خزانة الرباط العامة رقم 1275 د
ابن أبي دينار .
- 4 - المؤنس في أخبار افريقيا وتونس
ط تونس 1286
أحمد بابا التنبكي .
- 5 - نيل الابتهاج بتطريز الديباج
(بهامش الديباج لابن فرحون)
ط الأولى - مصر 1351

أحمد بن إبراهيم خلكان .

6 - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

طبع بولاق 1299 م

أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (أبو العباس)

7 - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية

المطبعة الثعالبية - الجزائر 1328 هـ - 1910 م

(الطبعة الأولى)

أحمد بن خالد الناصري (أبو العباس) .

8 - الاستقصا لتاريخ دول المغرب الأقصى

تحقيق ولدي المؤلف جعفر ومحمد

طبعة دار الكتاب في 8 أجزاء - الدار البيضاء 1954

أحمد بن الزبير (أبو جعفر) .

9 - صلة الصلة - القسم الأخير

نشر ليثو برو فنسال - الرباط 1937

أحمد بن زيدون (أبو الوليد) .

10- الديوان

تحقيق كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة

مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة 1932

أحمد بن عذاري المراكشي (أبو العباس) .

11- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب

(القسم الثالث المنشور في معهد مولاي الحسن) بتحقيق أمبروسي
هويسى ميراندة (تطوان 1960)
أحمد الغبريني .

12 - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية
(الجزائر 1328)

أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة (أبو العباس) .

13 - عيون الانباء في طبقات الأطباء
المطبعة الذهبية - القاهرة - 1300 هـ (في جزئين)
أحمد بن القاضي .

14 - جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس
ط حجرية

أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (أبو العباس) .

15 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين
ابن الخطيب

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

المكتبة التجارية الكبرى - مصر - 1367 هـ - 1949 م .

16 - أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض

نشره في 3 أجزاء مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري

وعبد الحفيظ شلي - القاهرة 1939 هـ - 1941 م

أحمد المتنبى (أبو الطيب) .

شرح عبد الرحمن البرقوقي

ط مصر 1930

أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي .

18 - بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس

ط كوديرة - مجريط 1884

ادريس العلوي الفضيلي .

19 - الدرر البهية والجواهر النبوية

ط حجرية

اسماعيل بن محمد العلجوني الجراحي .

20 - كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس

ط مصر 1352

اسماعيل مظهر .

21 - تاريخ الفكر العربي

دار الكتاب العربي - بيروت -

Emilio Gorgia Gomez اميليو غرسيه غومس

22 - الشعر الأندلسي - بحث في تطوره وخصائصه -

Poemos orabigo andaluces

ترجمة الدكتور حسين مؤنس

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - مصر - 1962

Angel Genzález Palencia

آخزل جنثالث بالنتيا

Historia de le literatura

23 - تاريخ الفكر الأندلسي

oràbigè - espanola

ترجة د . حنين مؤنس

ط الأولى - مصر

Brockelmann

بروكلمان

24 - تاريخ الآداب العربية (الملحق الأول) ليدن 1937 م

الببىق أبو بكر بن علي الصنهاجي .

25 - اخبار المهدي (طبع باريز 1928 م)

ومعه :

26 - (المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب)

تاج الدين السبكي (أبو نصر عبد الوهاب)

27 - طبقات الشافعية الكبرى (طبع مصر)

تيم بن المعز لدين الله الفاطمي .

28 - الديوان

طبع دار الكتب المصرية (1377 هـ - 1957 م)

Jean et Jérôme Tharaud

جان وجيروم تارو

29 - أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين

والموحدين

ترجة أحمد بلافريج ومحمد الفاسي

المطبعة الوطنية - الرباط 1349 هـ

حسن ابراهيم حسن .

30 - تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد المغرب

مكتبة النهضة المصرية - الطبعة الثانية 1958 م .

31 - عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب بالاشتراك مع
الدكتور طه أحمد شرف

مكتبة النهضة المصرية - القاهرة 1947 م

حسن أحمد محمود

32 - قيام دولة المرابطين - القاهرة 1957

الحسن بن هانيء (أبو نواس)

33 - الديوان

تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي - مطبعة مصر - 1953 م

الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني

34 - شرح المعلقات السبع

المطبعة التجارية - القاهرة - 1380 هـ 1961 م

خلف بن عبد الملك بن مسعود (ابن بشكوال)

35 - كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم

(نشر السيد عزت العطار الحسيني - القاهرة 1955 م)

Gaston Deverdun دوفردان

36 - مراکش 1912 Morrakech des origines

الرباط 1959

سليمان المونحدي (الأمير أبو الربيع)

37 - الديوان - مخطوطة خزانة الرباط رقم 1310

38 - الديوان - مخطوطة الاسكوريال وتسمى « نظم العقود ورقم الحلل والبرود »

39 - الديوان - مخطوطة مكتبة أحمد الثالث - قصر توبكاي رقم 2333 (اسطنبول)

40 - الديوان - مخطوطه الاستاذ المتوني

41 - مختصر الأغاني (جزء من)

خزانة جامعة القرويين رقم 246 (ق 154)

شارل أندريه جوليان Charles André Julien

42 - تاريخ افريقيا الشمالية Histoire de l'Afrique du Nord

باريز 1956 - 1966

شاكر البتلوني الحاصباني

43 - نفح الأزهار في منتجات الأشعار

ط بيروت

شوقي ضيف

44 - الفن ومذاهبه في الشعر العربي

دار المعارف - مصر - الطبعة الرابعة ضمن مكتبة الدراسات الأدبية

(رقم 20) 1960 م

صفوان بن ادريس التجيبي المراكشي (أبو بحر)

45 - زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر

نشر عبد القادر محداد - بيروت 1358 هـ - 1939 م

صفي الدين أبو الفضل عبد العزيز بن سرايا الحلبي

46 - الكتاب العاقل الحالي والمرخص العالي

عني بتصحيحه ولهلم هوزباخ (طبع في المانيا ضمن مطبوعات مجمع العلوم والآداب ولجنة الاستشراق)

47 - مخطوطة مكتبة بايزيد - اسطنبول - رقم 5542

عباس بن ابراهيم المراكشي

48 - الإعلام بن حل براكش واغماط من الإعلام

الأجزاء الخمسة الأولى (1936 - 37 - 38 - 39) المطبعة الجديدة فاس

49 - من الجزء السادس إلى العاشر (مصور على الميكرو فيلم في خزانة الرباط برقم 167)

50 - اظهار الكمال في تميم مناقب أولياء مراكش - سبعة رجال

(ط حجرية)

عباس الجراري

51 - القصيدة (الزجل في المغرب)

ط الرباط 1970

52 - موشعات مغربية

ط دار النشر المغربية - الدار البيضاء 1973

عباس محمود العقاد

53 - ابن رشد

العدد الأول من سلسلة نوابغ الفكر العربي

دار المعارف - مصر - 1957

عبد الحفي بن العماد الحنبلي (أبو الفلاح)

54 - شذرات الذهب في اخبار من ذهب

مكتبة القدسي - مصر - 1350 هـ

عبد الرحمن بن خلدون

55 - العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من

ذوي الشأن الأكبر

طبعة بولاق في 7 أجزاء - 1284 هـ

56 - المقدمة

طبعة بولاق

عبد الرحمن السهيلي

57 - الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام

ط الجمالية - مصر 1914

عبد الرحمن السيوطي الشافعي (جلال الدين)

58 - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

مطبعة السعادة بمصر سنة 1326 هـ (الطبعة الأولى)

59 - حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

مطبعة ارادة الوطن - مصر 1299 هـ

عبد العزيز الأهواني

60 - الزجل في الأندلس

نشر معهد الدراسات العربية العالية - القاهرة 1957 م

61 - ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر

مكتبة الانجلو المصرية 1962 م

62 - ألفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في لحن العامة

فصلة من مجلة معهد المخطوطات - المجلد الثالث 1957 م

مطبعة مصر القاهرة 1957

عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الاسفرائيني التميمي

63 - الفرق بين الفرق

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة

عبد الله جنون

64 - ميمون الخطابي

الجزء السابع من سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب

طبع معهد مولاي الحسن

65 - أبو العباس الجراوي

الجزء السادس من نفس السلسلة

66 - الأمير سليمان الموحيدي

الجزء العاشر من نفس السلسلة (نشر معهد مولاي الحسن)

- 67 - أمراؤنا الشعراء
المطبعة المهدية - تطوان
- 68 - النبوغ المغربي في الأدب العربي
الطبعة الثانية - نشر دار الكتاب اللبناني - بيروت 1961 م
- عبد الله بن العباس الجراري
- 69 - تقدم العرب في العلوم والصناعات واستاذيتهم لأوروبا
دار الفكر العربي 1381 هـ - 1961 م
- عبد الله علي علام
- 70 - الدعوة الموحدية بالمغرب
نشر دار المعرفة - القاهرة 1964
- عبد الله محمد بن ابراهيم اللولوي المعروف بالزر كشي
- 71 - تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية
مطبعة الدولة التونسية - 1289 هـ
- عبد الله بن المعتز
- 72 - الجزء الثالث والرابع من شعره جمع أبي بكر الصولي
تصحيح ب . لوين
- استانبول مطبعة المعارف 1950 (النشريات الاسلامية)
- 73 - الديوان
طبع عزيز أفندي زند
مطبعة المحروسة مضر 1891

- عبد الملك الثعالبي (أبو منصور)
 74 - المعجب في تلخيص اخبار المغرب
 تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي
 مطبعة الاستقامة - القاهرة 1949 م - 1368 هـ
 علي بن أحمد بن أبي الكريم (ابن الأثير)
 75 - الكامل في التاريخ - في 12 جزءاً
 المطبعة الكبرى - القاهرة 1290 هـ
 علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (أبو محمد)
 76 - طوق الحمامة في الألفة والألاف
 مطبعة حجازي - القاهرة 1950 م - 1369 هـ
 علي بن الحسين الاصفهاني (أبو الفرج)
 77 - كتاب الأغاني
 - طبعة دار الكتب - مصر
 78 - ط دار الثقافة - بيروت
 علي بن سعيد بن موسى (أبو الحسن)
 79 - المغرب في حلى المغرب
 تحقيق الدكتور شوقي ضيف
 طبع دار المعارف - مصر - (مجموعة ذخائر العرب)
 الجزء الأول 1953 - الجزء الثاني 1855
 80 - الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة

تحقيق ابراهيم الابياري

نشر دار المعارف - مصر (ضمن مجموعة ذخائر العرب)

81 - رايات المبرزين

نشر غارسيا غومس - طبع مدريد

علي بن عبد الله بن أبي زرع (أبو الحسن)

82 - الأنيس المطرب القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس

طبعة فاس الحجرية

علي الجزنائي

83 - جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس

ط ملكية - الرساط 1967

العماد الاصفهاني

84 - خريدة القصر وجريدة العصر

ق 4 ج 1

تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم (دار نهضة مصر)

عمر بن حسن بن دحية (أبو الخطاب)

85 - المطرب من اشعار أهل المغرب

تحقيق ابراهيم الابياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي

ط الأميرية - القاهرة 1954

عمر رضا كحالة

86 - معجم قبائل العرب القديمة والحديثة (الجزء الأول)

المطبعة الهاشمية - دمشق 1368 هـ - 1949 م

عياض بن موسى بن عياض (القاضي)

87 - ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك (الجزء الأول)

تحقيق محمد بن تاويع الطنجي

ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط 1965

الفتح بن محمد بن عبد الله بن خاقان (أبو نصر)

88 - قلائد العقيان

ط الأولى - مصر 1320

فريول Ferriol

89 - أطلال تينمل Les ruines de Tinmel

مجلة هسبريس 1922 Hespéris

فؤاد كامل - جلال العشري - عبد الرشيد الصادق

90 - الموسوعة الفلسفية المختصرة

منقولة عن الانكليزية

نشرت ضمن مطبوعات الألف كتاب (431) مكتبة الانجلو المصرية

القاهرة 1963

قائمة لنوادير المخطوطات العربية في مكتبة

91 - جامعة القرويين بفاس بمناسبة مرور مائة وألف سنة على تأسيس هذه

الجامعة

مطبعة النجمة - الرباط 1960 (وزارة التهذيب الوطني)

ابن القطان

92 - جزء من كتاب نظم الجمان

تحقيق الدكتور محمود علي مكّي

طبع ضمن منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة
محمد الخامس - الرباط

لاوست Henri Laoust

93 - الفرق في الاسلام Les schismes dans l'Islam

باريز 1965 Payot - Paris

لجنة دائرة المعارف الاسلامية

94 - دائرة المعارف الاسلامية

ترجمة ونشر لجنة دائرة المعارف الاسلامية بالقاهرة

لسان الدين بن الخطيب

95 - مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس

تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي

طبع كلية آداب جامعة الاسكندرية (المطبوع رقم 12) 1958

96 - القسم الثالث من أعمال الأعلام

تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي والاستاذ ابراهيم الكتاني

مببعة دار الكتاب - الدار البيضاء 1964

ليفى بروفنسال Lévi Provençal

97 - مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتّاب الدولة المومنية

نشرها في الجزء العاشر من مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية
المطبعة الاقتصادية - الرباط - 1941 م

Léon Africain ليون الافريقي

98 - وصف افريقية Description de l'Afrique

باريز ed. Schefer - Paris 1896

G. Marçais مارسي

99 - بلاد البربر المسلمة والشرق في العصر الوسيط

La Berbérie musulmane et l'Orient au moyen âge

باريز ed. Montaigne - Paris 1946

مجهول

100 - الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية

ط الجزائر 1920

101 - الاستبصار في عجائب الامصار

تحقيق سعد زغلول عبد الحميد

ط الاسكندرية 1958

102 - تاريخ الدولة السعدية

نشر جورج كولان

الرباط 1934

103 - الحلال الموشية في ذكر الاخبار المراكشية

نشر غلوش

الرباط 1936

104 - أبو نواس

مطبعة الاتفاق - دمشق 1947 م

محمد بن أحمد الغرناطي (أبو القاسم)

105 - رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة (شرح مقصورة أبي الحسن

حازم الانصاري القرطاجي)

مطبعة السعادة - مصر 1344 هـ

محمد بن أحمد اليعمدي

106 - واسطة العقد في ترتيب الكناشين

مخطوط خزانة الرباط العامة رقم 330

محمد بن تومرت (المهدي)

107 - أعز ما يطلب

طبع الجزائر عام 1903

نشر لوشيا في وتقديم جولد تسيهر

محمد بن جبير

108 - الرحلة

ط الأولى - مصر 1908

محمد بن جعفر الكتاني

109 - سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس

ط حجرية

محمد بن الحسن بن دريد (أبو بكر)

110 - الاشتقاق

تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة السنة المحمدية 1958 م

محمد بن حوقل النصيبي (أبو القاسم)

111 - المسالك والممالك

ليدن 1937 م (الطبعة الثانية)

محمد بن خاقان (أبو نصر الفتح)

112 - قلائد العقيان ومحاسن الاعيان

طبعة بولاق 1283 هـ

محمد بن سلام الجمحي

113 - طبقات فحول الشعراء

ط دار المعارف (ذخائر العرب)

محمد بن جندار

114 - الاغتباط بتراجم أعلام الرباط

مخطوط الخزانة العباسية رقم 1165

محمد الذهبي (أبو عبد الله شمس الدين)

115 - تذكرة الحفاظ

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بجيدر اباد - الهند

1957 م - 1376 هـ (الطبعة الثالثة)

116 - ميزان الاعتدال في نقد الرجال

ط الأولى

محمد الرشيد ملين

117 - عصر المنصور الموحيدي أو الحياة السياسية والفكرية

والدينية في المغرب من 580 هـ إلى 595

المطبعة المحمدية - الرباط - 1946 م

محمد أبو زهرة (الشيخ)

118 - تاريخ المذاهب الاسلامية

طبع في جزئين

دار الفكر العربي - القاهرة

محمد شمس الدين المقدسي (أبو عبد الله)

119 - أحسن التقاسيم

طبع القاهرة 1911

محمد عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني

120 - الملل والنحل

تحقيق محمد سيد الكيلاني

في جزئين

طبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر 1381 هـ - 1961 م

121 - ط مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بمصر

بهامشه : الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم

محمد بن عبد الله القضاعي (ابن الأبار)

122 - التكملة لكتاب الصلة

طبعة مجريط 1886 - 1887

123 - طبعة القاهرة - نشر عزت الطاهر الحسيني - 1375 - 1955

124 - الحلة السيرة

نشر الدكتور حسين مؤنس

الشركة العربية للطباعة والنشر - القاهرة 1963

125 - المقتضب من كتاب تحفة القادم

اختيار ابراهيم البلفيقي

تحقيق ابراهيم الايباري

ط الاميرية - القاهرة 1957

محمد بن غازي العثماني

126 - الروض الممتون في أخبار مكناسة الزيتون

ط الامينية - الرباط 1952

127 - الفهرست

مخطوطة خاصة بالكاتب

محمد بن عياض (أبو عبد الله)

128 - التعريف بالقاضي عياض

مخطوطة خزانة الرباط رقم ك 553

محمد الفاسي

129 - العصر الموحدى

مقال نشر فى مجلة الثقافة المغربية عدد غشت 1941

130 - شاعر الخلافة الموحدية أبو العباس الجراوى

نشر ضمن مطبوعات جمعية قدماء تلاميذ مدرسة جيسوس

محمد كامل حسين

131 - فى أدب مصر الفاطمية

العدد 455 من سلسلة الألف كتاب - وزارة التعليم العالى

مصر - الطبعة الثانية 1963 م

132 - دراسات فى الشعر فى عصر الأيوبيين

طبع دار الفكر 1957

محمد المعتمد بن عباد

133 - الديوان

تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد

طبع الادارة الثقافية بوزارة المعارف العمومية - إدارة نشر

التراث القديم

المطبعة الأميرية - القاهرة 1951

محمد المنوفى

134 - العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين

طبعة معهد مولاي الحسن - تطوان 1369 - 1950

محمد بن الموقت

135 - السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية
ط حجرية

محي الدين بن عربي

136 - محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار
دار البقطة العربية

مصطفى حاجي خليفة (ابن عبد الله)

137 - كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون
طبع وكالة المعارف باستانبول

تحقيق محمد شرف الدين يالتقايا 1941 م - 1360 هـ
الطبعة الثالثة

مهيार الدليمي

138 - الديوان

طبعة دار الكتب المصرية (الطبعة الأولى) في أربعة أجزاء
(1925 - 1926 - 1930 - 1931 م)

Jaques Meunié et Henri Terrosse موني - تيراس

139 - أبحاث أثرية في مراكش

Recherches archéologiques à Morrokech

باريز Paris 1952

نشوان بن سعيد الحميري

140 - قصيدته المسماة « ملوك حمير وأقيال اليمن »

وشرحها المسمى « خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التابعة »

تحقيق علي بن اسماعيل المؤيد واسماعيل بن أحمد الجرافي

المطبعة السلفية - مصر - 1378 هـ

H. Terrosse هنري تيراس

141 - تاريخ المغرب Histoire du Maroc

Casablanca 1954 الدار البيضاء

142 - المشاهد والقلاع الموحدية

Sanctuaires et forteresses olmohades

مجلة هسبرس 1924 - 1925 Hespéris

وزارة التربية الوطنية (المغرب)

143 - جامعة القرويين في ذكرائها المائة بعد الألف 1960

ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي

144 - معجم البلدان

مطبعة السعادة - مصر - 1906 م 1323 هـ (الطبعة الأولى)

145 - معجم الأدباء « ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب »

(سلسلة الموسوعات العربية)

نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه 1936 م - 1355 هـ

يوسف بن يحيى التادلي (ابن الزيات)

146 - التشوف إلى رجال التصوف

نشر أدولف فور - الرباط 1958

يوسف أشباخ الألماني Joseph Aschbach

147 - تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين

ترجمة محمد عبد الله عنان

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

1377 هـ - 1958 م (الطبعة الثانية)

فهرس الأعلام

- 28 ابن أشرس
177 ابن اشقيولة ، ابو محمد
(ح) 66 ابن افلاطون
(ح) 160 ابن الأبار (ح) 99 (ح) 160
35 ابن الأثير 14 (ح) 21 ، 32 (ح) 35
ابن البقار . انظر :
محمد بن ابراهيم بن حزب الله
134 ابن الحسين
ابن الحصار . انظر :
ابو الحسن علي بن محمد الخزر جي
الاشبيلي الفاسي
ابن الدوقة انظر : لوجار بن لوجار
78 ابن السراج
ابن الصقر . انظر : أبو العباس أحمد
بن عبد الرحمن الأنصاري
225 ابن الطلاء
ابن العربي ، انظر : ابو بكر
147 ابن الفكون
- 99 (ح) ابراهيم الأبياري
ابراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله
انظر : ابن خفاجة
ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن 72
ابن ابراهيم 14 (ح) ، 68 (ح)
72 (ح) 99 (ح) 102 (ح)
106 (ح)
ابن أبي الجيش الأنصاري 80
ابن أبي المهاجر
انظر اسماعيل بن عبد الله
ابن أبي الطواجين الكتامي 68
ابن أبي اصيبعة 61
ابن أبي دينار 35
ابن أبي زيد القيرواني (انظر القيرواني)
ابن أبي زرع 32 (ح)
ابن أبي بردة . انظر :
1 — أبو الطيب
2 — محمد بن أبي بردة

- ابن القطن 99 (ح) ابن الكتافي انظر : ابو عبدالله محمد بن عبد الكريم الغندلاوي
- ابن المعتز : ابو العباس عبدالله بن محمد بن المعتز 127 ، 155 ، 156 (ح) 155 ، 160 ، 198 ، 199 ، 200 ، 201 ، 202 ، 222 ، 223
- ابن المعز . انظر : تميم ابن المغربي انظر : الحسين بن علي أبو القاسم
- ابن المناصف انظر : محمد بن عيسى بن اصبح ابن المتقد 88
- ابن الياسمين انظر : عبدالله بن محمد بن حجاج
- ابن باجه 61 (ح) ابن باديس بن عبدالله اليحصي 68
- ابن باقيا انظر : أبو القاسم عبدالله بن محمد
- ابن بري 78 ابن بشكوال 137
- ابن بقميس انظر : ابو عبدالله محمد بن محمد بن عثمان بن سعيد
- ابن تاشفين ، يوسف 1 - علي بن يوسف 2 - ابن يوسف
- ابن تبسيت ، أبو القاسم بن محمد 178 (ح) ابن تومرت 1 - محمد بن تومارت 2 - المهدي 15 ، 31 ، 36 ، 37 ، 40 ، 41 ، 44 ، 45 ، 104 ، 118 ، 211
- ابن جهور ابن حازم ، حازم بن محمد بن حسن 191 (ح) ابن حبوس : أبو عبدالله محمد بن حسين ابن عبدالله 89 ، 102 ، 102 ح 103 ، 104 ، 105 ، 208 ، ابن حزم : ابو محمد بن علي أحمد ابن سعيد 29 ، 44 ، 45 ، 47 ، 59 ، 60 ، 60 (ح) ، 77 ، 191 (ح) ، 192 ، 238
- ابن حزمون ابن حمد بن حموية ، تاج الدين أبو محمد عبدالله بن عمر بن علي بن محمد 128 (ح) ابن حموية ، صدر الدين 128 (ح) ابن حنين ، علي بن أحمد بن أبي بكر الكنفاني 65
- ابن حوقل 153 (ح) ابن خراسان انظر ايضاً : عبدالله بن خراسان

ابن سعيد 112 ، 113 ، 127 ،
 128 ، 145 ، 151 ، 155 ،
 170 ، 173 ، 225 (ح)
 ابن سناء الملك 174
 ابن سيد اللص 90 ، 90 (ح)
 ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك 88
 ابن طفيل 62
 ابن عبد العزيز بن خالد 46
 ابن عبد ربه : (ابو عمر) 126 ،
 164 (ح) ، 165 ، 169 ،
 170 ، 171 ، 172 ، 173 ،
 174 ، 174 (ح) ، 175 ،
 176 ، 226
 ابن عبدوس 194 (ح)
 ابن عذارى 88 (ح) ، 89 (ح) ،
 93 ، 98 (ح)
 ابن عربي 66 ، 67
 ابن عصفور 81 (ح)
 ابن عطية ، أبو عقيل ، 119 (ح) ، 178
 ابن علوش : ابو محمد عبدالله بن
 أحمد بن محمد اللخمي
 الاشبيلي 134
 ابن عياش 93 (ح)
 ابن غانية : 1 — علي بن اسحاق
 2 — علي الميورقي ، 58 ، 96 (ح) ،
 127 ، 130 ، 132 ، 150 ،
 150 ح ، 152
 ابن غرلة 110

ابن خروف 79
 ابن خفاجة انظر : ابراهيم بن أبي
 الفتح بن عبدالله
 219 ، 219 (ح) ، 220 ،
 ابن خلدون 29 ، 32 (ح) ، 33 ،
 36 ، 36 (ح) ، 38 (ح) ،
 49 ، 50 ، 138 (ح)
 ابن خلكان 27 ، 32 (ح) ، 38 (ح)
 93 ، 193 (ح)
 ابن دحية الكلبي 73 ، 73 (ح) ، 76 ،
 أبو الخطاب عمر بن الحسن 78 ،
 79 ، 87 ، 99 ، 99 (ح)
 ابن دريد 79 ، 80
 ابن رشد ، الحفيد — «الفيلسوف»
 ابو الوليد محمد بن أحمد بن
 رشد 62 ، 62 (ح) ، 63 ،
 63 (ح) ، 64 ، 67 ، 75 ،
 ابن روجر 86
 ابن زريق انظر : ابو الحسن علي
 ابن زغبوش ابو محمد عبدالله 71
 ابن زبناغ ، ابو الحسن 221
 221 (ح)
 ابن زيدون : الوليد احمد 62 ،
 194 ، 194 (ح) ، 211 ،
 219
 ابن زيري انظر : الناصر بن علناس
 ابن ساسان 141

3 — علي	137 (ح)	ابن فرحون
أبو الحسن أحمد بن	36	ابن قسبي . أبو العباس
الرشيدي	143 (ح)	ابن ماجة
139 (ح)	79 (ح)	ابن مالك
76	90	ابن مجير يوسف
68		ابن مشيش : أبو محمد عبد
75	68 (ح)	السلام
أبو الحسن عبد الملك بن عياش	43	ابن مضاء
القرطبي	80 ، 77 ، 78 ، 79 ، 80	ابن معط
119 (ح)	186 (ح)	ابن منظور
أبو الحسن علي — ابن زريق ، 186 ،	88 (ح)	ابن منقذ
186 (ح)	178 (ح)	ابن ميمون
أبو الحسن علي المسفر	194 (ح)	ابن نباتة
أبو الحسن علي بن أحمد التميمي	55	ابن هود : الهادي
الحوالي المراكشي		ابن وهب : عبد الله بن وهب ، 137 ،
أبو الحسن علي بن سعيد ،	137 (ح)	
الرجراجي		ابن ياسين ، عبد الله
أبو الحسن علي بن محمد الخزرجي	31 ، 30	ابن يقطان
الاشبيلي الفاسي	88	
انظر : ابن الحصار		أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن
70		هارون المرادي
أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون ،	76 ، 74	أبو بكر علي الصنهاجي
القيسي ، القرطبي		انظر : البيدق
80		أبو الخنجاج بن نموي
أبو الحسن علي بن محمد بن يوسف	69	أبو الحسن انظر : الأشعري
الفهري		أبو الحسن ، الخليفة الموحد 18 (ح)
136		انظر :
أبو الحسن علي ، بن يحيى بن		1 — السعيد
القاسم ، الصنهاجي		2 — المعتضد
76		
أبو الحكم علي بن محمد المضي 119 (ح)		
أبو الخطاب عمر بن الحسن		
بن دحية الكلبي		
انظر : ابن دحية		

أبو الربيع : صاحب الديوان ، سليمان	
الموحدي 50 ، 60 ، 73 ، 100 ،	
112 ، 118 ، 125 ، 127 ،	
129 ، 131 ، 132 ، 133 ،	
136 ، 137 (ح) ، 138 ،	
138 (ح) ، 139 ، 140 ،	
143 ، 144 ، 145 ، 146 ،	
148 ، 149 ، 151 ، 153 ،	
155 ، 155 (ح) ، 156 ،	
157 ، 160 ، 163 ، 164 ،	
164 (ح) ، 167 ، 168 ،	
169 ، 170 ، 171 ، 172 ،	
174 ، 175 ، 175 (ح) ،	
177 ، 179 ، 181 ، 187 ،	
188 ، 192 ، 193 ، 194 ،	
196 ، 198 ، 200 ، 201 ،	
202 ، 203 ، 206 ، 207 ،	
209 ، 210 ، 211 ، 212 ،	
213 ، 217 ، 220 ، 226 ،	
229 ، 231 ، 233 ، 234 ،	
236 ، 237 ، 238 ،	
أبو الطيب = محمد بن أبي بردة .	
أبو الطيب ، المتنبي الشاعر ،	
أحمد بن حسين الجعفي 140 ،	
141 ، 141 (ح) ، 212 ،	
أبو العباس : أحمد بن عبد	
الجليل التدميري 134	
أبو العباس أحمد بن جعفر	
الخرزجي السبتي 67	
أبو العباس ، أحمد بن حسن بن	
سيد الجراوي المالقي 134	
أبو العباس أحمد بن خلف	
البكري 79	
أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن	
الأنصاري ، ابن الصقر 65	
أبو العباس أحمد بن محمد العزفي	
الرخسي 86	
أبو العباس الجراوي : انظر	
الجراوي	
أبو العتاهية 188 (ح)	
أبو العلاء = ادريس بن المنصور	
= أبو دبوس = المأمون 18 ، 18 (ح)	
24 ، 24 (ح) ، 42 ، 42 (ح)	
72 ، 96 ، 115 ، 116 ،	
أبو العلاء بن زهر = أبو بكر محمد	
= أبو مروان 64 ، 64 (ح)	
أبو الفرج الجوزي 193 (ح)	
أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد	
الأصفهاني . انظر : الأصفهاني	
أبو الفضل ، بن أبي الطاهر 120	
أبو الفضل جعفر بن محمد بن	
محشرة 119 (ح)	
أبو الفضل عيساض بن موسى	
اليحصي ، السبتي .	
انظر : عمر المرتضى	

- 36 أبو بكر بن العربي
 134 أبو بكر بن جيش
 90 أبو بكر الأبيض ، الأديب (ح)
 46 ، 32 أبو بكر الشاشي
 أبو بكر عبد الرحمن بن
 145 مغاور
 أبو بكر محمد أبو مروان
 انظر : أبو بكر بن زهر
 = أبو العلاء بن زهر
 أبو بكر محمد بن طفيل :
 انظر ، أبو بكر بن طفيل 61 ، 63
 أبو بكر محمد بن عبد الله بن الجلد
 65 الفهري الاشيلي
 أبو بكر محمد بن عربي 66 (ح)
 أبو بكر محمد بن ميمون بن عبد الله
 178 القرطبي
 أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن
 72 بقي ، السلوي
 بو تمام ، الشاعر 231 ، 231 (ح)
 أبو جعفر ، هارون
 الطبيب 63 (ح) ، 95 ، 119 ح
 35 أبو جعفر المنصور
 أبو جعفر بن عطية = أحمد بن
 جعفر بن محمد عطية القضاء 94 ،
 94 (ح) ، 119 (ح) ، 209
 أبو حامد ، أنظر : الغزالي
 أبو حفص الأغماتي 28 ، 111
- 130 أبو القاسم الزياتي
 أبو القاسم السعيد هبة الله بن القاضي
 الرشيد أبو الفضل جعفر بن
 المعتمد سناء الملك
 أبو القاسم بن ابراهيم الخزرجي 67
 أبو القاسم بن عبد الرحمن القالمي
 119 (ح)
 أبو القاسم ، خلف بن عبد الملك
 بن مسعود بن موسى بن
 بشكوال الأنصاري القرطبي
 137 (ح)
 أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد
 79 ابن رحمون المصمودي
 أبو القاسم عبد الله بن محمد
 = ابن باقيا 139 (ح)
 70 أبو المعالي
 أبو الوفاء التفتازاني 60 (ح)
 أبو الوليد أحمد
 أنظر : ابن زيدون
 أبو الوليد محمد بن أحمد بن
 أحمد بن محمد بن رشد
 أنظر : ابن رشد
 أبو بحر صفوان بن ادريس
 239 (ح) التجيبي المرسي
 37 أبو بكر ، الخليفة
 أبو بكر بن طفيل
 أنظر : ابن طفيل

130	ابو عبدالله (محمد) القسطلاني	ابو حفص = عمر بن عبد
153		المؤمن (المرتضى) 18 ،
	ابو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري	18 (ح) ، 96 ، 127 ، 127 (ح)
	انظر : الأشبيلي	153 ، 211 ، 220 ، 230 ،
	ابو عبدالله محمد بن حسن بن محمد	أبو حنيفة 27 ، 28 ، 29 ، 30 (ح)
61	بن يوسف الفاسي	أبو دبوس 18 (ح)
	ابو عبدالله محمد بن حسين بن	انظر :
	عبدالله . انظر ابن حبوس	1 - ادريس
	ابو عبدالله محمد بن حماد العجلاني	2 - أبو العلاء
74		ابو زكريا يحيى بن أبي حجاج
74	ابو عبدالله محمد بن طاهر الحسني	اللبلي 65
	ابو عبدالله محمد بن عبد العزيز	ابو زكريا يحيى بن علي .
	بن عياش التجبير 119 (ح)	انظر : الزواوي
	ابو عبدالله محمد بن عبد الكريم	ابو زكريا يحيى زيد الدين الزواوي 79
69	الغندلاوي	أبو زيد عبد الرحمن السهيلي ،
	ابو عبدالله محمد بن عبد المنعم ،	78 المالقي
	الصنهاجي ، الحميري ،	ابو زيد عبد الرحيم بن عمر ،
78	السبتي	75 اليزناتي
	ابو عبدالله محمد بن عبد ربه ،	134 ابو سعيد
164	كاتب أبي الربيع	أبو شعيب . انظر :
	ابو عبدالله محمد بن عثمان بن	ايوب ابن سعيد الصنهاجي
70	سعيد ابن بقميس	42 ابو عباس
	ابو عبدالله محمد بن العابد	ابو عبدالله بن عياض ، القاضي 73
81 ، 70	الأنصاري الفاسي	ابو عبدالله - انظر الناصر
	ابو عبدالله محمد بن هشام ،	ابو عبدالله الرصافي 208
79	اللخمي ، السبتي	ابو عبدالله محمد (ولد القاضي
92	ابو عبد المؤمن	عياض) 75
26	أبو عبيد الله الشيعي	

أبو محمد ، عبد الواحد بن يوسف	أبو عبيد الله المهدي الداعية
17 ، 17 (ح)	27 الاسماعيلي
أبو مدين	أبو عثمان — أخو ابن دحية 73 ، 76
أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد	أبو علي الحسن بن عبدالله 137 (ح)
65 الملك اللخمي الباشي	أبو علي حسن بن علي ،
أبو موسى عيسى بن عبد العزيز	82 المراكشي
78 الجزولي	أبو عمرو عثمان بن عبدالله القيسي
أبو نواس — الحسن بن هانيء	القرشي . انظر : السلاجي
186 ، 186 (ح) ، 197 ،	أبو عمران الفاسي 30
198 ، 199 ، 200 ، 201	أبو عمرو : ميمون بن خبازة 99 (ح)
80 أبو هريرة	115 ، 116
أبو هفان المهزمي 186 (ح)	أبو عمرو سالم بن صالح النهرواني
أبو يحيى ، والي قرطبة 64	99 (ح) المالقي
أبو بعزيز ابن ميمون 68	أبو فاضل بن النحوي 13
أبو يعقوب ، الأمير	أبو محمد : عبدالله بن المنصور
يوسف بن عبد المؤمن —	الملقب بالعاذل 17 (ح)
1 — المستنصر	أبو محمد بن سيدنا الامام الخليفة
2 — يوسف بن محمد 17 ، 94 ،	الرضي 126
105 ، 106 ، 127 ، 127 (ح) ،	أبو محمد بن علي احمد بن سعيد
153	انظر : ابن حزم
أبو يوسف ، القاضي في بغداد 29	أبو محمد صالح بن محمد بن عبدالله
احمد الأعرج السعدي انظر :	66 بن حرزهم
المهدي	أبو محمد عبد السلام ابن مشيش
احمد بدوي 99 (ح) ، 210 (ح) ،	انظر : ابن مشيش .
احمد بن الجذ 213 (ح)	77 أبو محمد عبد الكريم الحسني
احمد بن عبدالله بن احمد بن	أبو محمد عبدالله الجبائي 94
هشام بن الخطيئة ، اللخمي 72	أبو محمد عبدالله بن سليمان بن
احمد بن عتيق البلنسي 65	حوط ، الانصاري 134

73	الأبياري	حمد بن علي بن محمد سيد
(ح) 125	الأتراك	الكناني 90 (ح)
56 ، 31 ، 30 ، 27	الأدراسة	أحمد بن محمد بن هاروت بن
الأدريسي انظر : محمد بن محمد		عات 65
بن عبدالله السبتي		أحمد بن مطرف المري 42
28 ، 26	الأدرسية ، دولة	أحمد توفيق المدني 125 (ح)
(ح) 125	الاسبان	أحمد زكي 194 (ح)
62	الاسلام ، اهل	أدريس المولى 56 ، 27
27	الاسماعيلية	أدريس = أدريس بن المنصور .
، 36 ، 34 ، (ح) 32	الاشاعة 32 (ح)	انظر :
69		1 - أبو العلاء
الاشبيلي - أبو عبدالله محمد بن		2 - أبو دبوس
69	أحمد الأنصاري	3 - المأمون
36 ، 34	الأشعري - أبو الحسن	أدريس بن المامي 169
48 ، 33	الأشعرية ، مذهب	أدريس بن عبدالله الحسيني 35
48 ، 19	الاصحاب والجماعة	أرسطو - أرسطوطاليس - أرسطو
الأصفهاني : أبو الفرج علي بن		62 ، 62 (ح) ، 63
الحسين بن محمد الأصفهاني 138 ،		أسافو 31 (ح)
(ح) 139 ، (ح) 138		اسحق بن ابراهيم بن يعمر
89	الأصم الرواني ، الشاعر	السعيد الغماري 75
(ح) 140	الأصمعي	أسد بن الفرات 28
58	الافلاطونية ، مذهب	اسماعيل بن عبيدالله بن ابي المهاجر
(ح) 140	آكل المرار	انظر : ابن أبي المهاجر 25
179	الأغماتي ، أبو حفص	اسماعيل مظهر 193 (ح)
، 59 ، 37 ، 27 ، 20	آل البيت 20 ، 27 ، 37 ، 59 ،	اصحاب العشرة 19
213		افلاطون 62
، 31 ، 28 ، 27	الإمامية ، مذهب 27 ، 28 ، 31 ،	أفيروس 62 (ح)
36 ، 34 ، 33		26
		الأباضية

48	الحديث ، أهل	27	الأمويون
(ح) 70	الحرالي	89 ، 13	الأندلسيون
45	الحزمية ، فقهاء	27	الاوربية ، القبيلة
	الحسن بن هانيء انظر: ابونواس	28	الاوزاعي ، امام
	الحسين بن علي ابو القاسم	47	الأيوبيون
(ح) 139	= ابن المغربي	82	البتراحي ، المراكشي
65	الحضر ، طلبة	31	البجلية ، حركة
25	الحفصية	143 (ح)	البخاري
25	الحفصية	33	البدعة ، اهل
	الحكم ، « الأموي » - المستنصر	25 ، 26 ، 27 ، 55 ،	البربر
	بالله 46 ، 61 ، 61 (ح) ،	56	
	138 (ح)	39 ، 20	البربرية ، لغة
31	الحموديون	28	البهلول بن راشد
30 ، 28	الحنفية	50 ، 37	البيت ، اهل
186	الخصيب ، الأمير		البيدق - أبو بكر علي الصنهاجي
19	الخمسين ، اهل	14 (ح) ، 32 ، 32 (ح) ، 87 ،	
27 ، 26 (ح) ، 27	الخوارج	143 (ح)	الترمذي
19	الدار ، اهل	88	التيفاسي
211	الديلم		الجدالي ، انظر يحيى ابراهيم
(ح) 142	الرحمن ، سورة	73 (ح)	الجرادي
26	الرستمية ، دولة		الجرابي = أبو العباس
26	الرستمية ، الأسرة		الجرابي 99 ، 106 ، 107 ،
	الرشيد ، بن المأمون	109 ، 110 ، 208	
(ح) 18 ، 18	= عبد الواحد	79 (ح)	الجزولي
	الرشيد ، هارون 43 ، 186 (ح)	59	الجفر ، علوم
37 ، 31	الروافض	35	الحمل ، أصحاب
225 ، 12	الروم	79	الجوهري
78	الزجاجي	137 (ح)	الحافظ الذهبي

78 ، 79 (ح)	الشلوبين	143 (ح)	الزمر ، سورة
203 (ح)	الشتميري	25	الزناتية
35	الشهرستاني	64	الزهرة ، آلهة
31 ، 30 ، 27	الشيعة	ابو زكريا يحيى بن	الزواوي -
114 ، 37		ابي علي	
33	الشيعة الإمامية	77 ، 77 (ح)	الزوزني
27	الشيعة ، الحركة	190 (ح)	الزيدية
37 ، 43 ، 59 ،	الصحابة ، الرسول	37	السبتي انظر : عبد الحق بن سبعين
120		19	السبعين ، اهل
26 ، 26 (ح)	الصفريّة	186 (ح)	السبكي
22	الصلبيون	130 ، 128	انسرخسي
140 (ح)	الضي	18	السعيد
أبو بكر محمد بن	الطرطوشي	انظر	
32 ، 32 (ح)	الوليد	1 - أبو الحسن علي	
الظاهر « المذهب » أو الظاهرية		2 - المعتضد	
43 ، 44 ، 46 ، 60 ، 76		3 - علي	
49	العباس ، مدعي الفاطمية	السلاجي ابو عمرو عثمان بن عبدالله	
188 (ح)	العباس بن الأحنف	القيسي القرشي	69 ، 70
30 ، 27	العباسيون	السلفية ، العقائد	33
57 ، 127	العبيدية = العبيديون	السنة ، اهل	33 ، 36 ، 48 ، 57 ،
27	العبيديون = دولة	السنية ، مذهب	28
203 ، 158 ،	العزيز بالله ، الإمام	السهيلي	78 (ح)
204 ، 208		الشافعي ، مذهب	46
175 (ح)	الأيوبي ، العصر	الشريف الطليق المرواني	89 (ح) ،
58 (ح) ، 62 (ح)	العقاد	202	
95	العماد الحنبلي	الشعراني	144 (ح)
28	الغاز بن قيس	الشفندي	127 ، 157 ، 160 ،
76 ، 125 (ح)	الغبريني	171 ، 172 ، 175	

32	عبد الجبار	الغرناطي ، ابو القاسم 192 (ح)
22	المرابطي ، الحكم	211 الغز
46	المرابطة ، دولة	الغزالي = ابو حامد 13 ، 35 ، 36 ،
	المرابطون 11 ، 12 ، 15 ،	62 (ح) ، 65 ، 66 ، 67
	15 (ح) ، 19 ، 20 ، 21 ،	الغساني ، محمد بن عبد الحق 126 ،
	25 ، 30 ، 31 ، 33 ، 36 ،	137 ، 149 ، 163 ، 164 ،
	37 ، 40 ، 45 ، 57 ، 58 ،	165 ، 167 ، 193
30	المرابطون ، داعية	الفاطميون 26 ، 30 ، 31 ، 37 ،
	المراكشي 13 ، 32 (ح) ، 34 ،	58 ، 58 (ح) ، 59 ، 157 ،
	35 ، 38 (ح) ، 93 ، 102 ،	171 الفرزدق
	103 ، 131 ، 132 ، 145 ،	71 الفتح ، سورة
	169 ، 170 ، 176 ، 226 ،	الفرس 140 (ح) ، 141 ، 199
	المريني ، ابو يوسف يعقوب بن	الفرنسيون 125 (ح)
177	عبد الحق	50 الفواطم
24	المرينية ، الدولة	86 القاسم ، ابن العذني
47	المرينيون	49 القحطاني
	المستنصر انظر :	القحيف بن خمير بن سليم العقيلي 140 ،
	1 — أبو يعقوب	140 (ح)
	2 — يوسف بن محمد	57 القرامطة
	المستنصر بالله الأموي . انظر :	القيرواني ، ابن ابي زيد 25
	الحكم الأموي	73 الكامل الأيوبي
87	المسيح	49 الكسوي
24	المسيحيون — المرتقة	32 الكيا الهراسي
	المصامدة 14 ، 49 ، 54 ، 65 ،	المالكي ، فقه 12 ، 15 ، 47 ،
	136 ، 152 ، 153	المالكية ، مذهب 27 ، 28 ، 30 ،
	المصمودية ، قبيلة	37 ، 48 ، 59 ، 24
	المعتزلة 27 ، 32 (ح) ، 34 ،	24 المالكيون ، الفقهاء
37 ، 35		المأمون = أبو العلاء المبارك بن

الإمام 12 ، 14 ، 14 (ح) ،
 15 ، 15 (ح) ، 18 ، 19 ،
 20 ، 20 (ح) ، 21 ، 22 ،
 24 ، 25 ، 27 ، 32 (ح) ،
 33 ، 34 ، 35 ، 35 (ح) ،
 36 ، 37 ، 38 ، 39 ، ،
 39 (ح) ، 41 ، 42 ، 42 (ح) ،
 43 ، 44 ، 45 ، 46 ، 48 ، 49 ،
 54 ، 56 ، 58 ، 59 ، 71 ، 72 ،
 75 ، 91 ، 92 ، 102 ، 114 ،
 116 ، 136 ، 207 ،
 المهدي ، أحمد الأعرج السعدي 50 ،
 50 (ح)
 الموحدية ، الامبراطورية 37 ، 24
 الموحدية ، الايديولوجية 24
 الموحدية ، الدراهم 23 (ح)
 42 (ح)
 11 ، 21
 الموحدية ، ثورة
 الموحدية ، دعوة 18 ، 21 (ح) ،
 34 ، 44 ، 55 ، 58 ، 104 ،
 41 ، 6 مذهب الموحدية
 الموحدون 5 ، 6 ، 12 ، 13 ، 17 ،
 18 (ح) ، 21 ، 23 ، 32 (ح)
 42 ، 44 ، 46 ، 49 ، 55 ، 57 ،
 58 ، 58 (ح) ، 64 ، 68 ،
 70 ، 72 ، 76 ، 83 ، 84 ،
 87 ، 91 ، 94 (ح) ، 239 ،
 65 ، 71 طلبه الموحدون

المعتصم يحيى بن ناصر بن المنصور 116
 المعتضد 18 (ح)
 انظر :
 1 - أبو الحسن علي
 2 - السعيد
 3 - علي
 المعتمد على الله بن عباد 210 ، 210 ح
 المعز ، بن باديس 157 ، 27
 المعتز ، الخليفة العباسي 155 ، 155 (ح)
 المقدسي 30 (ح) ، 153 (ح)
 المقرئ ، أبو العباس 73 ، 82 ، 95 ،
 99 (ح) ، 115 ، 116 ،
 128 ، 164
 المنتصر ، الفاطمي 57
 المنصور ، انظر : يعقوب المنصور
 22 ، 24 ، 39 (ح) ، 41 ، 42 ،
 44 ، 46 ، 47 ، 59 ، 60 ،
 63 ، 64 ، 76 ، 82 ، 83 ،
 88 ، 89 ، 91 ، 95 ، 114 ،
 209 ، 210 ، 238
 المنصور ، المغربي 37
 المنصور بن الناصر الحمادي 125 ح
 المنوني ، الأستاذ محمد 131 ، 164 ،
 165 ، 169 ، 170 ، 177 ،
 177 (ح) ، 178 ، 179
 المهدي 19 ، 42 ، 48
 المهدي ، امامية 55
 المهدي - ابن تومارت ،

155 (ح)	ب ، لوين	النابعة الذبياني ، زياد بن معاوية
140 (ح)	بنو أسد	203 ، 203 (ح)
155 ، 127 ، 156	بنو العباس 57 ، 127 ، 155 ، 160 ، 156	الناصر — ابو عبدالله 17 ، 17 (ح) ، 207 ، 202 ، 109 ، 49
16	بنو أمية ، الشام	الناصر بن علناس ابن زيري 125 (ح)
191 (ح)	بنو أمية الأندلسيون	40
125 (ح)	بنو حماد	17
15 ، 57	بنو زيري	النعمان ، النعمان الثالث
194	بنو عباد	بن المنذر 203 (ح) ، 203
131 ، 127 ، 65	بنو عبد المؤمن	27
160	بنو عبيد	الهادي العباسي
50	بنو مرين	الهادي الماسي ، محمد بن عبدالله بن
141	تبع	هود الماسي أو الهادي 48 ، 54
	تيم بن المعز الفاطمي = ابن المعز	المراسي ابو الحسن علي بن محمد
157 ، 157 ، 155 ، 128 (ح)		بن علي 32 (ح)
160 ، 171 ، 204 ، 205 ، 208		الهلايون = بنو هلال
218 ، 213 ، 208		الأصالية
31 (ح)	تومرت	أولف 150 ، 188 ، 189 ، 223
19	تينمال ، اهل	22
19	جدميوه	اليوسفي ، الدينار
37	جعفر الصادق	63
	جمال الدين بن محمد بن سالم	امرؤ القيس ، انظر : حندج بن حجر
139 (ح)	= واصل الحموي	أمغار 31 (ح)
	جمال الدين محمد بن عكرم ،	44
139 (ح)	الأنصاري	انخل بالثيا ، الأسباني
188 (ح)	جميل بن معمر	اندرية جوبير 86 (ح)
19	جنفيسة ، اهل	ايوب بن سعيد الصنهاجي
		= ابو شعيب
		بروفنسال انظر : ليفي بروفنسال
		بقي بن مخلد 46
		بايزيد محمد خان ، السلطان 168

31	زياد بن علي بن الحسين	جنون ، الأستاذ 170 ، 172 ،
28	سحنون	175 (ح) ، 176 ، 179 (ح)
86	سعد زغلول عبد الحميد	جودة الركابي 174 (ح)
58 ، 57	سليم ، بنو	جودفروا دي مومبيس 39 (ح)
132	سليمان الموحدى ، الأمير	جورج كولان 119 (ح)
144	سهل التستري	جورج مرسيه 48
83	سيديو	جولد تسيهر 39 (ح) ، 45
79	سيويو	حام 141
212 ، 141	سيف الدولة	جوليان 14 (ح) ، 15 (ح) ، 17 (ح)
73	شرف الدين	حاتم الطائي 203 (ح)
60	شرف الدين يالتقايا	حامد عبد المجيد 99 (ح) ،
194 ، 5	شوقي ضيف الدكتور	210 (ح)
231	(ح) ، (ح)	56
35	صفين ، أصحاب	حسان ، الوالي
88 ، 47 ، 22	صلاح الدين الأيوبي	حسان بن ثابت 203 (ح)
14 ، 30	صنهاجة ، المرابطية ، قبيلة	ختنجد بن حجر ، الكندي : امرؤ القيس 140 ، 140 (ح)
80	ضياء الدين الخرجي	دعبل 188 (ح)
140	عاصم بن ايوب البطليموسي	دو فردان 14 (ح) ، 15 (ح) ،
عائشة بنت الشاعر أبي الطاهر		16 (ح) ، 17 (ح) ، 23 (ح) ،
147	عمارة	61 (ح) ، 68 (ح) ، 83 (ح) ،
	عبد الجليل بن موسى الأوسي	84 (ح)
68	القصري	ديرنبورج 203 (ح)
67 ، 60	عبد الحق بن سبعين ، السبي	ذو يزن 142 ، 141
27	عبد الحميد بن اسحق الأوربي	رملة 150 ، 188 ، 189
194	عبد الرحمن خليفة	رميلة ، ابنة عبد المؤمن 111
186	عبد الرحمن صدقي	روجر الثاني 85
		زياد بن الأصفر 26 (ح)
		زياد بن عبد الرحمن 28

65 ، 87 ، 88 ، 89 ، 90 ،

94 ، 94 (ح) ، 95 ، 106 ،

111 ، 119 (ح) ، 134 ،

136 ، 152 ، 178 ، 178 (ح)

202 ، 209

عبد الهادي التازي 88

عبد الواحد ، انظر الرشيد بن المأمون

عبد الواحد بن علي التميمي ،

المراكشي 87

عبد الوهاب عزام 210 (ح) 212 (ح)

عبيد الله الفاطمي 40 (ح)

عبيد الله المهدي 157 (ح)

عبيد الله بن عمر بن أحمد بن

جعفر 46

عثمان ، الخليفة 35 ، 37

عز الملك محمد بن عبد الله الحراي

المسبحي 139 (ح)

عقبة بن نافع 25 ، 56

عقيل ، اخو ابن المعتز 213

علي 18 (ح)

انظر :

1 - المعتضد

2 - السعيد

3 - ابو الحسن

علي الميورقي ، انظر : ابن غانية

علي ، أمير المسلمين 11 ، 27

علي بن أبي طالب 144 (ح)

عبد الرحيم بن عبد الرحمن ،

الفرس 49

عبد العزيز ، أخو المهدي 56

عبد العزيز الأهواني ، الدكتور

5 (ح) ، 53 (ح) ، 174 (ح) ،

233 (ح) ، 236 (ح)

عبد القادر محداد 239 (ح)

عبد الكريم الحسني 77 (ح)

عبد الله بن خراسان 152 ، 153

153 (ح)

عبد الله ، أخو تميم بن المعز 159

عبد الله البجلي 31

عبد الله ، بن عبد المؤمن 152 ، 153

عبد الله بن محمد بن عيسى القادي 76 ،

عبد الله جنون 54 (ح) ، 178

عبد الله الشيعي 31

عبد الله الوئشريسي 20

عبد الله بن أباض 26 (ح)

عبد الله بن الجدد 213

عبد الله بن فروح ، أبو محمد الفاسي 28

عبد الله بن محسن عبد الله بن محمد

التادلي 76

عبد الله بن محمد بن حججاج 81

عبد الممدان 141

عبد المؤمن = بن علي الكومي

15 ، 15 (ح) ، 16 ، 22 ،

36 ، 39 (ح) ، 40 ، 41 (ح) ،

42 (ح) ، 49 ، 55 ، 56 ،

46	قاسم بن سيار القرطبي	علي ، بن ابي فحوص بن عبد
71	قاسم بن فيرة الشاطبي ، الضرير	المؤمن 147
28	قرعوس بن العباس	علي بن اسحق ، انظر : ابن غانية
96 (ح)	قرقوش	علي بن الجهم 188 (ح)
50	قريش	علي بن زياد 28
188 (ح)	قيس بن الملوّح	علي بن يقطان السبتي 85
188 (ح)	قيس بن ذريح	علي بن يوسف بن تاشفين
83	كارادوفو ، البارون	1 - ابن يوسف
194 (ح)	كامل كيلاني	2 - علي بن يوسف 11 ، 12 ،
188 (ح)	كثير بن عبد الرحمن	14 ، 38 ، 94 (ح) ، 102
142 ، 141	كسرى	علي شلق ، الدكتور 186 (ح)
179	كعب بن زهير	علي عبد العظيم 194 (ح)
56	كومية ، أهل	عمر ، الخليفة 37
47 ، 45	لاوست - هنري	عمر المرتضى انظر :
102 ، 11	لمتونة - قبيلة	1 - ابو حفص
	لوجار بن لوجار	2 - ابو الفضل عياض بن موسى
152	= ابن الدوقة	اليحصي ، السبتي 28 ، 55 ،
	ليفني بروفنسال = بروفنسال 87 ،	73 ، 100
	118 (ح)	43 ، 42
61 (ح)	ليون الأفريقي	عيسى ، المسيح 56
41 ، 29 ، 28 ، 13	مالك ، مذهب	عيسى ، أخو المهدي 191 (ح)
29 ، 27 ، 29 ،	مالك بن أنس ، الإمام	غارسيا غومس 58
137 ، 76 ، 50 ، 30 (ح)	محسن الأمين	غز مصر 86
186 (ح)	محمد ، (ص) 42 (ح) ، 77 ، 166	غليوم الأول 140 (ح)
140 (ح)	محمد الفضل ابراهيم	فاطمة بنت العبيد 27
87	محمد البرنسي ، السبتي	فتح ، وقعة 60
17 (ح)	محمد الرشيد ملين	فردريك الثاني 39 (ح)
		فريول 86 ، 85
		فيللر ، الأستاذ

77 محمد بن عيسى بن اصبح
 = ابن المناصف
 محمد بن قاسم بن عبد الكريم ،
 87 ، 74 التميمي
 محمد بن محمد بن عبدالله السبتي
 = الادريسي 85 ، 86 ، 86 (ح)
 71 محمد بن يوسف المزدغي
 174 (ح) محمد عبد الحق
 62 (ح) محمد يوسف موسى
 محي الدين صبري الكردي ،
 39 (ح) الشيخ
 11 مسوفة ، قبيلة
 230 (ح) مصطفى أدهم
 25 (ح) معاوية
 58 معقل ، بنو
 128 منصور بن عبد المؤمن
 193 (ح) مهيار بن مرزويه
 25 ، 56 موسى بن نصير
 13 ميمون الخطابي
 ميمون بن خبازة
 انظر : ابو عمرو
 19 ، 31 هرغة ، قبيلة
 84 (ح) هسبرس
 56 ، 57 ، 58 هلال ، بنو
 19 هنتانة ، اهل
 142 (ح) هود ، سورة
 واصل الحموي انظر : جمال
 الدين بن محمد بن سالم

132 محمد الفاسي ، الأستاذ
 166 (ح) محمد المليحي ، الدكتور
 الدكتور محمد بن ابراهيم الإيلي 49
 محمد بن ابراهيم بن حزب الله 75
 محمد بن ابي بردة 46 ، 47
 محمد بن أحمد السبائي ، المراكشي
 61 (ح)
 محمد بن أحمد بن محمد ،
 القيسي 61 (ح)
 محمد بن احمد بن مرزوق التعمري
 السبتي 74
 محمد بن الأدرسي 86
 محمد بن الرضى ، أمير المؤمنين 163
 محمد بن المنصور يعقوب 129
 محمد بن تاويت الطنجي 73
 محمد بن تومرت
 انظر : ابن تومرت
 محمد بن رشيد السبتي 48
 محمد بن سعيد بن أحمد بن مجاهد ،
 الانصاري 59 ، 77
 محمد بنشريقة ، الدكتور 73 (ح)
 محمد بن عبد الحق ، انظر : الغساني
 محمد بن عبدالله ابن وكييد بن الحسن
 بن فاطمة بنت رسول الله 32 ، 40
 محمد بن عبدالله بن هود الماسي :
 انظر : الهادي الماسي
 محمد بن عبد ربه 125 ، 145

229 ، 211	35	واصل بن عطاء
26	30	وجاج بن زلو
يوسف اشباخ	194 (ح)	ولادة بنت المستكفي
210 (ح)	153 (ح)	ياقوت
يوسف بن احمد بن علي المريبطري	30	يحي بن ابراهيم الجدالي
65	85	يحي بن بقي السلاوي
يوسف بن تاشفين 13 ، 30 ، 39 (ح)	151	يحي بن غانية
63 (ح) ، 72 ، 83 ، 91 ،	29	يحي بن يحي الليثي
107 ، 114 ، 144	25 (ح)	يزيد
يوسف بن تاشفين ، ابنة 40		يعقوب المنصور ، الخليفة . انظر :
يوسف بن عبد المؤمن 16 ،		المنصور ايضاً 17 ، 21 ، 31
22 ، 61 ، 65 ، 77 ، 134 ،		65 ، 89 ، 106 ، 112 ،
136		120 ، 127 ، 128 ، 129 (ح) ،
يوسف بن محمد ، انظر :		132 ، 133 ، 145 ، 151 ،
1 — ابو يعقوب		152 ، 153 ، 154 ، 165 ،
2 — المستنصر		172 ، 173 ، 175 ، 188 ،
يوسف بن يعقوب السلطان 49 ، 50		202 ، 205 ، 206 ، 207 ،
5 ، 5 (ح)		
يوسف خليفة		

فهرس الاماكن

الاسكندرية 32 (ح) ، 129 (ح) ، 144	68	أزمور
الأسكوريال ، مكتبة 79 ، 81 (ح) ، 87 ، 164 ، 165 ، 166 ، 167 ، 168	79	اسبانيا
الأندلس 12 ، 13 ، 16 ، 17 ، 23 ، 24 ، 25 ، 28 ، 29 ، 31 ، 32 ، 46 ، 47 ، 56 ، 57 ، 63 (ح) ، 64 ، 65 ، 72 ، 75 ، 77 ، 89 ، 93 ، 103 ، 104 ، 106 ، 107 ، 144 ، 154 ، 175 ، 177 ، 186 ، 186 (ح) ، 191 ، 191 (ح) ، 219	85 ، 60 (ح) ، 86 (ح) ، 87 ، 99 (ح) ، 155 (ح) ، 156 (ح) ، 16 (ح) ، اشيلية 16 (ح) ، 36 ، 80 ، 81 ، 82 ، 83 ، 94 ، 111 (ح) ، 194 (ح) ، 210 (ح) ، 213 (ح) ، 138 (ح) ، 55	اسطنبول أصفهان اطلس ، جبال أغمات
الأهواز 186 (ح)	21 ، 111 (ح) ، افريقية 16 ، 24 ، 25 ، 25 (ح) ، 26 ، 28 ، 29 ، 31 ، 56 ، 57 ، 81 ، 193 ، 152 ، 191 (ح)	أفشنه
البحر المتوسط 125 (ح)	137	اكسنورد 60 (ح) ، 85 ، 86 (ح)
البصرة 32 (ح)	71 (ح)	الأحمدية ، مكتبة
البُنْدُقية 23	89 ، 17 ، 120	الأرك - معركة ، غزوة
الجامع العتيق 79	109 ، 114 ، 120	
الجزائر 25 ، 26 ، 39 (ح) ، 151		

47	الصلاحية ، مدرسة	الجزيرة الخضراء 16 (ح) ، 76
175 ، 49	العدوة ، الأندلس	الجزيرة العربية 139
95 ، 29 ، 26	العراق	الجيرالدا ، منارة 83
76 ، 23 ، 17	العقاب ، معركة	دار الطراز 174 (ح)
، 99 (ح) ، 85 ، 32 (ح)	القاهرة	دار الكتب المصرية 138 (ح) ،
، 150 (ح) ، 139 (ح)	119 (ح) ، 186 (ح) ، 203 (ح)	139 (ح) ، 174 (ح) ، 193 (ح)
، 100 (ح) ، 136 (ح)	القرويون ، جامعة 57 ، 100 (ح) ، 137 (ح)	الحجاز 71 ، 57 ، 29
137 (ح)	القرويون ، خزانة	الحيرة 203 (ح)
79	القرويون ، مكتبة	الرباط ، مدينة 6 ، 73 ، 75 ، 81 (ح) ، 83 ، 84 (ح) ،
140 (ح)	القسطنطينية	105 ، 115 (ح) ، 164 ، 165 ، 166 ، 168 ، 169 ،
73	الكاملية ، مدرسة	الرباط ، خزانة 99 (ح)
83	الكتيبة ، جامع	الربيع ، قصر 148 ، 138
83	الكتبتان ، جامع	الروم ، بلاد 140
31 ، 30 (ح)	الكوفة	الزيدانية ، مكتبة 86
148	الؤلؤة ، أنف في الجبل	السليمانية 87
155 (ح)	المحروسة ، مطبعة	السودان 129
105	المحيط الأطلسي	السوس 31 ، 32 (ح) ، 37 ، 48 ، 49
153 (ح)	المدينة العامرة	السوس الأقصى 16 ، 81
30 ، 29	المدينة (المنورة)	الشام ، مدينة 22 ، 30 ، 35 ، 66 ، 128 ، 128 (ح) ،
165	المراكشية ، الحضرة	140 (ح) ، 151 ، 172 ، 211
78	المرية	الشام ، بلاد 57 ، 12
، 32 ، 29 ، 26 ، 25	المشرق	الشمال الأفريقي ، بلاد 26 ، 27 ، 28
، 46 ، 37 ، 33 (ح)	32 (ح) ، 73 ، 74 ، 173	
16	المصامدة ، بلاد	
60 (ح)	المعهد العلمي الفرنسي	

بغداد 32 ، 32 (ح) ، 36 ، 87 ،	المغرب 12 ، 13 ، 23 —
138 (ح) ، 139 (ح) ، 186 (ح)	31 ، 33 ، 35 ، 38 ، 41 ،
81 بلاد نول	46 ، 47 ، 48 ، 50 ، 56 ،
بلنسية 69 ، 127 ، 138 (ح) ،	60 ، 68 ، 70 ، 73 ، 75 ،
154 ، 145	78 ، 80 ، 81 ، 85 ، 87 ،
138 (ح) بولاق	91 ، 95 ، 104 ، 128 (ح) ،
60 (ح) ، 186 (ح) بيروت	132 ، 138 (ح) ، 144 ،
39 ، 31 (ح) تارودانت	153 (ح) ، 171 ، 175 ،
83 تازة	المغرب الأقصى 15 ، 24 ، 37 ،
153 (ح) تافيلات	المغرب الأوسط 15 ، 25 ، 26 ،
26 تاهرت	15 المغرب العربي الكبير
50 تلمسان ، جبل	الملكية ، مكتبة 75 (ح) ، 93 ، 107 ،
تلمسان ، مدينة 26 ، 50 ، 80 ،	الناصرية 125 (ح)
151 ، 152 ، 194	47 الناصرية ، مدرسة
83 تنمل	32 (ح) النظامية ، مدرسة
39 ، 38 (ح) تنمل ، قرية	140 (ح) الهند
انظر : تينمال	140 (ح) انقره
تونس 15 ، 25 ، 26 ، 32 (ح) ،	اوربا 82 ، 137 (ح)
57 ، 152 ، 191 (ح)	ايطاليا 23 ، 60
152 ، 127 تونس ، المدينة	باريز 85 ، 86 (ح) ، 140 (ح)
38 ، 19 (ح) تينمال	بجاية 41 (ح) ، 104 ، 125 ،
5 جامعة القاهرة	125 (ح) ، 127 ، 128 ،
83 جامع حسان	130 ، 131 ، 133 ، 134 ،
68 جبل العلم	145 ، 147 ، 148 ، 150 ،
208 ، 202 ، 89 جبل الفتح	152 ، 153 ، 154
89 (ح) جبل طارق	132 بجاية ، ولاية
19 جد ميوه	137 (ح) بخاري
19 جنفيسة	81 برقة

80 ، 25	طنجة	23	جنوه
167-167	طوبكاجي ، قصر اسطنبول	86 (ح)	حكيم اوغلو علي باشا ، مكتبة
85	عدن	23	حوض المتوسط ، أقاليم
153 ، 130	غانة	175 (ح)	حيدر آباد
15 (ح) ، 16 (ح)	غرناطة	32 (ح) ، 71 (ح)	دمشق
49	غمارة	79 ، 128 (ح) ، 174 (ح)	
66 ، 49 ، 49 ، 38 ، 22	فاس	49	رباط ماسة
80 ، 79 ، 76 ، 74 ، 69		50	رباط العباد
136 ، 112 ، 81		158 (ح)	رملة
23	فرنسا	16 (ح)	رندة
158 (ح)	فلسطين	86 (ح)	روما
191 (ح)	قرطاجنة	55 ، 59 ، 60 ، 67 ، 74 ، 80	سبتة
16 ، 16 ، 15 (ح) ، 13	قرطبة		
62 ، 44 ، 60 (ح) ، 31 (ح)		130 ، 128 ، 127 ، 16	سجلماسة
194 ، 154 ، 101 ، 67 (ح)		153 ، 153 ، 145 ، 132 (ح)	
50	كربلاء	154	
26 ، 15	ليبيا	49	سلا ، بحر
85	ليننجراد	61 (ح)	سوق الكتبيين
16 (ح)	مالقة	145 (ح) ، 219 (ح)	شاطبة
21 ، 19 ، 18 (ح)	مراكش	68 ، 219 (ح)	شقر ، جزيرة
39 ، 38 ، 28 (ح)		87	شهيد باشا ، مكتبة
65 ، 64 ، 61 (ح)		233	صحراء الجزيرة العربية
84 ، 83 ، 74 ، 67 (ح)		173 ، 152 ، 85	صقلية
136 ، 105 ، 96 ، 94		125 (ح)	صلداي
62 ، 38 ، 62 (ح)	المدينة	125 (ح)	صلده
81 ، 77 ، 78 (ح)		26 ، 25 ، 16	طرابلس الغرب
129 ، 116 ، 84 ، 83		32 (ح)	طرطوشة
178 ، 151 ، 150 ، 133 (ح)		166	طليطلة

167	مكتبة السلطان أحمد الثالث	23	م.رسيلىا
(ح) 99	مكتبة السلطان الفاتح	154 ، 72	مرسء
16	مملكة المغرب	49	مزممة : بلد
233 ، 139	منى	مصر 15 ، 30 ، 38 (ح) ، 39 (ح)	
(ح) 157	مهدية تونس	47 ، 71 ، 78 ، 79 ، 85 ،	
233 ، (ح) 140 ، 139 ، 57	نجد	128 (ح) ، 156 (ح) ، 157 ،	
(ح) 137	همدان	(ح) 173 ، 174 ، 174 (ح)	
19	هتانة	186 (ح)	
27	وليلي	57	مصر ، صعيد
151	ياميلول	118	معهد العلوم العليا المغربية
		(ح) 174	مكتبة الانجلو المصرية

فهرس الكتب

- 66 ، 36 (ح) ،
 أخبار أبي نواس ونواده ومجونه
 186 (ح)
 أخبار المهدي 14 (ح) ، 19 (ح) ،
 38 (ح) ، 87 ، 118
 أدب مصر الفاطمية 59 (ح)
 أزهار البساتين 32 (ح)
 أزهار الرياض 73 (ح) ، 86 (ح) ،
 99 (ح) ، 106 (ح) ، 191 (ح)
 213 (ح)
 أشباخ 82 (ح)
 اطلال تنملل 39 (ح)
 إظهار الكمال 68 (ح)
 أعز ما يطلب 14 (ح) ، 20 (ح) ،
 33 ، 34 (ح) ، 39 ، 41 ،
 45 (ح) ، 118 ، 136
 أعمال الأعلام 11 (ح) ، 13 (ح) ،
 19 (ح) ، 32 (ح) ، 57 (ح) ،
 15 (ح) ابن جبير ، رحلته
 ابن رشد 58 (ح) ، 62 (ح) ،
 ابن زيدون ، عصره وحياته وأدبه
 194 (ح)
 60 (ح) ابن سبعين
 فهرس الكتب
 ابن سناء الملك ومشكلة العقسم
 والابتكار في الشعر 176 (ح) ،
 233 (ح) ، 236 (ح)
 ابن هشام اللخمي 53 (ح)
 أبو نواس 186 (ح)
 أبو نواس بين التخطي والالتزام
 186 (ح)
 احد عشر قرناً في جامعة القرويين
 58 (ح)
 أحسن التقاسيم 30 (ح) . 153 (ح)
 أحياء علوم الدين 13 (ح) ، 36 ،

72	البخاري ، صحيح	الأخلاق والسير في مداواة النفوس	60 (ح)
157 (ح) ، 155	البديع	الإدريسي	39 (ح)
69	البرهانية	الأزهار 111 (ح) ، 112 (ح) ،	114 (ح) ، 115 (ح) ، 116 (ح) ،
، 78 (ح) ، 72 (ح) ، 71 (ح) ،	البغية 71 (ح) ، 72 (ح) ، 78 (ح) ،	117 (ح)	
79 (ح) ، 80 (ح) ، 81 (ح) ،	90 (ح) ، 99 (ح) ،	الاستبصار في عجائب الأمصار	86 ، 149 (ح) ، 153 (ح)
191 (ح) ، 125 (ح) ، 178 (ح) ،	البكري 125 (ح) ، 178 (ح) ، 191 (ح) ،	الاستقصاء 11 (ح) ، 12 (ح) ،	13 (ح) ، 14 (ح) ، 15 (ح) ،
البيان المغرب ، لابن عذارى ،		22 (ح) ، 25 (ح) ، 39 (ح) ،	40 (ح) ، 49 (ح) ، 53 (ح) ،
12 (ح) ، 16 (ح) ، 43 (ح) ،		55 (ح) ، 56 (ح) ، 57 (ح) ،	58 (ح) ، 88 (ح)
49 (ح) ، 91 (ح) ، 93 (ح) ،		الأصول ، لابن السراج	78
94 (ح) ، 98 (ح) ، 107 (ح) ،		الاعتماد ، المقدمة	79
130 ، 134 (ح) ، 151 (ح) ،		الأعلام 14 (ح) ، 61 (ح) ، 72 (ح) ،	
البيان في تنقيح كتاب البرهان 70		(ح) ، 102 (ح) ، 103 (ح) ،	106 (ح)
41	الترمذي	الأعيان	28 (ح)
67	التسوية	الأغاني 127 ، 137 ، 137 (ح) ،	139 ، 139 (ح) ، 140 (ح) ،
، 66 (ح) ، 68 (ح) ،	التشوف 66 (ح) ، 68 (ح) ،	144 ، 154 ، 203 (ح) ،	204 (ح)
69 (ح) ، 70 (ح) ، 73 (ح) ،	69 (ح) ، 70 (ح) ، 73 (ح) ،	الاغتباط	116 (ح)
73 (ح)	التعريف	الألفية	79
59 (ح)	التكملة	الأمانة	39
، 65 (ح) ، 68 (ح) ،	التكملة 59 (ح) ، 65 (ح) ، 68 (ح) ،	الانساب في معرفة الأصحاب	87
70 (ح) ، 73 (ح) ، 74 (ح) ،	70 (ح) ، 73 (ح) ، 74 (ح) ،		
75 (ح) ، 76 (ح) ، 80 (ح) ،	75 (ح) ، 76 (ح) ، 80 (ح) ،		
81 (ح) ، 90 (ح) ، 102 (ح) ،	81 (ح) ، 90 (ح) ، 102 (ح) ،		
106 (ح) ، 111 (ح) ،	106 (ح) ، 111 (ح) ،		
62 (ح)	التهافت		
39 ، 54	التوحيد		
التوضيح والبيان عن شعر نابغة بني			
203 (ح)	ذيان		

الدعوة الموحدة 15 (ح) ، 19 (ح) ،	الثقافة المغربية ، مجلة 132 ، 132 ، (ح)
32 (ح)	239 (ح) ،
الدليل على أن الشريعة لا تثبت	الجدوة 69 (ح) ، 70 (ح) ، 74 (ح)
بالعقل من وجوه 45 (ح)	81 (ح) ، 87 (ح) ، 99 (ح) ،
الديباج المذهب 137 (ح)	111 (ح) ، 115 (ح) ،
الديوان ، لأبي الربيع 66 (ح) ،	118 (ح) ، 155 (ح) ،
126 (ح) ، 127 (ح) ،	الجزائر 125 (ح)
156 (ح) ، 157 (ح) ،	الجفر 37
159 (ح) ، 163 ، 163 (ح) ،	الجمهرة 79
165 ، 174 ، 193 (ح) ،	الحالة الاقتصادية لمراكش على
197 (ح) ، 198 (ح) ، 199 (ح) ،	عهد الموحدين 23 (ح)
200 (ح) ، 201 (ح) ،	الحان الحان 186 (ح)
202 (ح) ، 205 (ح) ،	الحديث عن عملية التمييز في الدعوى
210 (ح) ، 211 (ح) ،	الوحدة 21 (ح)
214 (ح) ، 218 (ح) ،	الحلل ، الموشية 11 (ح) ، 13 (ح) ،
219 (ح) ، 220 (ح) ،	15 (ح) ، 16 ، 16 (ح) ،
222 (ح) ، 223 (ح) ، 224 (ح) ،	17 (ح) ، 31 (ح) ، 32 (ح) ،
الذخيرة السنية في تاريخ الدولة	36 ، 39 ، 39 (ح) ، 42 (ح) ،
المربنية 177	43 (ح) ، 49 (ح) ، 92 ،
الذيل والتكملة 99 (ح) ، 116	94 ، 96 ، 96 (ح) ، 136 (ح) ،
الرامزة 80	الحلة السراء 160 (ح)
الرايات 93 (ح) ،	الحماسة المتأخرة 99 (ح)
128 ، 128 (ح) ، 155 ،	الحماسة المغربية 99 (ح)
170 (ح) ، 219 (ح) ،	الخريدة 85 ، 88 (ح)
225 (ح)	الخزرجية 80
الرد على النحاة 43	الدر المنظم في مولد النبي المعظم 86
الروض الأنف 78 ، 78 (ح)	الدرر البهية 68 (ح)

114 (ح) ، 127 ، 127 (ح) ،	71 (ح)	الروض المتون
128 (ح) ، 132 ، 145 (ح) ،	130	الروضة السليمانية
147 (ح) ، 151 (ح) ، 153	68 (ح)	السعادة الأبدية
(ح) ، 155 (ح) ، 170 (ح)	69 (ح)	السوة
الفاظ مغربية 53 (ح)	128 (ح)	السياسة الملوكية
الفتوحات في معرفة الأسرار	71	الشاطبية
الملكية والملكية 66 (ح)	191 (ح)	الشعر الأندلسي
الفصل في الملل والأهراء والنحل	الشعر الأندلسي في القرن الحادي	
60 (ح) ، 356 ،	عشر 239 (ح)	
الفصول والجمل في شرح أبيات	الشفاء في تعريف حقوق المصطفى	
الجمل 79	73	
الفقه على المذاهب الأربعة 28	144 ، 79	الصحاح
الفن ومذاهبه في الشعر العربي	72 ، 41	الصحیحان
157 (ح) ، 231 (ح) ، 232	144 (ح)	الطبقات
ألفية ابن سينا 137	111 (ح)	العاطل الحالي
القاضي عياض 73 (ح)	33 (ح) ، 36 (ح)	العبر
القانون ، مقدمة 79	125	العقد ، الفريد
القانون في الطب 137 (ح)	79	العقود والقوانين
القرآن ، الكريم انظر : الكتاب	69	العقيدة البرهانية
أيضاً 39 ، 41 ، 42 (ح) ،		العلوم والفنون والآداب على عهد
142 ، 118 ، 67		الموحدين 63 (ح) ، 65 (ح) ،
القرطاس 11 (ح) ، 13 (ح) ،		83 (ح) ، 94 (ح) ، 98 (ح) ،
14 (ح) ، 15 (ح) ، 21 (ح) ،		131 ، 131 (ح) ، 136 (ح) ،
22 (ح) ، 24 (ح) ، 31 (ح) ،		164 (ح) ، 170 (ح) ،
32 (ح) ، 40 (ح) ، 41 (ح) ،		179 (ح) ، 209 (ح)
43 (ح) ، 49 (ح) ، 54 (ح) ،		الغصون اليانعة 81 (ح) ، 98 (ح) ،
55 (ح) ، 56 (ح) ، 57 (ح) ،		106 (ح) ، 111 (ح) ،
		112 (ح) ، 113 (ح) ،

77	المذهبة في الحل والشيات	69 (ح) ، 72 (ح) ، 81 (ح) ،
60	المسائل العقلية	95 (ح) ، 177
153 (ح)	المسالك والممالك	القصيدة 58 (ح) ، 110 (ح) ،
	المستفاد في مناقب العباد من أهل	116 (ح)
87	فاس وما يليها من العباد	القلائد 219 (ح) ، 221 (ح) ،
39 (ح)	المشاهد والقلاع	222 (ح)
41	المصنفات العشرة	القواعد 39
67	المضنون الصغير	الكامل في التاريخ 14 (ح) ، 35 (ح)
	المطرب في اشعار المغرب 73 (ح) ،	40 (ح)
	78 (ح) ، 79 (ح) ، 90 (ح) ،	الكتاب ، القرآن 37 ، 43 ، 44 ،
	99 ، 99 (ح) ، 102 (ح)	59 ، 68 ، 70 ، 103
210 (ح)	المعتمد بن عباد	الكتب الصحاح « الكتب الخمسة
	المعجب في تلخيص أخبار المغرب	الصحاح » 41 ، 74
	11 (ح) ، 13 (ح) ، 14 (ح) ،	الكراسة ، المقدمة 79
	15 (ح) ، 16 ، 19 (ح) ،	الكشاف 61
	22 (ح) ، 32 (ح) ، 34 (ح) ،	الآلي الفريدة في شرح القصيدة
	35 (ح) ، 36 (ح) ، 38 (ح) ،	71 (ح)
	41 ، 42 (ح) ، 58 (ح) ،	الباب في مسائل الحساب 80
	61 (ح) ، 62 (ح) ، 63 (ح) ،	المثلث 79
	64 (ح) ، 72 (ح) ، 77 (ح) ،	المجمل 78
	85 (ح) ، 87 ، 89 (ح) ،	المحاضرات 67 (ح)
	90 (ح) ، 94 (ح) ، 102 (ح) ،	المحل 60 (ح)
	125 ، 125 (ح) ، 134 (ح) ،	المختصر 138 (ح)
	145 ، 145 (ح) ، 153 (ح) ،	المدارك في رفع الموقوف ووصل
	170 (ح) ، 174 (ح) ،	المقطوع من حديث مالك 70
	176 (ح) ، 208 (ح) ،	73 (ح)
203 (ح)	المعلقات	76
		المدونة

131 (ح) ، 132 ، 132 (ح) ،
 221 (ح)
 النجوم المشرقة في ذكر من أخذ
 عنه في كل ثبت وثقة 74
 النفخ 29 ، 29 (ح) ، 60 (ح) ،
 67 ، 72 (ح) ، 82 (ح) ،
 88 (ح) ، 89 (ح) ، 90 (ح) ،
 91 (ح) ، 95 (ح) ، 112 (ح) ،
 128 (ح) ، 129 (ح) ، 130 ،
 130 (ح) ، 132 ، 133 (ح) ،
 151 (ح) ، 154 (ح) ، 164 ،
 170 ، 174 (ح) ، 191 (ح) ،
 210 (ح) ، 219 (ح)
 76 الوافي
 71 الوباء ، مقالة
 الورقة 130 (ح)
 امرأونا الشعراء 98 (ح) ، 132 ،
 132 (ح)
 انوار الافهام في شرح الاحكام
 71
 69 ايضاح العقيدة البرهانية
 بداية المجتهد ونهاية المقتصد
 62 (ح)
 186 (ح) بروكلمان
 بغية الملتبس 72 (ح) ، 85 (ح)
 بين الدين والفلسفة عند ابن رشد
 62 (ح)

المعلى في الرد على المحلى والمجلى 59
 المعلى في الرد على محلى ابن حزم 77
 المغرب في حلى المغرب 28 (ح)
 61 (ح) ، 62 (ح) ، 106 (ح) ،
 128 ، 146 (ح) ، 170 ،
 219 (ح)
 المفصل ، شرح المقتبس في أخبار
 المغرب وفاس والأندلس 19 (ح) ،
 39 (ح) ، 87 ،
 106 (ح) المقتضب
 249 ، 29 المقدمة
 164 (ح) المقرئ
 76 المحمود في تلخيص العقود
 61 الملكي
 86 الممالك والمسالك
 88 ، 135 (ح) المن بالإمامة
 المنتظم في تاريخ الملوك والأمم
 193 (ح)
 61 (ح) ، 62 (ح) الموسوعة الفلسفية
 41 ، 62 ، 136 الموطأ
 137 (ح) الموطأ الصغير
 137 (ح) الموطأ الكبير
 المؤنس في أخبار افريقيا وتونس
 36 (ح)
 النبراس في أخبار خلفاء
 بنى العباس 87
 18 (ح) ، 54 (ح) ، 59 (ح) النبوغ
 66 (ح) ، 83 (ح) ، 131 ،

- جامعة القرويين في ذكرها الماية
 57 (ح) بعد الألف
 78 جمهرة ابن دريد
 87 (ح) جنى زهرة الأس
 77 حجة الأيام وقدوة الأثام
 157 (ح) حسن المحاضرة
 79 حواشي على أصول ابن السراج
 61 (ح) حي بن يقظان
 14 (ح) دائرة المعارف الإسلامية
 68 (ح) ، 137 (ح) ، 139 ،
 (ح) ، 140 (ح) ،
 174 (ح) دائرة المعارف العثمانية
 44 (ح) ، دعوة الحق ، بحث
 102 (ح)
 99 ديوان أبي العباس الجراوي
 ديوان أبي بكر عتيق بن علي
 99 الصنهاجي الحميدي
 ديوان أبي عبدالله محمد بن حبوس
 99
 ديوان أبي عبدالله محمد بن علي بن
 99 العابد الأنصاري
 ديوان أبي عمرو ميمون بن خبازة
 99 الخطابي
 165 ديوان أبي فراس الحمداني
 141 (ح) ديوان المتنبي
 210 (ح) ذخيرة ابن بسام
 ذكريات مشاهير رجال المغرب ،
 مجلة 78 (ح) ، 104 (ح) ،
- تاريخ ابن خلدون 14 (ح) ، 15 (ح) ،
 16 (ح) ، 17 (ح) ، 19 (ح) ،
 26 (ح) ، 49 (ح) ، 57 (ح) ،
 88 (ح) ، 148 (ح) ، 151 ،
 (ح) ، 155 (ح)
 تاريخ افريقيا الشمالية 14 (ح) ،
 15 (ح) ، 17 (ح) ، 82 (ح) ،
 تاريخ الأندلس ، لأشباح
 82 (ح)
 تاريخ الأندلس على عهد المرابطين
 والموحدين 210 (ح)
 تاريخ البيدق 15 (ح) ، 21 (ح) ،
 36 (ح) ، 40 (ح) ، 92 ،
 تاريخ الدولة السعدية 50 (ح)
 تاريخ الفكر الأندلسي 45 (ح)
 47 (ح)
 تاريخ الفكر العربي 193 (ح)
 تاريخ الموحدين 87
 تحفة القادم 61 (ح)
 تذكرة الحفاظ 137 (ح)
 ترتيب المدارك وتقريب المسالك
 لمعرفة أعلام مذهب مالك 28 ،
 73
 ترجمان الأشواق 66 (ح)
 ترجمة الأعلام 68 (ح)
 تقدم العرب 23 (ح)
 تهافت التهافت 62 (ح)
 جامع المبادئ والغايات في الميقات 28

190 (ح)	شرح المعلقات	111 (ح) ، 116 (ح) ، 132 ،
80	شرح مقصورة ابن دريد	(ح) ، 132 ، 137 (ح) ،
71	شعب الإيمان	172 (ح) ، 173 (ح)
119 (ح)	صبح الأعشى	رسائل موحدية 54 (ح) ، 118
78	صحاح الجوهري	رسالة الشقندي 112 (ح)
99 ، 99 (ح)	صفوة الأدب	رفع الحجب في محاسن المقصورة
صلة ابن الزبير 68 (ح) ، 69 (ح) ،		211 (ح) ، 192 (ح)
70 (ح) ، 71 (ح) ، 81 (ح) ،		روض الانس ونزهة النفس 86
11 (ح)		روض الفرج ، خريطة 86
65 (ح)	صلة الصلة	زاد المسافرين 72 (ح) ، 78 (ح) ،
140 (ح)	طبقات ابن سلام	90 (ح) ، 102 (ح) ، 104 (ح)
طبقات الأطباء 61 (ح) ، 62 (ح) ،		106 (ح) ، 111 (ح) ، 239 (ح)
186 (ح)	طبقات الشافعية الكبرى	سراج الملوك 32 (ح)
155 (ح)	طبقات الشعراء المحدثين	سرح العيون شرح ابن زيدون
طوق الحمامة 60 (ح) ، 192 (ح)		194 (ح)
عصر المنصور 17 (ح)		سنن ابن أبي شيبة 41
13	علوم الكلام	سنن ابي داود 41 ، 72
عنوان الدراية فيمن عرف من		سنن البزار 41
العلماء في المائة السابعة 60 (ح) ،		سنن البيهقي 41
70 (ح) ، 75 (ح) ، 76 (ح) ،		سنن الدارقطني 41
77 (ح) ، 78 (ح) ، 125 (ح) ،		سنن النسائي 41
147 (ح)		سيرة ابن هشام 78
46	فرق الاسلام	شاعر الخلافة الموحدية 106 (ح)
فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة		شذرات الذهب 95 (ح)
والحكمة من الاتصال 62 (ح)		شرح أبيات سيويه 79
66 (ح)	فصوص الحكم	شرح الجمل 79
174 (ح)	فصوص الفصول	شرح الفصيح 80
80 (ح)	فهرست ابن غازي	

- قلائد العقيان 101 (ح) ، 210 (ح)
 كتاب الشفاء 137 (ح)
 كتاب الصلة 137 (ح)
 كتاب سيبويه 78
 كتب ابي حامد الغزالي 13
 كشف الخفا 143 (ح) ، 144 (ح)
 كشف الظنون 67 (ح) ، 69 (ح) ،
 83 (ح) ، 186 (ح)
 لحن العامة 53 (ح) ، 80
 مجلة معهد المخطوطات 53 (ح)
 مجموع الرسائل 39 (ح) ، 41 (ح)
 محاضرات الأبرار 67 (ح)
 مختار الأغاني في الأخبار والتهاني
 139 (ح)
 137 (ح) ، 144 (ح)
 مذاهب الحكماء في نوازل الأحكام ، 75
 76 (ح)
 مراکش 14 (ح) ، 15 (ح) ، 16 (ح)
 17 (ح) ، 61 (ح) ، 68 (ح) ،
 83 (ح) ، 84 (ح)
 مسائل الأبصار 83
 مشارق الأنوار في غريب الحديث
 والآثار 73
 معجم الأدباء 127 ، 155 (ح) ،
 157 (ح)
 معجم البلدان 153 (ح)
 معجم الشقندي 155
 مغرب ابن سعيد 65 (ح) ، 90 (ح)
 مغرب ابن عذارى 15 (ح) ، 17 (ح)
 18 (ح) ، 88 (ح) ، 89 (ح)
 93 (ح) ، 96
 مفتاح اللب المقفل على فهم القرآن
 المنزل 70
 مقدمة ابن خلدون 22 (ح) ، 48 (ح)
 مقصورة حازم ، قصيدة 191
 منهاج التحصيل في شرح المدونة
 75
 منهاج العابدين 67
 منهج الأندلسيين في دراسة النحو
 44 (ح)
 موشحات مغربية 110 (ح) ، 111 ،
 (ح) ، 116 (ح)
 نزهة المشتاق في اختراق الآفاق
 86 ، 86 (ح)
 نظم الجمان 13 (ح) ، 32 (ح) ،
 38 (ح)
 نظم العقود ورقم الحلال والبرود ،
 — نسخة ديوان ابي الربيع
 166
 نفع الأزهار 101 (ح)
 نفع الطيب انظر : النفع
 نقط العروس 60 (ح)
 نكت على شرح أبيات سيبويه 80
 نيل الابتهاج 67 (ح) ، 70 (ح) ،
 71 (ح) ، 75 (ح) ، ، 276

37 ، 72 (ح) ، 73 (ح) ،	هسبرس ، مجلة 23 (ح) ، 39 (ح)
76 (ح) ، 78 (ح) ، 88 (ح) ،	واسطة العقدين ، كناش 68 (ح) ،
93 (ح) ، 102 (ح) ،	130 ، 131 ، 144 ، 155 (ح)
155 (ح) ، 157 (ح) ،	وصف افريقيا 61 (ح)
193 (ح)	وفيات الأعيان 14 (ح) ، 21 (ح) ،
يتيمة الدهر 155 (ح) ، 157 (ح)	28 (ح) ، 32 (ح) ، 35 ،